ثروت أباظة

وبالحق نزل

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

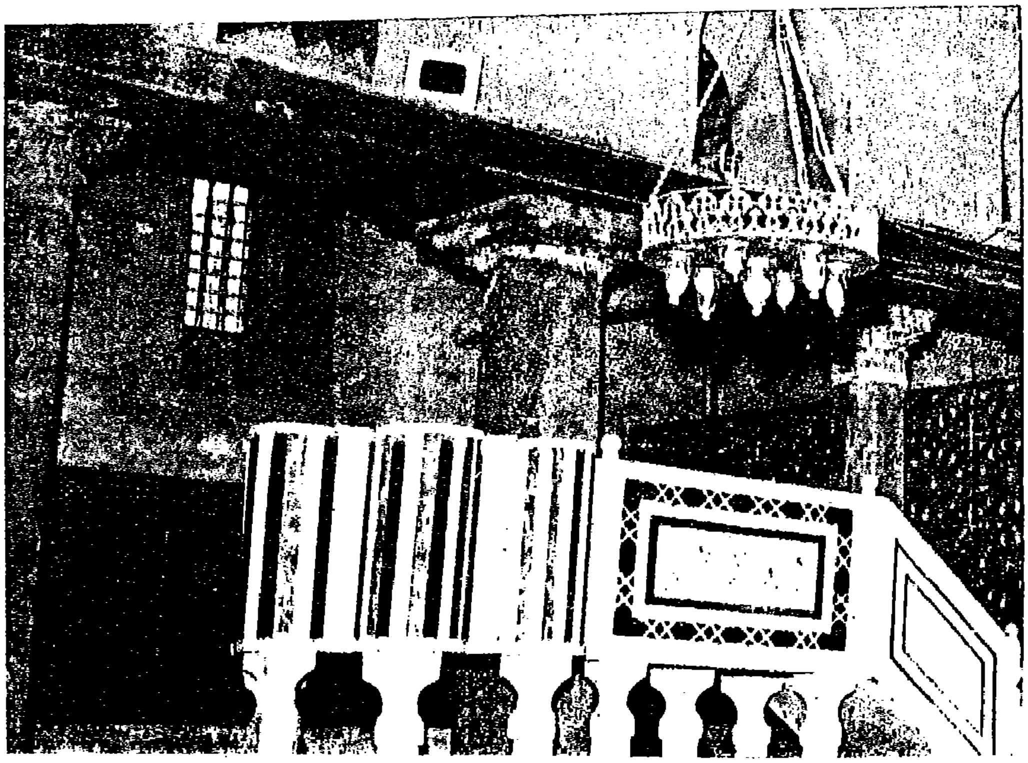
إهداء لا تقديم

إلى الذين تعلقت نفوسهم بالكتاب الأكرم وبالطريق الأقوم ، وبالنور الدرى السماوى وبأشرف رسالة عرفتها البشرية أقدم هذا الكتاب وفى القلب وجيف وتخشع ووجل وأين نحن البشر من السماوات العلا إلا أن نحنى الرأس ركوعًا وسجودًا .

خطرات استلهمتها من رفيع السماوات ذى العرش يرتجف القلم وهو يسطرها ويرتعش القلب وهو يقدمها إليك .

فإن تقبلتها كان فى قبولك لها قربى أتزود بها عند الرحيم الودود وإن جفوت عنها رجوت أن تلتمس العذر لبشر من البشر يكتب عن أقدس رحاب .

والسلام عليكم ورحمة الله



وإن أجراها عمر

وإن أجراها عمر ..

كان الشعر العربى هو وسيلة الإعلام عند العرب ، ولذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام يحتفى بالشعر والشعراء غاية الاحتفاء ، وكان عليه الصلاة والسلام يطرب للشعر شأن كل عربى أصيل ، حتى إن فارعة بنت أبى الصلت أخت الشاعر الشهير أمية ابن أبى الصلت ، وكانت سيدة فاضلة تحفظ الكثير من الشعر ، كانت تقصد إلى النبى بدعوة منه ، ويستنشدها الشعر ويمتدح ذكاءها وحسن اختيارها لما تحفظ .

وكان عليه الصلاة والسلام يحيى الخنساء وهى تنشد الشعر فى ساحته : « هيه يا خناس .. » .

وكان صلوات اللّه عليه يغضب للشعر الذى يتطاول به الكفار على مقامه الأسنى . وقصة كعب بن زهير معه معروفة ، حين هجا الرسول وأمعن فى الهجاء ، فأباح النبى دمه . وكان أخو كعب مسلما حسن الإسلام ، فراح يشرح الإسلام لكعب ، حتى انشرح صدره للإيمان وأسلم ، ثم قال لأخيه :

ـ والآن ماذا أفعل فى دمى المباح ؟

وقال أخوه :

ـ إن الذى أباحه سيد البشر أجمعين ، فإن تبت بين يديه عفا .

ـ أو تظنه يفعل ؟

ـ إنه لا شك فاعل .

ـ فكيف وصولى إليه ولو رآنى أحد من أتباعه لقتلنى قبل أن أبلغ مكانه ؟

ـ لا عليك ، سأصحبك ، ولكن أخف وجهك . .

ـ ما أرى صحبتك ستنجينى من القتل ، وما أرى إخفاء وجهى نافعا . .

- إننا سنذهب إلى النبى فى موعد الصلاة ، وهو (ﷺ) سيكون فى مكان الإمامة ، حتى إذا انتهت الصلاة اطلب العفو . .

- وإنى لناظم قصيدة فى مديحه يظل رنينها فى سمع الزمان إلى آخر الزمان .

وذهب الأخوان والنبى يصلى بالناس ، ووقفا مع المصلين ، حتى إذا ما انتهت الصلاة ، كشف كعب عن وجهه ، وبدأ يلقى قصيدته الخالدة :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول   متيم إثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلت   إلا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة   لا يشتكى قصر منها ولا طول

ثم يقول :

إن الرسول لنور يستضاء به   مهند من سيوف اللّه مسلول
فى فتية من قريش قال قائلهم   ببطن مكة لما أسلموا زولوا
نبئت أن رسول اللّه أوعدنى   والعفو عند رسول اللّه مأمول

فإذا بالرسول الكريم يقوم من مجلسه ويصيح :

— ولقد عفوت يا كعب !

ويحتضن الشاعر ويخلع عليه بردة جديدة كانت مهداة حديثا إلى رسول اللّه ، ومن أجل هذا نجد من يقول إن هذه القصيدة هى التى تسمى بالبردة ، نسبة إلى هدية النبى عليه الصلاة والسلام . أما بردة البوصيرى فيقال إن اسمها البرأة لأن البوصيرى كان ينظمها وهو مصاب بالشلل ، وحين أتمها برأ . .

وأيا كان الأمر ، فإن هذه القصيدة تدل على قيمة الشعر فى زمن الرسول ، وهى أيضا ذات دلالة عريضة تدحض ما يذهب إليه المتطرفون من تحميل الإسلام غير مذاهبه . وها هو ذو هادى البشرية وحامل رسالتها يستمع إلى الغزل الرقيق البديع من كعب ، فلا يضيق به ، ولا يرفضه ، بل يخلع على الشاعر بردته .

ومكانة حسان بن ثابت من النبى ومن الإعلام الإسلامى معروفة شهيرة . وقد كان النبى عليه الصلاة والسلام يقربه ويدنيه إليه ويمتدح شعره ويستعيده . اقرأ معى قوله :

إن الذوائب من فهد وإخوتهم   قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته   تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم   أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة إن الخلائق فاعلم شرها البدع
لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا
إن كان فى الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
أعفة ذكرت فى الوحى عفتهم لا يطمعون ولا يرديهم طمع

ولا يكتفى حسان بمديح الرسول ، وإنما هو يهجو فى عنف وإقذاع أعداء الإسلام وخصوم رسول اللّه ، والنبى الكريم يبارك منه المديح والهجاء معا . . اسمعه يقول فى هجاء الوليد بن المغيرة :

إن التى ألقتك من تحت رجلها وليدا لجهال العشى خبوب
فما لك من كعب حصاة تعدها وان قلت من شجو فأنت كذوب

ويقول فى مخرمة بن المطلب وابى صيفى بن هاشم بن عبد مناف هاجيا لهما بأمهما :

إذا ذكرت عقيلة بالمخازى تقنع من مخازيها اللئام
أبو صيفى الذى قد كان منها ومخرمة الدعى المستهام
إذا شتموا بأمهم تولوا سراعا ما يين لهم كلام

وقد تطور الإعلام اليوم ، فأصبحت الإذاعة وأصبح التليفزيون . وإننا لنشهد أنها المرة الأولى فى تاريخ مصر ، وأكاد أقول فى تاريخ الشرق العربى كله ، يسمح للأحزاب المعارضة أن تعرض برامجها فى الانتخابات فى الإذاعة ، وعلى شاشة التليفزيون الذى تشرف عليه الدولة ، التى تتكون الحكومة فيها من حزب يشارك فى المعركة الانتخابية . وقد شهدنا الحكومة الوفدية حين كانت تنفرد بالإذاعة ، ويظل الزعيم يخطب فيها الساعات الطوال ووراءه الأتباع وأتباع الأتباع . وأذكر فى هذا المضمار قصة لا تخلو من طرافة ، فقد اقترح أحد أعضاء الوفد إقامة حفل تكريم للرئيس بمناسبة سخيفة من المناسبات السخيفة الكثيرة التى كان يحفل بها حكم الوفد . .

وأقيمت حفلة التكريم . . وإذا بعض آخر يطلب إقامة حفل تكريم لهذا الذى اقترح إقامة حفلة تكريم للرئيس . . والعجيب أن الحفلة أقيمت فعلا ، وتساءلنا نحن الشعب المصرى : إلى أى مصير سينتهى الأمر إذا اقترح أحدهم إقامة حفلة تكريم لمن اقترح إقامة حفلة التكريم . . ؟

لنا اللّه فكم رأينا من سخافات وتفاهات ولكم نخشى أن تعود . .

وشهدنا فى التليفزيون زعيم الحزب الشيوعى وهو يقدم برنامجه . وإننا لنسأله سؤالا عاما بغير تفاصيل : فى أى بلد شيوعى جربتم هذا البرنامج ونجح . . ؟ إن النظرية الشيوعية لم تعد اليوم نظرية ، وإنما هى تطبيق . ونحن اليوم ينبغى لنا أن نناقش التطبيق لا النظرية . . لأن النظريات بغير تطبيق لا تعنى شيئا . .

أما وقد طبقت النظرية فعلا سبعين عاما فى روسيا السوفيتية ، فقد آن لنا أن نسأل الشيوعيين . . هل نجح التطبيق . . ؟

إذن فما لروسيا السوفيتية تتسول القمح من أمريكا . . ؟ وما لروسيا السوفيتية تتحدث عن الحوافز ، وما لها تميل فى كل يوم عن النظرية الشيوعية إلى الاقتصاد الحر . . وما للدول الشيوعية كلها تحاول جاهدة الخروج من جنة الماركسية . . ؟

وبعد فإننى أحسب أن الحزب الوطنى قد أغلق المنافذ على أحزاب المعارضة ، فما من مطلب طلبوه إلا أجابته لهم حكومة الحزب الوطنى من حرية الاجتماعات إلى الصحافة الحرة ، حتى وإن كانت تميل عن الحق ، وتقيم الباطل ، إلى شرح البرنامج فى التليفزيون والإذاعة .

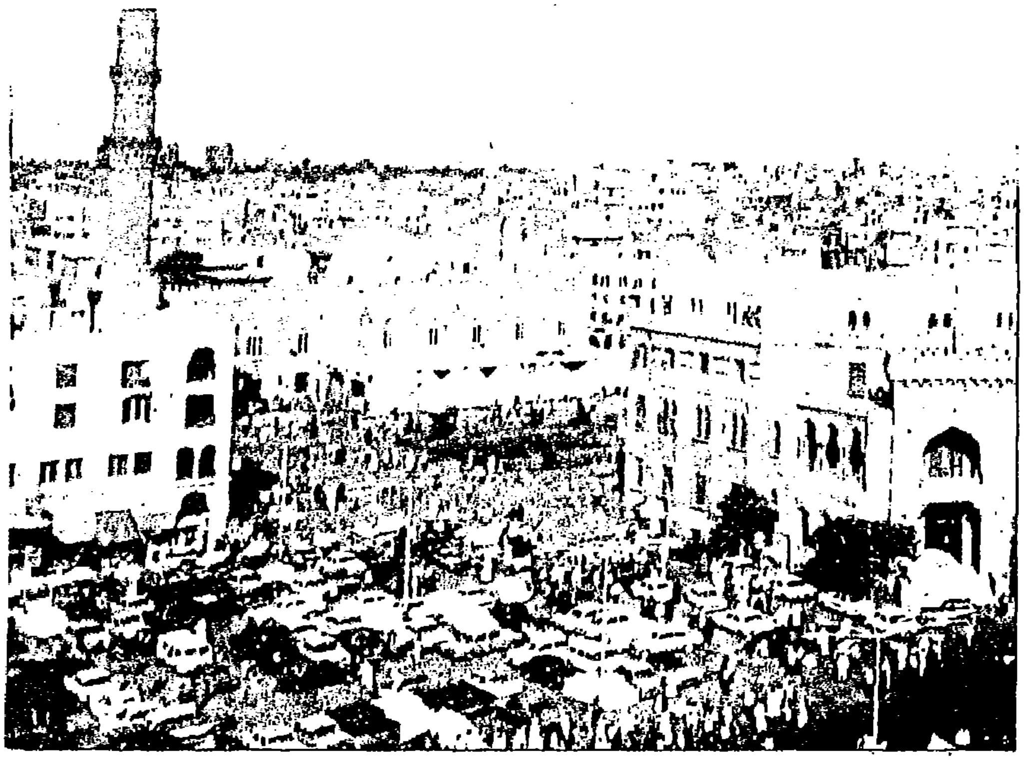
فبأى حجة إذن سيحتجون يوم تقول صناديق الانتخابات إن الشعب لا يثق فيهم .

رفقا أيها الحزب الوطنى فما كان ينبغى أن تغلق عليهم مسالك الحجج إلى هذا الحد .

وعلى أى حال ، ليعلم الجميع أن الأحزاب المعارضة جميعاً سترمى الانتخابات بأنها مزورة ، والقائمين عليها بأنهم ظلمة غير محايدين .

ولا علاج لهذا . . لا علاج وإن قام الفاروق عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه من مرقده ، وأجرى الانتخابات برجال من صحابة الرسول ، فإن المعارضة أيضاً ستقول إن الانتخابات لم تكن حرة . . وللّه فى خلقه شئون . .

❀❀❀



مصـــرى مؤتمـــن

مصرى مؤتمن

قال لى صاحبى العالم الطبيب العظيم وهو يحاورنى :

- هل كان الخلفاء الراشدون يحتفلون بالمولد النبوى ؟

وأدركت لهجة الاستنكار فى سؤاله وقلت :

- لا . .

فقال وكأنما وصل إلى مبتغاه :

- شكراً هذا كل ما أردت أن أُعرفه . .

ولم تتح لى الفرصة أن أكمل الحوار ، فقد كنا فى جماعة توشك على الانصراف ، ولم أستطع أن أقول ما أردت أن أقول ، وحمدت اللّه . فلو أننى كنت أجبت لغنيت بإجابتى الشفوية التى كانت - لا شك - ذاهبة أدراج الرياح ، ولما أعددت نفسى لكتابة هذا الحديث إليك وإليه وإلى من يشاء أن يقرأه .

لم يكن الخلفاء يقيمون احتفالا بالمولد النبوى ، هذا حق ، ولكن الاحتفال بأى ميلاد لم يكن معروفا - فيما أحسب - فى عهد الخلفاء ، أما فى العصر الحديث فأغلب الناس يحتفلون بأعياد ميلادهم ويسعدون به ، فأى عجيبة إذن فى حضارتنا الحديثة أن نحتفل بعيد ميلاد سيدنا وسيد البشر أجمعين ، النور الهادى ، حامل رسالة السماء الأخيرة إلى الأرض ؟

النبى الأمى الذى اختاره اللّه فى رفيع سماواته ليبلغ قرآنه المبارك إلى دنيا الناس ، فقدم للبشرية المعجزة الوحيدة من معجزات الأنبياء التى خلدت بأمر اللّه بها أن تحفظ بسر كلمة كن فى آيته الكريمة ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ فإن الذكر محفوظ بأمره ، وإذا أمره يتم على أعيننا وفى عصرنا ، والذكر اليوم فى مصاحف مطبوعة بالآلة ، ولم تكن تلك الآلة معروفة يوم بدأ هبوط الوحى بادئا بالأمر الإلهى المقدس

﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربـك الأكـرم الـذى علـم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم ﴾ .

وهكذا شاء اللّه تقدست أسماؤه أن يكون القلم ، والعلم أول شىء يذكره لنفسه بعد معجزة الخلق التى أوجد بها الإنسان .

النبى الأمى حمـل هـذه الرسـالة التـى هـى القـرآن . ويقـول عنـه جـل عـلاه سـبحانه ﴿ وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ﴾ تبـاركت يـا رب السـماوات إنـه يبشـر عبـاده ببشـريين لا واحدة : البشرى الأولى أنه أنزله بالحق . . وهل الحق إلا اسم مـن أسمائـه ، والبشـرى التانية أنه بهذا الحق نزل ، إذن فالنبى الأمى أبلغ الرسالة إليكم أيها البشر كما أنزلها اللّه ، وأصبحت هذا القرآن . نزل بالحق وأبلغه من نزل عليه وحيه بالحق أيضاً .

أفلا يستحق الأمين الذى حمل الأمانة أثقل ما تكون الأمانة ، وبالحق أبلغها أصدق مـا يكون الحق ، أن نحتفل بعيد مولده ؟

وإخواننا المسيحيون يقيمون أعظم احتفالاتهم الدينية والدنيوية أيضاً فى مولد المسيح ، وجعلوا حياتهم وأيامهم مؤرخة بتاريخ مولده ، فأى بأس علينـا نحـن المسلمين أن نذكـر اللّه ونصلى ونسلم على نبينا فى عيد مولده ﷺ ، فيقول سبحانه : ﴿ إن اللّـه وملائكتـه يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا علبه وسلموا تسليما ﴾ .

وبعد فما أحسب عالمنا الطبيب العظيـم حـين سـأل مـا سـأل واستنكر مـا استنكر ، إلا يريد أن ينتقد فحسب ، وإن للنقد فى أفـواه النـاس حـلاوة لا يجدونهـا فـى المديـح ، فالنقد يظهر المتحدث وكأنه فى المكان الأعلى ، ناظرا إلى عباد اللّه فى مضطرب حيـاتهم نظرة تنصب على الخطأ ، ولا تريد أن ترى إلا الصواب .

دأب الناس فى ذلك كدأب بعض الكتاب المصريين فى أيامنا هـذه ، فهـم فـى اعتـداء على الحق يمزقون كل شرف ، ويحطمون كل جميل ، ويدمرون كل أمل .

وكان أحرى بهؤلاء الكتاب أن ينقبوا المصلحة لا التشويش ، وينشدوا النفع للوطن لا الركوب على أزماته ، وما يعانيه ، ليظهروا بصورة الأبطال ناسين أنه لا بطولة هناك .

فما تنتظرهـم السجون ، وما تهم بهم الأيدى الفراســة الطاحنـة مـن أعـداء البشـرية ، الذين مزقوا الأعراض فى عهد الطغيان ، ولا تلتقمهم أفواه الكلاب المسعورة التى شهدها الأبرياء من المعتقلين .

لا بطولة إذن اليوم فيما يصنعه بعض الكتاب .

إنما البطولة الحقة أن يذكروا الداء والدواء ، فالطبيب الذى يذهب إليه المريض فيخـبره أنه مريض بكذا وكيت دون أن يذكر له الدواء ، يكون وبالا على مريضه لا شفاء له .

والمريض اليوم هى مصر أم الجميع لا تفرق هى فى أمومتها وعظمتها بين أحد من أبنائها وآخر .

يقول بعض الكتاب فيما يقولون اهدموا القطاع العام . . ألا يعقلون ؟

إن القطاع العام ركيزة لا يستغنى عنها الاقتصاد المصرى ، وهيهات أن نستطيع أن نهدمه فى طرفة عين . فأولى بهؤلاء الكتاب ثم أولى أن يقولوا أقيموا المعوج فى القطاع العام ، ثم على الحكومة من قبل ، أن تنظر فيما لا يجوز أن يكون قطاعا عاما فتبيعه ، لينصلح ما فسد منه وما انهار من بنيانه .

والأمثلة قريبة ، إن كل المحلات التجارية لا يجوز أن تكون قطاعا عاما ، وليس فى أى دولة مثيل لهذه المحلات ، لأن القطاع العام هنا قليل والأغلبية قطاع خاص . أما الدول الشيوعية فكل المحلات التجارية فيها كانت إلى عهد قريب ملكا للدولة لأن الفرد فيها لا يجوز أن يملك ما يغل ، وقد بدأت الصين تصفى القطاع العام فيها ليعود على الأفراد بالربح ويدفعوا عن أرباحهم الضرائب فيصبح الكسب مؤكدا للدولة لا مشاكلة فيه ، ولا شك ، ولا مضاربة ، ولا مخاطرة . وبالأمس القريب تبعتها روسيا .

والدولة الديمقراطية لا تتصور أن يكون هناك محل تجارى تابع للدولة ، فليس من عمل الدولة أن تتاجر على بنيها .

فالأجدر بمصر أن تبيع كل المحلات التى تعمل وسيطا فى السوق ، مثل عمر افندى وصيدناوى والصالون الأخضر وشيكوريل وكل المحلات المشابهة لها ، مما نعرفه وما لا نعرفه من محلات تبيع الفول والطعمية والسمك وغير ذلك ، مما يجعل الدولة تاجرة من الطبقة العاشرة ، ومما يحقق لها خسائر فادحة بفضل التهاون الزرى الذى تدار به هذه المحلات ، وبفضل المعاملة الظالمة الجائرة التى يعامل بها البائعون فى هذه المحلات عباد اللّه الذين كتب عليهم أن يدخلوا إلى ساحاتهم غير المقدسة .

قال لى أحد الاقتصاديين ، والعهدة عليه ، إن مصر لو باعت هذه المحلات لاستطاعت أن تسدد ديونها جميعا .

ولقد نعلم أن القطاع الخاص لا يمكن أن يشترى هذه المحلات ، بما تحمله ميزانياتها من أعباء فادحة من تزاحم العاملين بها من غير عمل يؤدونه .

وبالطبع لا يستطيع إنسان فى قلبه ذرة من الرحمة أن يطالب الدولة بإبعاد هذه الجموع الحاشدة من الموظفين عن موارد رزقهم .

ولكن ما داموا هم لا يقومون بأى عمل فى مواطن عملهم الحالية ، فأى بأس أن ينقلوا إلى مواطن أخرى من القطاع العام ، ويظلون على حالهم أيضاً من البطالة ؟ إن

التوقف عن أداء عمل حين يصبح وظيفة معترفا بها لا يضيره في شيء أن ينتقل إلى أى مكان فإنهم يستطيعون أن يمارسوا عدم أداء العمل فى أى مكان ، وتظل مرتباتهم جارية عليهم كما كانت تجرى ، وحينئذ تصبح هذه المحلات متخففة من أعبائها وتستطيع أن تحقق ربحا لمن يشتريها ، وهو حين يربح سترِبح الدولة لأنها - باليقين والقطع - ستحصل على الضرائب عن أرباحه . ومثل هذه الدور التجارية الكبرى لا تستطيع أن تتلاعب فى أرباحها أى تلاعب ، فالرقابة عليها ميسورة وأصحابها لا يفكرون مطلقا فى تشويه حقائق الأسعار فى البيع أو الشراء .

لو أن هؤلاء الكتاب بحثوا هذا الموضوع وقدموا عنه الدراسات الوافية المستفيضة البريئة من الغرض البعيدة عن المهاترة لأدوا الأمانة وأصبحوا أطباء يشخصون الداء ويصفون الدواء .

ولو أنهم أرادوا أن يلبسوا ثوب البطولة حقا ، فما لهم لا يلبسونه فى قضية العلاقة بين المالك والمستأجر ، فى الأراضى الزراعية على الأقل ، إذا كانوا لا يستطيعون أن يتحدثوا عن العلاقة بين المالك والمستأجر فى المساكن أيضا .

الأمر فى الزراعة واضح لا يحتاج إلى مزيد من الحديث وحسبك نظرة إلى هؤلاء المساكين الذين حكم عليهم الزمان أن يكونوا ملاكا لخمسة أفدنة أو لعشرة أو حتى لعشرين فدانا ، وانظر إليهم فى بؤسهم لا يطيقون أن يواجهوا العيش فى مألوف حياتهم اليومية ، وابك معهم حين تلم بهم كارثة من الكوارث التى كانت فيما مضى أفراحا وسعادة وهناء ، ابك معهم إذا جاء لابنتهم خاطب يريد أن يتزوجها ، أو شب ابنهم إلى طوق الشباب وأراد أن يتزوج من فتاة أحبها أو فتاة اختارها ، الأفراح فى بيوتهم حزن وعنت وألم وضيق .

وويل لهم كل الويل إذا فكروا أن يبيعوا فدانا مما تقول سجلات الشهر العقارى إنهم يملكون ، يقف لهم المستأجر الغنى المتكبر ، لابيع هناك .. ! فإن كان من المحتم أن تبيعوا فلى نصف الثمن ، وقد أفكر فيما هو أكثر من النصف ، فكأن هؤلاء الملاك الضعاف من جنس لا ينتمى إلى بنى الإنسان أو من وطن عدو ليس هو مصر على أى حال من الأحوال .

أما فى السكن ، فلأضرب المثل بنفسى ، وأحس قلمى يبكى وأنا أقدم ما أعانيه أنا ، وأنا لست مالكا لأى بناء ، وإنما أقدم المثل من نفسى كمستأجر لا كمالك ، فقد استأجرت من رجل طيب الخلق عفيف النفس شقة فى الإسكندرية فى عام ٦١ على ما أذكر ، وهى على البحر ، ومكونة من ست حجرات ، وبها حمامان . وكنت أدفع إيجارا

حين استأجرتها سبعة عشر جنيها ، أصبحت أربعة عشر ـ أى أننى أدفع فيها مائة وثمانية وستين جنيها فى العام كله ، بينما الكابينة فى المنتزه ارتفع أجرها من مائة وعشرين جنيها فى العام إلى ألف وثلاثمائة جنيه فى العام ، وهى أقل من حجرة وأقل من حمام وأقل من شرفة .

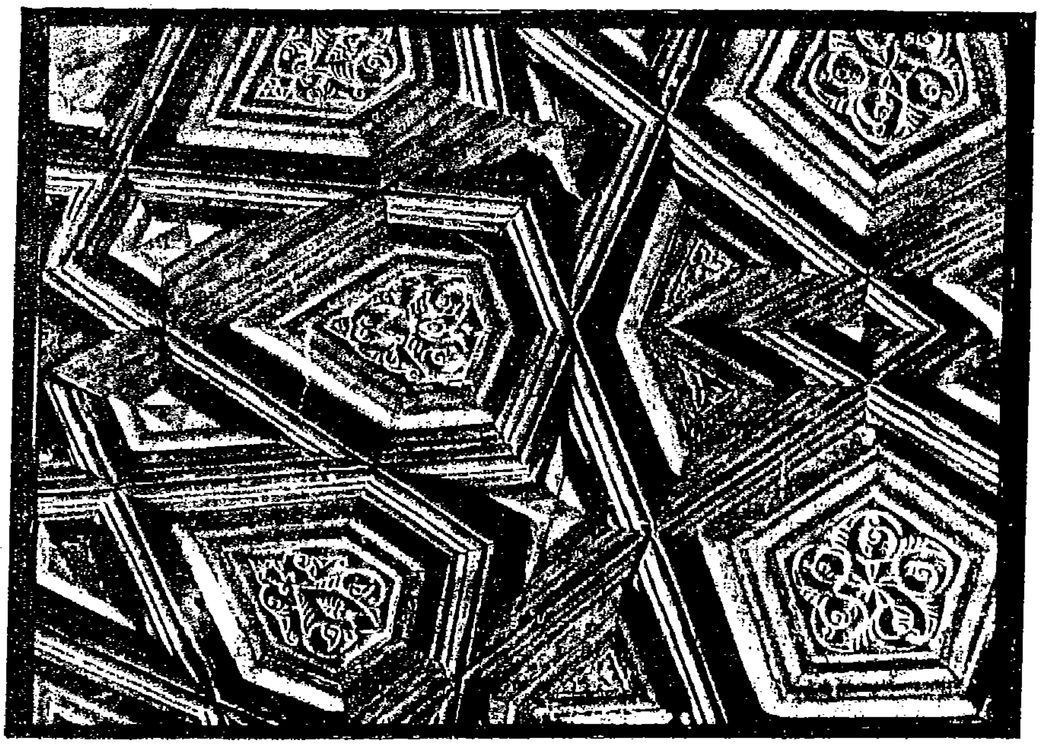
فالحكومة أباحت لنفسها أن ترفع أجور مساكنها إلى أكثر من عشرة أضعاف ضعف ما كانت عليه ، ولولا أننى أستأجر الكابينة أنا وإخوتى أجمعين ما أطقت البقاء فيها ، وفى نفس الوقت حرمت الحكومة أن يرفع ملاك المساكن مليما واحدا إلى قيمة إيجاراتهم.

أدفع للمسكين صاحب العمارة أجره وقلبى يبكى من أجله ونفسى تتقطع حسرات .

فليكتبوا فى مثل هذا وليقترحوا له الحلول الاقتصادية وليحاولوا أن يفشوا العدل فى ربوع الوطن بدلا من أن يفشوا أسرارا أمر اللّه بها أن تستر إن كانت صحيحة وأمر بقائليها أن يقتلوا إن كانت كاذبة ، وأغلب الأمر فيها أنها كاذبة .

أمعارض أنا أم مؤيد . ؟ لا أدرى . . ولكننى واثق أننى مصرى وأننى مؤمن . .

❀❀❀



خطاب إلى الدكتور النمر

خطاب إلى الدكتور النمر

أهنئك يا فضيلة الدكتور عبد المنعم النمر على جائزة الدولة التقديرية ، وأعتذر إليك عن هذا الذى قرأته فى بعض الصحف لقوم تعودوا أن يصوتوا ولا يقولوا شيئا ، ولا بأس عليك يا مولانا فإنهم حشرات تخرج من جحورها إذا سمعت صفيرا ألأمَ ، صادرا من هناك .. من تلك البلدة التى يحكمها مجنون فهى حكومة بلا عقل ، أو من هنالك من تلك البلاد التى يحكمها ملاحدة فهى دولة بلا دين .

وأعتذر إليك مرة أخرى عن ذلك المأفون الذى اتخذ الحديث عنك طريقا للنيل منى ، وقد دأب على ذلك وهو يستثيرنى إليه بشتى طرق ووسائل ، على أمل أن أرد عليه يوما، فأجعل منه شيئا مذكورا ، وما هو بشىء حتى يكون مذكورا .

وإنى يا سيدى الدكتور أنصحك - إن كان لمثلى أن ينصح مثلك - ألا تفكر فى الرد على ما كتب فأنا قد أخذت نفسى ألا أرد وليس موقفى هذا لأنى أذكر بيت المتنبى الخالد :

وإذا أتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

اضرب عن هؤلاء جميعا صفحا ، واطو صفحتهم وهى مطوية بطبيعتها ، وهيا الآن إلى كتابك الجليل الذى أصدرته منذ قريب ، والذى أعتقد أن العالم الإسلامى أحوج ما يكون إليه اليوم .

إن كتابك ، « الاجتهاد » الذى أقرأه الآن ، من أعظم الكتب التى ظهرت فى هذه الفترة الأخيرة ، وكم كنت موفقا حين كتبت تحت عنوان : الاجتهاد - ضرورة من ضرورات الدين والحياة ، كيف كان ؟ كيف صار ؟ وواجبنا الآن .

واسمح لى يا مولاى أن أشد على يدك فى قوة لشجاعتك النادرة أن أصدرت هذا الكتاب تواجه به فئات كثيرة لا ندرى أيها أكثر ضلالا من الأخرى ، فهناك الجامدون

المتحجرون الذين يأبون أن يكون ديننا الحنيف صالحا لكل زمان ومكان ، وهناك المتكسبون بالدين ولا يريدون أن يتطور التشريع عند الشرح ومواجهة الجديد فى حياتنا ، والذين يأبون أن يقرأوا التاريخ ويروا الشافعى ، وهو الشافعى ، يغير الكثير مما أثبته عندما جاء إلى مصر ، فإذا كان هذا الإمام الجليل يغير آراءه حين استبدل مكانا بمكان ، فكيف كان صانعا لو استبدل زمانا بزمان . . ؟

لا أحسب يا سيدى الدكتور أن الأئمة جميعا ، لو أنهم عاشوا زماننا هذا ، لغيروا الكثير من آرائهم وتفسيراتهم واجتهاداتهم .

وأنت يا دكتور تواجه بشجاعة جماعات تريد أن تجعل الدين طوع أمرها ، وتجعل منه سلاحا فتاكا تشهره على حياتنا وأمننا وكرامتنا والمستقر الثابت من معيشتنا ، يخيل إليهم فى خبال وجنون أنهم بما يمزقون من جنبات الحياة سيصلون إلى الحكم ، ويصلوننا بنيرانهم البعيدة كل البعد عن الدين القيم .

واجهت هؤلاء جميعا بكتابك هذا الجليل ، وإنه ليطيب لى أن أنقل هذه الفقرة الهامة التى جاءت فى كتابك تحت عنوان : « هل أحاديث الرسول كلها وحى ؟ » وفيما تقول: « يعنى هل : كل ما نطق به الرسول أو فعله أو أقره إنما كان بناء عن وحى ، أو حراسة وحى ؟ بحيث لو كان غير سليم أو صحيح ينزل الوحى عليه ليصححه كما حصل فى بعض الأمور ، بعض العلماء قال بهذا مستظلين أو مستدلين بقوله تعالى مدافعا عن رسوله : ﴿ والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ﴾ الآيات واعتبروا النطق عاما فهو لا ينطق ولا يقول قولا إلا عن وحى يوحى إليه . . ومثله الفعل . . ومع أن الرسول ﷺ قد برأه الله من الميل إلى الهوى والغرض الشخصى فى كلامه وفعله إجماعا ، إلا أنهم فى تفسيرهم أنه لا ينطق إلا عن وحى فى أى موضوع يتكلم فيه ، ولو فى شأن من شئون الحياة العادية ، ولو كان فى الزراعة ، أو الطب ، أو الحكم فى أمر من الأمور كل كلامه الذى ينطق به عن وحى أو إلهام من الله . .

هكذا تصوروا استنادا لهذه الآية وهو استناد خطأ ، غفلوا فيه عن سياق الآية وسبب نزولها فالآيات مسوقة للرد على المشركين ، الذين ادعوا أن محمدا يكذب أو يفترى ويقول قولا يدعى أنه من عند الله ، وأنه القرآن ، وهم فى هذا الادعاء يتجنون ويتجاوزون ما عرفوه عنه طول حياته ، من أنه لا يكذب وأنه الصادق الأمين ، وذلك حين أراد الله نفى اتهامهم له بالافتراء فى القرآن ، وأومأ إلى هذه التجربة فى حياته

وقال: ﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ فهو صاحبكم ومعاشركم منذ الصبا والشباب و لم تجربوا عليه كذبا قط ، فكيف تتهمونه بالكذب الآن ، بعد كل هذا النضج ؟

وتقول يا دكتور فى موقع آخر . . ونتيجة هذا كله أن الرسول ﷺ كان يجتهد أحيانا ويقول باجتهاده ، وكان اجتهاده قائما على القواعد العامة من القرآن .

وهكذا استطعت يا فضيلة الدكتور أن تقدم أعظم دليل على ضرورة الاجتهاد ، وعدم الوقوف بالآراء الشرعية عند آراء مضى عليها أكثر من ألف عام ، فإذا كان النبى ﷺ وهو الموصول الأسباب بذات اللّه العلية ، يجتهد ، أفلا يجتهد علماء الشريعة والفقه الإسلامى ونحن نبدأ القرن الخامس عشر من ظهور الإسلام ؟

والذى لا شك فيه أن اللّه سبحانه فى علياء سمائه قد أراد لنبيه أن يجتهد ، وأن يناقشه أصحابه الرأى ، ولو لم تكن هذه مشيئته ، لأوحى لنبيه بالرأى قبل أن يقول ، وبالعمل قبل أن يعمله ، فمن غيره سبحانه يعلم السر وأخفى ، ولكنه يريد الرأى أن يكون شورى، ويريد لنبيه أن يشاور أصحابه فى الأمر ، بل ويريد لنبيه أن يكون إنسانا من الناس يعتب عليه كما تفضل سبحانه وتعالى ، وكما ذكرت أنت فى عتابه للرسول فى أسرى بدر بقوله جل شأنه فى الآية ٦٧ من سورة « الأنفال » .. ﴿ ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا واللّه يريد الآخرة واللّه عزيز حكيم ﴾ كما عتب عليه سبحانه وتعالى فى إذنه السريع لبعض المسلمين المنافقين بالتخلف عن الخروج معه للجهاد وذلك بقوله جل شأنه فى الآية ٤٣ من سورة «التوبة»: ﴿ عفا اللّه عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾ .

وكما عتب أيضا فى إعراض النبى عن ابن أم مكتوم بقوله تعالى : ﴿ عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى ﴾ .

فالنبى إذن إنسان يجتهد ويستشير ويشار عليه ، إلا حين يتنزل عليه الوحى من السماء، هنا تعنو الرؤوس للحى القيوم ، ولا رأى هناك ولا مشورة ، وإنما نسمع ونطيع ونخشع ، وسبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلا اللّه .

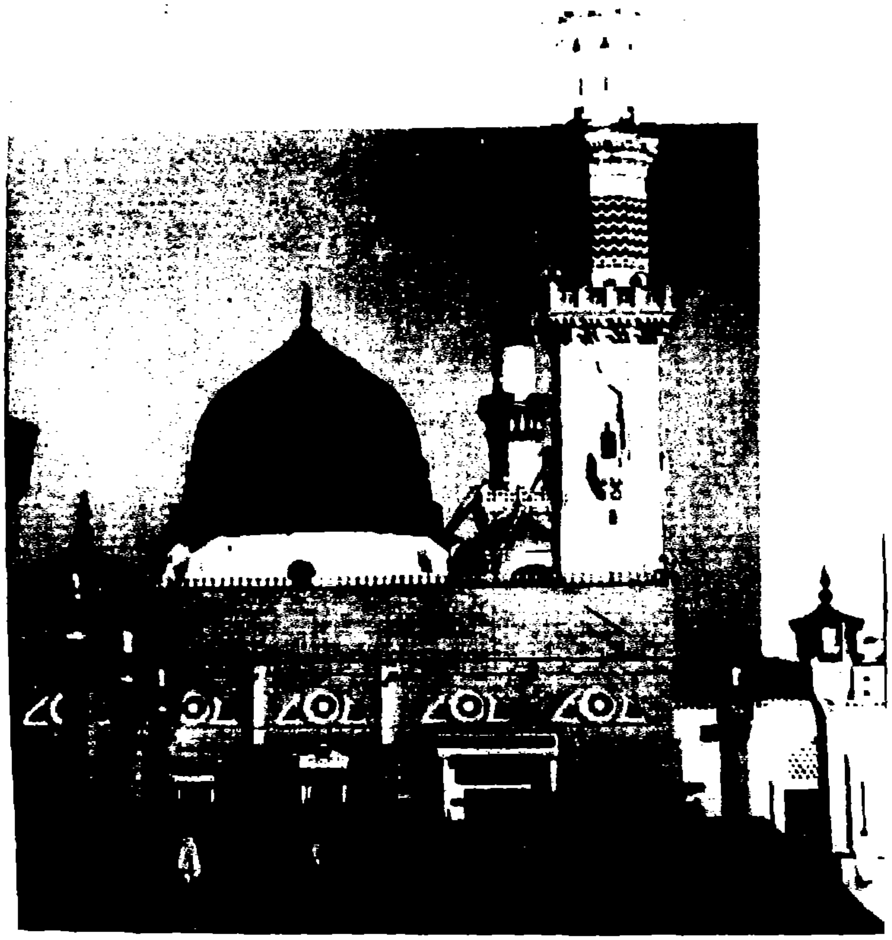
والنبى صلاة اللّه عليه وسلامه أدرى الناس بهذا ، بل هو فى خلقه الرفيع يتواضع حتى لنراه حين يقبل إليه رجل يريد أن يسلم ويقف ببابه ، وقد أخذه الرهب وتملكته هيبة الرسول ، يقول له فى إيناس كريم ، وفى عظمة لا تكون إلا لنبى : ادخل فما أنا إلا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة ، يا ﷺ أهو هكذا فقط أليس هو نبى اللّه المختار ، وحامل الرسالة وخاتم النبيين وسيد البشر أجمعين ؟

ومن أعظم الوقائع التى رويتها يا دكتور ، تلك التى حدثت من بريرة التى أعتقها أهلها وكانت زوجة لمغيث العبد ، فحين ملكت أمر نفسها بالعتق ، وطلقت نفسها ، وكان مغيث شديد الحب لها وكانت شديدة الكراهية له ، فكلم مغيث رسول اللّه فى ذلك فكلمها فى أن تراجعه وتظل زوجة له ، فقالت : أتأمرنى يا رسول اللّه . . ؟ قال : « بل أنا شافع » ، فأبت بريرة أن تراجع زوجها ، وردت شفاعة رسول اللّه . أى دين سامق شامخ سماوى رفيع ديننا هذا ، نبى اختاره اللّه ليتلقى كلامه من السماء يشفع لدى امرأة كانت فى أمسها القريب جارية تباع وتشترى . . يشفع ولا يأمر ﷺ ، وهى ترد الشفاعة ، ثم هى لا تجد بعد ذلك من الصحابة أى إعراض أو غضب عليها إن ردت شفاعة رسول اللّه وسيد البشر أجمعين .

فماذا ترى يا سيدى الدكتور اليوم من بعض أناس قد ورمت أنوفهم ، ومسهم الكبر بزيفه ، يخيل إليهم أنهم سيخرقون الأرض أو يبلغون الجبال طولا ، فإذا بلوتهم وجدت انتفاخ أوداجهم هواء ، ووجدت رؤوسهم فراغا .

أهنئك يا سيدى الدكتور بكتابك هذا القيم ، وأرجو اللّه سبحانه أن يستجيب العلماء فى مشارق الأراضى الإسلامية ومغاربها لدعوتك ، ويقيموا مؤتمرا يتناولون فيه كل مسائل الفقه الخلافية ، حتى يقطعوا الطريق على الجهلاء والمدعين والمتاجرين بالدين القيم.

وفقك اللّه ، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته . . .



الرسول والشعراء

الرسـول والشعراء

كنت قد كتبت مقـالا بعنـوان : « وإن أجراهـا عمـر » وذكـرت فيـه أن النبـى عليـه الصلاة والسلام قد أهدر دم كعب بن زهير لأنه هجا الرسول ﷺ . وقد جاءنى خطـاب طيب رقيق من شاب يبدو أنه ما زال فى بواكير حياته ، اسمه عاصم فريد البرقوقى ، وقـد هزنى فى الخطاب غيرة الشاب على تاريخنا الإسلامى ، وحرصـه أن يكـون نقيـا مـن أى شائبة .

وإنى أشكر لابننا عاصم جميل ظنه بى ، وأنا أكثر شكرا له على حرصه أن يكون النبى صلوات اللّه عليه أرفق بالناس من أن يهدر دمهم لمجرد أنهم نظموا فيه هجاء . .

ويقول عاصم . . وهل من العدل أن يقتل إنسـان مـن أجـل الهجـاء الـذى يعتـبر الآن جريمة سب . لقد جاء القرآن رحمة للناس وكرم الأم ، كما أننى قرأت أن ابنة النبى بكت عندما رأت الكفار يمعنون فى تعذيب والدها أثناء الصلاة ، ولكن النبى الكريم ربت ابنتـه قائلا : وهل تستطيع حفنة من التراب أن تطفئ نور الإسلام ؟ ثم هل هـذه أخـلاق النبـى الذى وصفه اللّه : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ ؟ أعتقد أن هذا الكلام دخيل . أرجو لو سمحتم وتكرمتم رأى سيادتكم . .

وإلى هنا ينتهى كلام ابننا المسلم النقى المسالم . .

وإنك يا بنى محق فى تفكيرك هذا ، ولكنك أيضا لو أمعنت الفكر لأدركـت أن الأمـر لم يكن مجرد هجاء لشخص محمد عليه الصلاة والسلام ، وإنما كان هجومـا شـاملا علـى الإسلام كله فى شخص النبى ﷺ . .

فحين أهدر النبى دم هذا الشاعر كما أهدر دم شعراء آخرين ممن هاجموا الإسلام فـى شخصه ، إنما كان يحارب من أجل دين البشرية جميعا ، و لم يكن يدافع عن شخصه هو . فالنبى حليم غاية الحلم حين يلقى الكفار التراب على كتفيه وهو يصلى ، لأن هذا عدوان

واقع عليه هو . فهو عليه الصلاة والسلام بشر رسول كما جاء بنص القرآن . وهو الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه وهو على خلق عظيم ، فهو يعفو على من يعتدى على البشر فيه .

ولكنه نبى الله وحامل رسالته ، وليس من المعقول أن يعفو على من يعتدى على الرسول فيه . والذين هجوه هجوا فيه الرسول لا البشر ، والرسول هنا حامل رسالة الله ذى القوة المتين . . وهى رسالة موجهة إلى البشر أجمعين وليس من الحزم أن يقبل النبى عليه الصلاة والسلام أن يترك الذين يحاربونها دون عقاب . . ولابد أن يكون العقاب مانعا للجريمة أن تستمر ، ورادعا للآخرين أن يرتكبوا نفس الجريمة ، فليس عجيبا إذن يا أخانا عاصم أن يأمر النبى بإهدار دم الشعراء الذين يحاربون الإسلام بأشعارهم . .

وأنت يا بنى ، لابد تدرك قيمة الشعر فى هذه الأيام التى يتحدث عنها التاريخ الإسلامى . . فقد كان الشعر هو وسائل الإعلام جميعا . . وكان الصحيفة والمجلة والإذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح أيضا . وكانت القصيدة تقال اليوم ، فلا يكتمل الشهر حتى تكون على أفواه العرب جميعا ، ولم يكن هناك ورق ، وإنما كان الناس يحفظونها ، ويلقيها بعضهم إلى بعض فى مجالس الندوة ومجالس السمر حول النار فى الليل . . وكانوا ينشدونها فى الأسواق ، وفى المجتمعات ، وهكذا يتبين لك أن الشعر كان أشد عنفا فى الصراع من السيف نفسه ، فالسيف يقتل فردا ولكن الشعر كان يقتل قبيلة بأسرها . وإذا كان الفرد يقتل من أجل فرد واحد ، فماذا أنت قائل فيمن يقتل قبيلة..؟ وربما تظن أننى أغالى إذا أنا سويت بيت القتل وإهدار الدم وبين الهجاء الذى لا يعدو بضعة ألفاظ ، ولكن هذه الألفاظ كانت تهدر أعراضا لقبيلة وتقضى على شرفها وكرامتها .

وأحسب أنك تعرف ما معنى العرض والشرف والكرامة عند العرب ، فهم يأبون كل الإباء أن يمس إنسان ما كائنا من كان ما يعتزون به من مفاخر وأصول . وهذه يا بنى تقاليد ترى اليوم بعض آثار منها فى حياتنا . . ولكنها فى هذه الفترة من تاريخ العرب كانت تتمثل لهم أكثر أهمية من الحياة وهى الحياة ، ومن الروح وهى الروح .

فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لشرف القبيلة وأمجادها ، فما ظنك بدين هو أول دين يأتى للناس كافة ؟

قد نقول إن هذا الدين قد جاء ليقضى على هذه الأخلاق الجاهلية ، وهذا خطأ شائع.. فإن الدين الإسلامى جاء ليقضى على مفاسد الجاهلية وليس ليقضى على مفاخرها وأمجادها . . ولكل مجتمع شره وخيره وفساده ومجده . وقد كان الإسلام رائعا، حين أبقى على الحمية العربية ، وعلى حرص العربى على عرضه وكرامته ، وأنه بالإيمان

العميق وبالحفاظ على هذه الحمية العربية الشريفة انتصر هؤلاء العرب الحفاة الفقراء على كسرى وهو كسرى ، وحطموا عرش الروم ، وانتشر الدين الإسلامى حتى دق أبواب فرنسا . .

وعلينا يا بنى إذا أردنا أن نحكم على حادثة تاريخية ، أن ننظر فى الفترة التى وقع فيها هذا الحدث . وأنت لا تستطيع أن تحكم على تصرف النبى عليه الصلاة والسلام فى الأعوام الأولى للإسلام بعقلية التليفزيون والإذاعة بعد ألف وأربعمائة عام من وقوع هذا التصرف . .

وبعد ، يا أخانا عاصم ، فقد أردت أن أكتب لك هذا جميعا لأظهر لك أن النبى كان على خلق عظيم حين أهدر دم هؤلاء الشعراء ، وكان بهذا يدافع عن دين اللّه . .

ولكننى أحب أن أطمئنك بالواقع بعد أن حاولت أن أطمئنك بالرأى . فمع أن النبى قد أهدر دم هؤلاء الشعراء إلا أن هذا الإهدار لم يؤد إلى قتل أى شاعر منهم ، فقد سعوا جميعا إلى النبى واعتذروا عما ارتكبوه ، وعفا عنهم النبى . وهكذا ترى يا بنى أن النبى تصرف منذ ألف وأربعمائة عام نفس التصرف الذى يمكن أن يصنعه اليوم بعد كل هذه السنوات ، فهو صلوات اللّه عليه كان يريد بإهدار الدم أن يظهر غضبه على الشعراء الذين يهاجمون الإسلام ، عالما أن أحدا منهم لن يقتل ، وأنهم سيسعون إليه ، يقدمون اعتذارهم ، ويلتمسون رضاءه وربما يعلن بعضهم إسلامه أيضا .

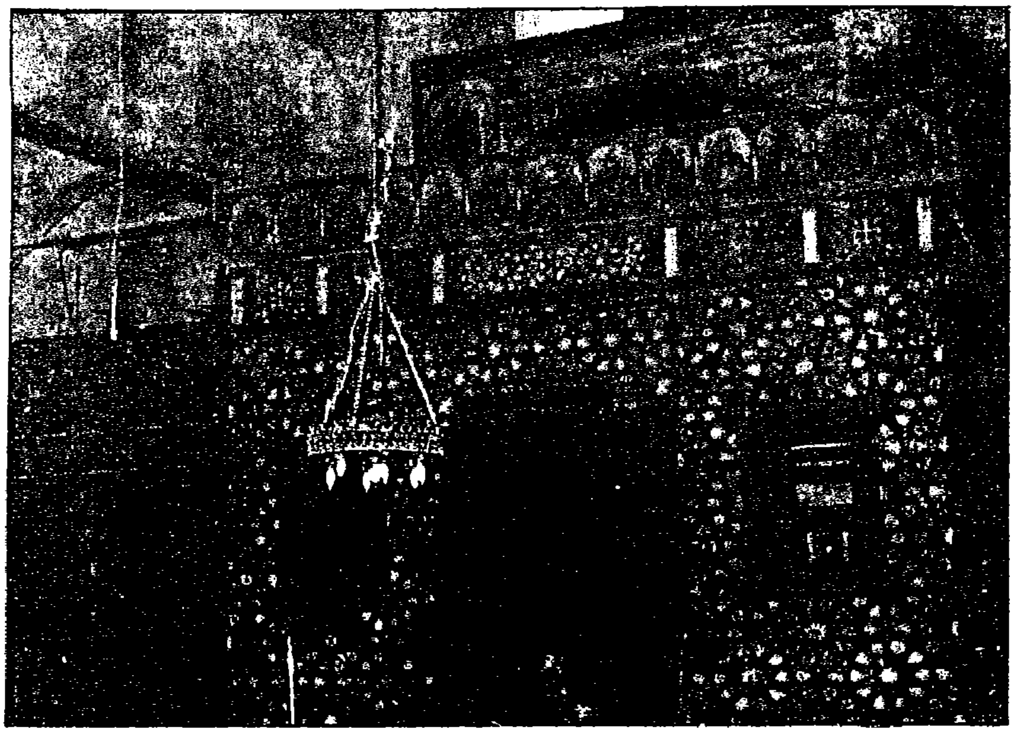
فإهدار الدم إذن لم يكن عقوبة يوقعها النبى عليه صلاة اللّه ، وإنما كان إحكام سياسة ، وبعد نظر ، من حامل الرسالة البشير النذير .

وقد استطاع عليه الصلاة والسلام بهذه السياسة أن يأمن جانب الشعراء ، وقد كانوا يمثلون الإعلام كله فى هذه الفترة ، ليفرغ هو إلى المهام العظمى الأخرى فى نشر الرسالة . وأنت لا شك تعرف كيف كان النبى عليه الصلاة والسلام يقرب حسان بن ثابت والخنساء والشعراء الآخرين ، ليجعل منهم هم الإعلام الإسلامى .

وأحسب أنك الآن تستطيع أن تطمئن أن نبينا عليه أحسن الصلاة والسلام كان سياسيا من الطبقة الأولى من السياسيين . وكيف لا يكون وهو الملهم ، وإذا استقر هذا الاطمئنان فى ضميرك ، تحتم عليك أن تعرف أن السياسة لا تستطيع أن تكون مسالمة فقط ، وإنما هى حرب فى موطن الحرب ، وسلام فى موطن السلام ، وإدراك دقيق للموقف الذى لا يصلح فيه إلا الحرب ، وللحظة التى يتحتم فيها السلام . . ولو أنك طالعت تاريخ النبى، لأدركت أنه كان أعلم الناس جميعا باللحظة التى لا محيد فيها عن الحرب ، وبالأخرى التى لا تصلح إلا بالسلام . ولولا هذه النظرية المهمة اللماحة الذكية،

ما انتشر الدين الإسلامى هذا الانتشار فى فترة قصيرة غاية في القصر . وبعد يا بنـى فقـد اجتهدت . . فإن أكن قد أصبت منك مقنعا ، فإننى أحمد اللّه إليه ، وإن تردد فى نفسك بعد ذلك شك ، فإننى منتظر منك خلجات نفسك نناقشـها معـا . ومـا علـى المجتهـد إن أخطأ من سبيل . . وفقك اللّه وأصلح لك أيامك قدر ما أصلح نفسك للإيمان . .

❀❀❀



وكان بشرًا رسولاً

وكان بشرا رسولا ..

المعجزة التى اختارها الله للخلود هى القرآن الكريم . ومعجزات القرآن أعظم من أن تحصى . وقد نزل القرآن منذ ألف وأربعمائة عام ونيف . وفى هذه القرون المتطاولة ظهر أعلام الشعراء وعظماء البلغاء ، ولكن هيهات وألف هيهات أن نقارن كل ما نظموه من الشعر وما دبجوه من النثر الرفيع مع آية من آيات القرآن كقوله جل وعلا : ﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ .

وكان الله سبحانه وتعالى يرسل أنبياء قبل النبى الخاتم بمعجزات حسية يراها البشر رأى العين . فهم رأوا إبراهيم يلقى فى النار ، ورأوا النار وهى برد وسلام على إبراهيم.. إنها معجزة حسية شهدها أبناء عصره . وآمن بإبراهيم من آمن ، وكفر به من كفر ، مرتئيا فى معجزته مع النار نوعا من السحر . . فالإيمان فى أغلب الأمر نور فى القلب يؤيده العقل ، ويؤكده . أما إذا جمد القلب وتحجر فهناك لا حيلة للعقل مع القلب ، ولا سبيل للكافر أن يؤمن .

وشهد عصر موسى العديد من معجزات السماء ، رأوا عصاه وهى تلقف ما يأفكون، ورأوا الله سبحانه وتعالى يشق له البحر العباب ، يسير بين أمواجه المتجمدة المؤمنون ، حتى إذا أمنوا إلى الشاطئ وعبروه ، انطبقت أمواج البحر على الكافرين من أتباع فرعون فأغرقوا أجمعين . ثم آمن من قومه من آمن ، وكفر منهم من كفر . .

أما عيسى عليه السلام فقد كان معجزة منذ اللحظة التى حملته فيها البتول العذراء ، وصار معجزة لم تتكرر وهو يولد ، ثم هو معجزة وهو يكلم قومه وهو فى المهد صبيا ، تتابعت المعجزات على يديه ، فأحيا الميت ، وشفى الأبرص ، ونفخ فى الطير فوهب لها الروح بإذن الله .

ومع كل ذلك لم يؤمن به قومه أجمعون . . وكما أنشأ بعض أنصار موسى عجلا من ذهب وعبدوه ، حرف بعض أنصار المسيح تعاليمه وبالغوا فيها . ويشاء اللّه فى علياء سمائه أن يكون موت عيسى معجزة كمولده ، فيرفعه إلى السماء ، وينقذه من كيد الكائدين له ، أولئك الذين انقلبت معجزاته عندهم نقمة عليه وانتقاما منه .

وتنقضى الأيام وتزول آثار هذه المعجزات ، إلا أحاديث على أفواه الناس يصدقها من يصدقها ، وينكرها من ينكرها .

وأغلب الأمر أننا نحن المسلمين ما كنا لنصدق شيئا من هذه المعجزات ، لولا أنها جاءت فى القرآن الكريم فأصبحت عندنا حقائق لا تقبل الشك .

وقد اختار اللّه سبحانه وتعالى أن يكون حامل رسالته بشرا من البشر ، ليس له أى معجزة إلا معجزة القرآن التى ذكرها سبحانه بقوله : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وقد فعل وصدق وعده جل وعلا ، وانتقل القرآن بنصه وحرفه من القلوب إلى الألسنة إلى الجلود والعظام إلى المطبعة ، فتم له الحفظ .

والنبى الكريم الذى حمل إلينا الرسالة بشر رسول . يقول تعالى فى سورة الإسراء فى الآيات : ٩٠ وما بعدها : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى باللّه والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا . وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث اللّه بشرا رسولا . قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ﴾ . صدق اللّه العظيم..

فمعجزة النبى إذن أنه بشر رسول . وأن اللّه لم ينزل ملكا رسولا لأن الأرض ليس بها ملائكة يمشون مطمئنين .

وقد جاءنى خطاب من رجل مؤمن يحس فى نفسه غصة ، أن النبى عليه الصلاة والسلام يتصرف تصرف البشر ، وليس تصرف الأنبياء . وهذا ما دعانى أن أسوق إليه وإلى من شاء هذا الحديث . . إن معجزة النبى يا أخى أنه بشر وأنه رسول .

فهو بشر حين يقول : حبب إلى الطيب والنساء ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة ، وهو رسول لأنه لم يعتد على حرمة ، و لم يرتكب حراما ولا إثما .

وهو بشر حين يأمر بالحرب ليرد بها الأعداء عن دينه ، وهو رسول حين لم يثخن فى الأرض ، و لم يعذب الأسرى ، وحين راح يتلمس الأسباب للعفو عنهم .

وهو بشر إنسان أب حين سمع أن على بن أبى طالب يريد أن يتزوج على ابنته فاطمة، فيصيح اللهم إنى غاضب . . اللهم إنى غاضب . . اللهم إنـى غـاضب . . هـو غـاضب لأنه بشر ولأنه يحب ابنته كمـا يحـب البشـر بنيهـم وبنـاتهم ولكنـه نبـى ورسـول وأمـين وشريف ، لأنه لم يقل إن زواج على بـأخرى على فاطمـة يغضـب اللّـه ، أو أنـه يخـالف الدين ، أو أنه يقع زواجا باطلا . .

وهو بشر حين تدمع عينه لموت ابنه . . ولا يسـتطيع أن يخفـى ألمـه العميـق للكارثـة . وأى كارثة أفدح من فقدان ابنه ، وهو قطعة منه ، فهو يبكى على رغم علمه أن ابنه رفع إلى الجنة التى يعد بها اللّه على لسانه المتقين من عباده ، وأى عباده أعظم تقوى من طفـل ما زالت الأكتاف تحمله ، وهو يبكى لأنه بشر . ولكنه رسول اللّه فـى القمـة العليـا مـن الإيمان ومن الثقة بربه وبدينه وبما أنـزل إليـه ، حـين يحـاولون تعزيتـه بقولهـم إن الشـمس خسفت لموت إبراهيم ، فإذا الرسول يقول فيه : الشمس والقمر آيتان من آيات اللّـه ، لا يخسف أحدهما ولا يظهر آخر لموت أحد ولا لحياته .

وهو بشر حين يتطيب حتى لا يشم الناس منه إلا أجمل رائحة ، وهو رسول حين يأبى أن يترك لبنيه أى مال يعينهم على الحياة . .

وهو بشر حين يزور فاطمة ويجدها نائمة وبجانبها زوجها على ، إن غطى الرداء الذى يتدثران بـه الأقـدام منهمـا كشـف عـن صدريهمـا ، وإن غطـى صدريهمـا كشـف عـن أقدامهما . وتأخذه الشفقة على ابنته وزوجها لأنه بشـر ، ولكـن لأنـه رسـول لا يبحـث لهما عن مال لو طلبه لانهال عليه من المؤمنين . وإنما يقول لهما : أأدلكما علـى خـير مـن هذا . . قولا سبحان اللّه ثلاثا وثلاثين مرة والحمد للّه ثلاثا وثلاثين مرة واللّه أكـبر ثلاثـا وثلاثين مرة ، فلأنه رسول حمل كلمة اللّه . ﴿ ألا بذكر اللّه تطمئن القلوب ﴾ دثر ابنتـه وزوجها بكلمات اللّه وطمأنينة القلب .

ولأنه بشر أحل دم الشعراء الذين هاجموا الإسلام ، وكأنمـا ألقـى إليـه أن يفعـل وهـو مطمئن لأن أحـدا منهـم لم يقتـل قـط . . ولأنـه رسـول قبـل توبتهـم أجمعـين ، ورضـى إسلامهم .

ولأنه بشر كانت الشفقة تأخذه على ابنته فاطمة ، وأعمال البيت والأبناء ترهقها أشد الإرهاق ، ولكن لأنه رسول يرفض رجاء فاطمة إليه أن يخصص لهـا واحـدة ممـن سـباهم المسلمون فى غزواتهم . .

فالنبى محمد يا أخى المؤمن نبى لم يسبق له مثيل فى دنيا الأنبياء . فقد كان لكل منهـم معجزة زالت مع الأيام ، لأن كلا منهـم جـاء لقـوم بذاتهـم ، وكـانت معجزتـه موجهـة

لهؤلاء القوم وحدهم . . ولكن النبى البشر جاء للناس كافة وللعالم أجمع ولكل الأزمان حتى يرث اللّه الأرض وما عليها ومن عليها . فلم يكن عجيبا يا أخى أنه لم يكن له صرح سليمان ذو القوارير ، ولا عرف لسان الطير ، ولا سخرت له الجن ، ولا كان عجيبا ألا تأكل عصاه ما يأفك الساحرون ، ولم يكن عجيبا ألا يشق له البحر .

إنه نبى فريد فى نوعه . . نبى ارتضى له اللّه أن ينهزم جنده فى موقعة أحد ، حتى يثقوا أن نبيهم بشر من البشر ، وأنهم إن لم يبذلوا جهدهم لنصرة دينهم ، فإنهم منخذلون .

إنه نبى ولد من أب وأم وقال له اللّه ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ . . إنه لم يخصه اللّه أن يحيى الميت أو يشفى الأبرص . .

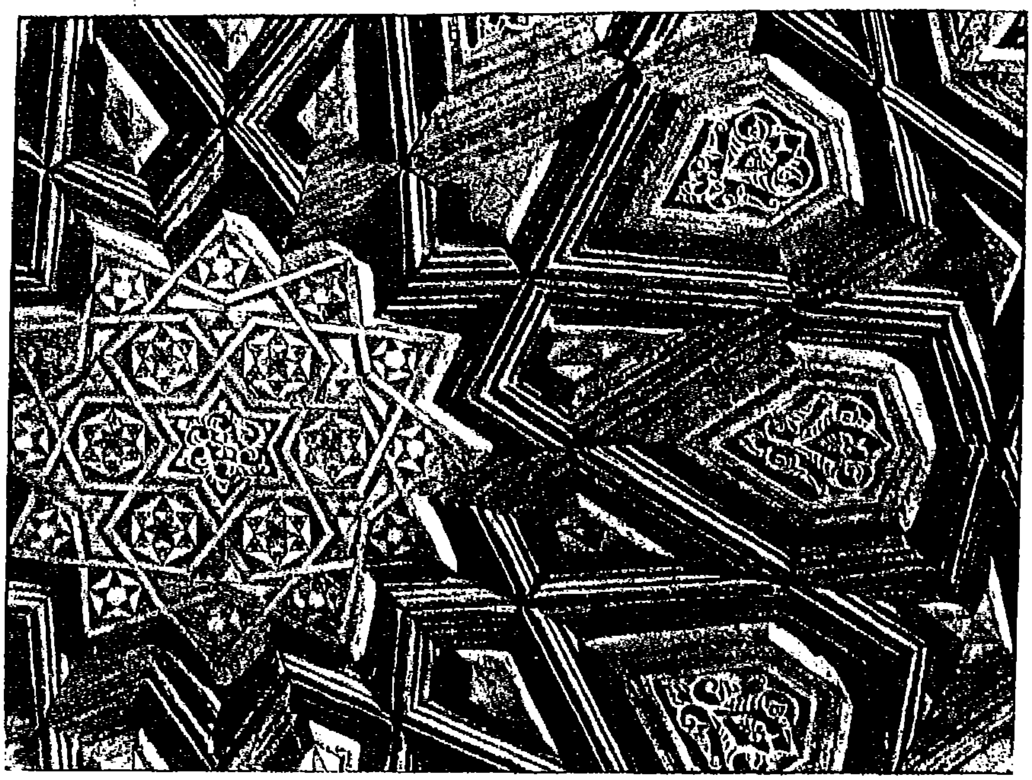
إنما خصه بمعجزة واحدة . . هى القرآن الكريم . . وخصه أيضا بكل ما فى البشر من طباع . ألا إنه على خلق عظيم أدبه ربه فأحسن تأديبه . وقد أرسل فى عصر الجهالة والتكبر الفارغ فحطم الجهل ، وأذل التكبر ، وجعل بكلام اللّه الناس سواء وبدأ بنفسه . . وإذا لم يكن النبى بشرا مثله مثل سائر الناس ما بلغ من نفوس أنصاره هذا الإيمان المذهل الذى جعلهم يفدونه ويفدون دينه بأرواحهم .

لقد رأوا فيه إنسانا مثل كل إنسان فى مشاعره ، ونبيا شامخا مباركا . .

بشر هو يحب النساء مثل البشر ، ولكنه فى الحلال كالأنبياء . ويحب الشعر كالعرب ، ولكن فى الكريم من المعانى والرفيع من الخصال مثل الأنبياء . ويحب بنيه أشد ما يكون الحب شأن الكرام من البشر ، ولكنه يأبى أن يجعل أحدا منهم يتميز عن الآخرين بأقل ميزة ، فالناس سواء ولو كان أبوهم النبى نفسه سيد البشر .

وبعد يا أخى ، فإننى أرجو أن أكون قد بلغت من نفسك ما أتمنى لنفسى أن أبلغ ، وأرجو إذا قرأت هذا أن تقر حيرتك إلى الإيمان الخالص الذى ألمح أضواءه فى أطواء كتابك ، والسلام عليكم ورحمة اللّه . .

❀❀❀



أين أنتم من النبى (ﷺ)

أين أنتم من النبى ﷺ

الخوف هو أبشع المشاعر الإنسانية ، فإن النفس الإنسانية بلطف من اللّه الرحمن الرحيم تستطيع أن تواجه الشدائد حين تقع . والإنسان فى مواجهة البلاء له من عون اللّه ملجأ ومرتفق ، وله من إشفاق اللطيف سبحانه مرفأ ومأمن وجنة . وللإنسان فى هجير الحياة واحة من إيمانه . وله من يقينه فى عزيف الرياح الهوج حوله حصن وسياج .

ولكن الإنسان عند الخوف مذهوب العقل ، ذاهل الفكر ، ضاع رشده واختل حكمه ، يعتصر الرعب مشاعره ، فإذا هو حطام وبقايا .

فالخائف لا يدرى قدر الكارثة القادمة ، ولا هو يعلم كيف ستحل به ، ولا فى أى جانب من جوانب حياته ستصدعه ، ولهذا يقول الرحمن جل وعلا ، وهو الرفيق بعباده الشفوق : ﴿ ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا للّه وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ . (البقرة : ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧) .

وأنت ترى أن اللّه حين يختبر عباده ، يبلوهم بشىء من الخوف وليس بالخوف كله ، وبعض الخوف هذا أشد وقعا وفتكا من الجوع وهو الجوع ، ونقص الأموال بل هو أشد فتكا من نقص الأنفس وهى الأنفس .

فالموت يهون إذا نحن قارناه بانتظاره .

وهكذا هو اللّه جل وعلا . . رحمن رحيم رؤوف شفوق عطوف حان حنانا لا تعرف البشرية له مثلا . . ضئيل كل الضآلة حنان الأم على وليدها إذا نحن ذكرنا معه حنان اللّه ، وهزيل غاية الهزال إشفاق الأب على بنيه إذا نحن تمثلنا معه إشفاق اللّه بعباده.

هذا هو اللّه ..

فمن أين أتت هذه الطغمة القاتلة السفاحة بقسوتها تلك ؟ ومن أين استوحت جبروتها وطغواها ؟ وكيف أذنت لنفسها أن تدعى نسبا إلى روح اللّه وهو رحمة ؟ وإلى دين اللّه وهو حنان ؟ وإلى كتاب اللّه وهو الهدى ؟ وإلى أحكام اللّه وهى عدل وقسط وقسطاس مستقيم ؟

وكيف تفجرت هذه الجماعات بيننا ذعرا وهلعا وجبروتا ، تفشى الخوف وتدفع به دفعا إلى أفئدة الوادعين من شعب طيب النفس ، كريم العنصر ، مؤمن جميعه بروح اللّه ورحمته وهداه ؟

وكيف سمحت لنفسها أن توجه التهمة فى غيبة الاتهام ، وتحاكم المتهم فى غيبة المتهم وفى غيبة كل مدافع ، وتصدر الحكم فى غيبة الضمير ، وتنفذ الحكم فى غيبة الإيمان منها وفى غيبة العدالة ، وفى خفاء عن رجال الأمن الذين لا يجوز أن ينفذ حكم إلا بأيديهم بناء على حكم صادر من قضاء ينظر القضية مثنى وثلاث ورباع ؟

أبدين اللّه يدين هؤلاء ؟ لا ورب الكعبة ، لا وبيت اللّه ، لا وحق الكتاب المنزل بالحق .

أيتوهمون أنهم ما داموا قد أطلقوا لحاهم أصبح لهم حق قتلنا باسم الدين وبشرع اللّه ؟ ضلوا واللّه وفسدوا وأفسدوا وجنح بهم الطريق كل الجنوح .

أيتوهمون أنهم وقد لبسوا جلابيبهم مسوخا وزيفا أصبحوا قواما على المسلمين ، يروعون أمنهم ، ويقتلون بريئهم ، ويجتاحون شوارع مصر يصيبون من يتقصدون ومن لا يتقصدون ، أطفالا وعابرى سبيل ومن لا شأن لهم بالقضية الباطلة الهازلة الحزينة الدموية التى نصبوا أنفسهم زورا وبهتانا رعاة لها ، ومدعين وقضاة ومنفذين ؟ . . خاب رأيهم وضلوا وحق اللّه ضلالا مبينا .

إن الفتى من هؤلاء يقف أمام المرآة فلا يرى شيئا ، فراغ هو حيث وقف ، لا وجود له وإن كان ذا وجه وجسم . ويدرك الفتى أنه ليس له معنى ولا أعماق ، وأنه يمر بالناس حين يمر فكأنه ما وجد .

والفتى غرير ، والرأس فارغ ، والعقل هزيل خواء لا أثر فيه لعلم ، ولا نصيب له من وسائل تفكير .

والفتى يحب أن يشعر به الناس إذا هو بدا للناس ، والغالبية الكاثرة من الشباب تحسن التفكير ، وتعلم أن قدر الإنسان إنما يكون بمخبره لا بمظهره ، وبعلمه لا بتنكره ولكن الفتى الغرير الجاهل فارغ الرأس هزيل التفكير ، يريد أن يصبح شيئا مذكورا ، بلا جهد عقلى وإن كان على استعداد أن يقوم بجهد جسدى شأن البهم والدواب والوحوش ،

إذن ليحل لنفسه أن يقول تشبها بالرسول الكريم ﷺ خسئت أيها الفتى ، وأين أنت من هذا الرحاب ؟ وأين الثرى من ثريا البشرية ، وكوكبها المفرد ، وحامل أعظم رسالة من السماء ، ومن هو على خلق عظيم ، ومن أدبه ربه فأحسن تأديبه ؟

خسئت أيها الفتى ، وجل النبى عن هذا وﷺ ، وصلى عليه المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها وسلموا تسليما ، جل متسودا على البشرية أن يكون التشبه به فى لحية أو جلباب إنما التشبه بقمة البشرية وذؤابتها يكون فى الإيمان سما حتى السحاب وما فوق السحاب . . فى الخلق العذب . . فى الرحمة بالناس . . فى حب البشر . . فى الإيناس فى أدب السماء . . إذا مر باللغو مر كريما ، وإذا خاطبه الجاهلون قال سلاما . .

أما اللحية يا من ترتدون اللحية نفاقا وجهلا ، فقد كان يلتحى بها أبو لهب الذى تبت يداه وتب ، وكان لعنة اللّه عليه يلبس الجلباب أيضا ، وكان كل كفار العرب يطلقون لحاهم ويلبسون الجلابيب ، فقد كانت اللحية والجلباب سمة العصر ، وكان النبى ﷺ بشرا رسولا . وهكذا بعثه ربه ، وهكذا سار بين الناس ، لا يختلف عنهم فى مظهر أو هيئة أو ملبس ، إنما المعجزة فيه أنه بشر رسول لم يحى ميتا ولم يلحق بعصاه لتلقف إفكا ، هو بشر يحمل المعجزة . ألم يقل عنه ربه جل وعلا : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ ﴾ ، أو لم يقل سبحانه : ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون ﴾ ؟ أو لم يقل تقدست أسماؤه : ﴿ قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ ؟ .

هكذا أراده ربه ، أراده بشرا يحمل معجزة السماء ، والرسول ﷺ يعلم هذا كل العلم ، ويحرص عليه كل الحرص ، ويقول للناس إنما أنا بشر مثلكم آكل وأشرب وأمشى فى الأسواق ، وكانت اللحية سمة البشر فالتحى النبى ، وكان الجلباب ملبس العصر فارتداه ، بشرا كسائر الناس ، معجزته أودعها ربه صدره وأعلنها للناس لسانه وفعله .

فما لكم لا تتشبهون بالنبى فى أخلاقه العظيمة ، وإنه لعلى خلق عظيم ؟ ولماذا لا تتأثرون بسيرته فى أمانته وتتأثرون بلحيته ؟ ولماذا لا تأتسون به فى عدله وشرفه ورحمته وعفته وصبره وتواضعه ونزاهته وطهارته ، وتأتسون به فى لحيته وجلبابه ونعله ، وأين أنتم من نعله ؟ واللحية والملبس والنعل عارض والخلق هو الأصل وهو الحقيقة ، ألم يقل اللّه عنه فى سورة التوبة : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ .

فأين . . أين أنتم من عنت إخوانكم ذوى أرحامكم ، وأين إعزازكم لهذا العنت ؟

وأين حرصكم على المؤمنين وأنتم تثيرون بينهم الرعب وتشيعون القتل وتفشون الدمار؟ ضل سعيكم كم تفسدون .

وأين رأفتكم ورحمتكم ؟ أهى قتل الناس ممن تتقصدون بغيا وعدوانا ، أم إصابتكم من لا تعرفون من الأطفال والمارة قاتلين أو محطمين أو ممزقين ؟ أم تحسبون الرأفة والرحمة نعلا تنتعلون ؟ خاب رأيكم كم تضلون .

وما أكثر اللحى ، الصالحة المشرقة بنور اللّه ، وما أكثر اللحى الفاسدة المفسدة ، وما أكثر الجلابيب على جسوم ضالة ، وما أكثر النعال فى أقدام تسير فى طريق عاج عن الهدى، وابتعد عن الإيمان ، وشط به الفساد ، وكانت الرذيلة نبراسه وإمامه ومهواه .

لو أن النبى سيد البشر ﷺ شهد التليفزيون والمذياع لكانا وسيلتيه لإعلان الدعوة ، ولو أنه شهد الطائرة لركبها لينشر الرسالة ، لقد كان النبى قمة الذكاء ، وكيف لا والوحى يأتيه من الخالق الأوحد الفرد الصمد .

ولكن أين أنتم من طريق اللّه ؟ وأين أنتم من الرسالة ؟ وأين أنتم . . أين من الرسول الكريم ؟

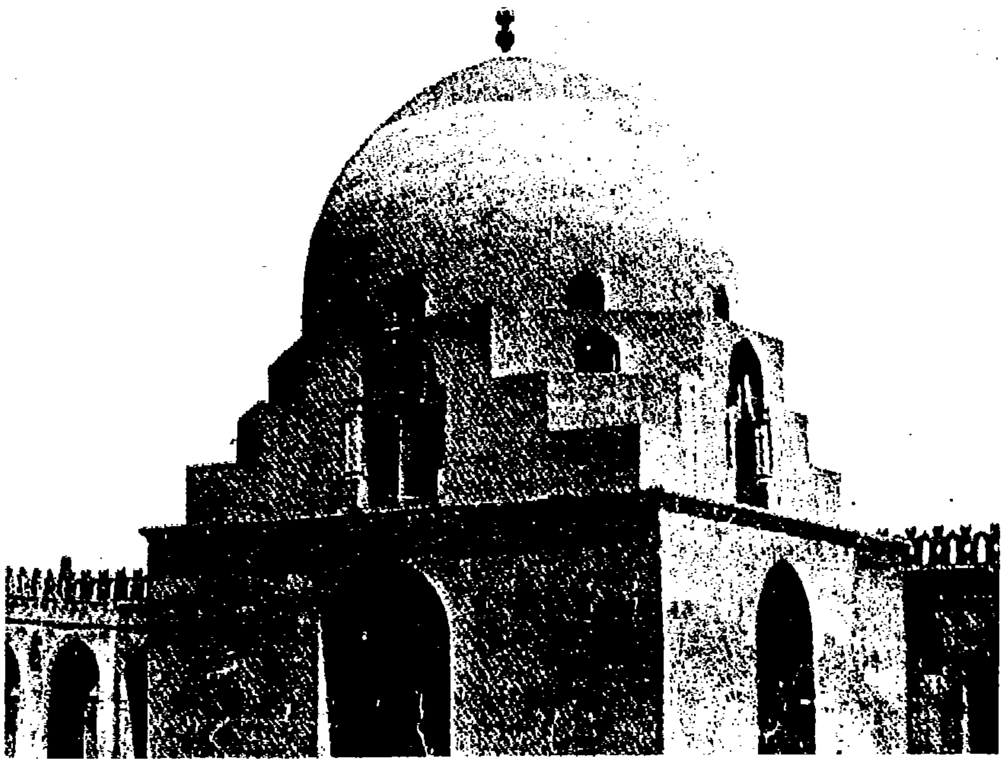
ما ذكرونى إلا بقول ابن الرومى لأحد أغبياء عصره ممن كانوا يتنكرون باللحية عن حقيقة غبائهم :

إن تطل لحية عليك وتعرض ... فالمخالى معروفة للحمير
علق اللّه فى عذاريك مخلاة ... ولكنها بغير شعير

وإن كنت ــ أستغفر اللّه ــ إذ تمثلت بالبيتين فشتمت الحمير ، والحمير لا تقتل ولا تخيف الأمن ولا تشيع الفساد ولا تحطم الطمأنينة ولا تفشى الرعب بين الناس.

فمعذرة للحمير . . ! حيث لا معذرة لكم ولا سلام عليكم ولا رحمة ، وانتظروا أمر اللّه فإنه سبحانه بالظالمين محيط .

❀❀❀



بعض المسلمين وليس الإسلام

بعض المسلمين ، وليس الإسلام ..

الإسلام هو أعظم حضارة عرفتها البشرية ، فمعجزته هى المعجزة الباقية على الدهور، لا يحتاج أن يرويها راو عن راوية . . وإنما هى كتاب كريم فى صحف مطهرة ، لقفها عام عن عام حتى زاد بقاؤها عن ألف وأربعمائة عام ، وهذا واقع حدث فعلا لا مجال فيه لظن ، وهو باق إلى قيام الساعة وهذا يقين المؤمنين الذى يصل فى ثبوته عندهم إلى ثقة هى والواقع الذى حدث فعلا سواء .

وقد يرمينا الملحدون ، شيوعيين كانوا أو كانوا آدميين ، إننا نؤمن بالغيب . ونسخر نحن المؤمنين مما يقولون ، فنحن نؤمن بالله الذى يرينا آياته فى الآفاق وفى أنفسنا ونحن مبصرون . . نحن نؤمن بأن الروح فى الإنسان ، والروح فى كل مخلوقات هى من صنع الله، لا يعلم سرها إلا هو . وما دام هناك سر لم يعرفه الإنسان ، وهذا السر فى ذاته أصل حياته ووجوده وسبب حياة العالم أجمع ، فهناك إذن قوة علينا لا يدركها عقل الإنسان ، ولا يستطيع الوصول إليها .

ونعلم نحن المسلمين أن هذا القرآن لا يسطع إلا من قوة عليا لا ندرك مداها ، ولا سبيل لنا أن نبلغ أيسر أسبابها . وبما هذا نحن مؤمنون وبما كتاب الله نحن مسلمون .

فلا غيب إذن فى الأمر ولا غيبوبة . .

أما الغيبية الحقيقية ، والرجم بالظن الذى يصل إلى أبعد آفاق السذاجة والسطحية ، فهو فى قول الملحدين ، شيوعيين كانوا أم كانوا آدميين ، إن أصل العالم مادة . . عجيبة..! أوَكانوا عند ذلك العالم وهو ينشأ ؟.. فمن أين لهم إذن أن يعرفوا أن المادة أصله إلا أن يكون ذلك إعمالا للظن الذى لم يثبته علم ، فادعاؤهم أنهم يعتنقون العلم بهذا الذى يقولون هو فى ذاته غيبية ، لأن العلم لا يعرف إلا اليقين ، فمن أى يقين عندهم أثبتوا أن أصل العالم مادة ؟ .

إن العلماء الحقيقيين أجمعوا فى أقطار الأرض جميعا على أنهم وصلوا من العلم إلى ظواهره . . وإلى جزء من مداه ، وأن هناك أصبعا تطلع عليهم عند أمد معين من بحوثهم

تأمر فى حسم الملك الواحد الأحد مكانكم . . إلى هناك وينتهى اجتهادكم ، وما بعد ذلك هو من شأن العليم الأول والآخر ، والذى تنتهى إليه أسرار كل ما فى السموات والأرض التى هو بديعها . .

ويجمع العلماء أن هذه الأصبع واحدة هى هى لا يتغير شكلها فى شتى مناحى العلوم.. هى أصبع الكهرباء والذرة والطبيعة والكيمياء والطب وكل العلوم بلا استثناء .

عرف الإنسان كيف تسير آلة جسمه ، ولكنه لا يعرف سر الروح ، ولا يعرف ما الذى جعل الكبد يفرز الصفراء ، ولا ما الذى جعل العيون تبصر وتفيض بالدمع ، ولا عرفوا سر تلك القوة الإلهية المتمثلة فى العقل . .

ووصل الإنسان إلى القمر ، ولكنه لم يعرف من الذى أودع فى الوقود هذه الطاقة ؟ عرفوا الظاهر ولم يعرفوا سره ولا باطنه . . توصلوا إلى العارض البادى ، ولم يتوصلوا إلى ما وراء هذه القوى العجيبة فى الجماد ، التى بلغ من جبروتها أن وصلت بالإنسان إلى القمر . . كل ما استطاع الإنسان أن يتوصل إليه هو مدى فاعلية ما تحمله المادة من قوة . أما سر هذه المادة ، فهو لم يعرفها ، كما لم يعرف الطبيب ما الذى نظم الجسم هذا النظام الأمثل ! ولهذا يضطر الطبيب أن يؤمن بقوله تعالى : ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ﴾ ويضطر علماء الأخلاق أن يؤمنوا بقوله تعالى ﴿ ثم رددناه أسفل سافلين ﴾ . فلا شك أن فى بنى الإنسان من هو فى أسفل سافلين . وهل هناك أسفل من الجاحدين الذين يرون آيات اللّه رأى عين فى أنفسهم وفى الآفاق ، ولا تصيح كل خالجة فيهم اللّه أكبر لا إله إلا اللّه . . ؟

ثم يدعون أنهم مسلمون ، أوَمسلمون هم ، وهم يقولون بالمادة لا باللّه . ؟ أوَمسلمون هم ، وقد حرموا ما أحل اللّه وما نهى عن المساس به . ؟ أوَمسلمون هم ، وهم يدينون بالولاء لبلاد تقتل النفس الإنسانية وتعذبها وتشردها وتحبسها وتغلق عليها منافذ الحرية . ؟ أوَمسلمون هم فهل قرأوا قوله تعالى : ﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب . وما اللّه بغافل عما تعملون ﴾ ، من الآية : ٥٨ من سورة اسمها سورة البقرة ؟ أفسمعوا بها . . ما أظن وإلا فما لهم يقولون إن المؤمنين بدين اللّه بعيدون كل البعد عن الحضارة ، وإنهم جامدون متحجرون ، حتى لقد أشاعوا بين فصيلة من الشباب أن التفتح العقلى والسمو الفكرى والتألق الذهنى لايكون إلا لهؤلاء الذين لا يحافظون على دينهم ، ولا يرعون حقوق ربهم ، لأنه لا رب عندهم إلا المادة ، ولا إله إلا الطغيان ، ولا فيصل إلا السلاح ولا حاكم إلا الجبروت .

أوَمسلمون هم ، فما لهم يطلقون تلك الكبيرة : أن التمسك بأسباب السماء بعد عن الحضارة ، ولو أنعموا النظر أو أمضوا الفكر ، لتبين لهم أن الدين هو الحضارة البشرية ،

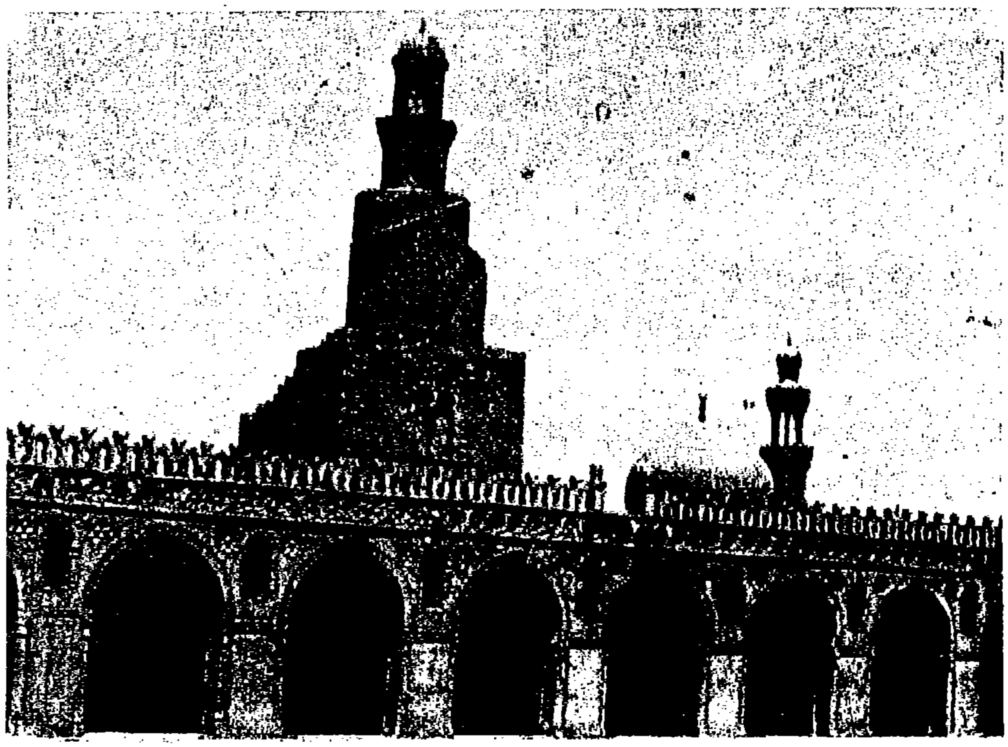
وأن الدين الإسلامى هو قمة هذه الحضارة لأنه الطريق الذى اختاره بارئ البشر للبشر ، وإلا فليذكروا هم لنا طريقا آخر لا يضل الإنسان ، ولا يصبح قطعة من جماد حقير لا تصلح أن تكون إنسانا . .

إذا كانوا يظنون أن تخلف بعض الدول الإسلامية دليل على تخلف الإسلام ؟ فهم يغالطون أنفسهم ويغالطون الناس ، فما تخلف الإسلام وإنما تخلفت الأغلبية الكاثرة من المسلمين ، وما كان تخلفهم هذا إلا لخروجهم عن أوامر الإسلام وروحه وقيمه الباذخة السموق . . فالقرآن يحض على العلم ، وهم لم يتعلموا . والإسلام يحض على السعى ، وهم قعدوا . ويحض على السمو بالرغبات ، وهم سفلوا . ويحض على كرم المال والنفس ، وهم بخلوا . فلا واللّه الذى لا إله إلا هو ما تخلف الإسلام ، وإنما تخلف بعض المسلمين . وبعض منهم آخر ، ربما كان قليلا ، ولكنه يحطم قول المجترئين على جلال ديننا .. أولئك قوم غزوا الغرب فى قمة تقدمه العلمى ، وكانوا أساتذة أجلاء علماء سابقوا فسبقوا ، ولم يلحق بهم لاحق . والأمثلة لا حصر لها ولا تعداد ، وهم سابقون بفضل دينهم وتمسكهم بروح هذا الدين وتعاليمه ، وتحضره وتقدميته ، فليست التقدمية إلحادا ، وإنما هى إيمان ـ فالإلحاد سابق على الدين . والإيمان تصحيح لمسار البشرية والإسلام أعظم ما هدى به اللّه البشر : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ (سورة المائدة ، الآية ٣) . ويمكن أن تكون آخر رسالة من السماء إلى الأرض إلا قمة الحضارة الفكرية . . فإذا قيل لنا إن غير المسلمين هم الذين تقدموا حضاريا ، لقلنا لهم ما كان ذلك منهم إلا لأنهم هم طبقوا تعاليم الإسلام من علم وثقافة ، وسعى وجهد ، اهتدوا إليها بما أودعه اللّه فى قلوب البشر من قبسته النورانية ، فوصلوا إلى ما وصلوا إليه من حضارة ، بينما زاغ المسلمون أنفسهم عن تعاليم دينهم ، فتأخروا هم ، ولكن الدين من تأخرهم براء . فهم قد تأخروا على الرغم من أنهم مسلمون ، لا لأنهم مسلمون ، فليس الإسلام مجرد صلاة وصيام وزكاة ، وإنما هو روح وجهاد ، وسعى حثيث ، وتجميل للحياة ، وتمازج بين العلم والروح .

وليس هناك دين ولا تشريع أغفل الروح وأفلح ، أو أغفل العلم وكتب له النجاح .

فليقصر إذن الكافرون الملحدون . . وليحترموا آدمية الإنسان . . وليتركوا له الحرية التى وهبها اللّه . . وأما الإسلام فإنه سيد الحياة ، شاءوا أم أبوا . . واللّه غالب على أمره، وإن كره الملحدون : شيوعيين كانوا ، أم كانوا من البشر .

❀❀❀



تعقيب على رد

تعقيب على رد

توقعت أن يرد الأستاذ الأخ عبد الرحمن الشرقاوى على المقال الذى نشرته الأسبوع الماضى معلقا على أحد فصوله ، عن على إمام المتقين ، وتوقعت أيضا أن يكون رده بهذا الأدب الرفيع وهذا الخلق الأسمى الذى لا أعرف عنه غيره . .

وبقى أن أعقب على رده ، وابدأ بأننى ما إلى السخرية قصدت ، وحاشاى أن أفعل ، وإنما هدفت إلى أن أبين انتفاء ما استشهد به مع ما أنزله اللّه على رسوله ، فيما يتصل بالمال ، بعد الأحاديث التى ساقها الأستاذ عبد الرحمن مؤيدا بها وجهة نظره . وما أحسب الأستاذ الشرقاوى إلا يعلم أننى حريص على العدل الاجتماعى حين يتمثل فى أن تضيق الفوارق بين الطبقات ، وفى أن يتصدق الغنى على الفقير بوازع من نفسه ، وأرفض فى الوقت ذاته أن تستولى الدولة على كل مال يغل ريعا للناس ، فيتأدى بنا الأمر إلى ما تتأدى إليه فى البلاد الشيوعية ، وفارق كبير بين أن تندب الناس للصدقة ، وتحثهم عليها ليقدموها بمحض اختيارهم ، وبين أن تفرض عليهم الفقر ، فينكشف غبار المعركة عن مجتمع كله فقير معدم ، بدلا من مجتمع يسوده المرحمة والتواد والتعاطف والحب ، فإن الناس إذا أصبحوا جميعا فقراء سادت بينهم شريعة الغاب التى نراها سائدة فى البلاد الشيوعية .

وأنا أيها الصديق الأعز ، والذى سيظل دائما صديقى الأعز ، معجب بنظام الضرائب التصاعدية وأحبذها وأراها من أصلح الأنظمة الاقتصادية لمواجهة عصرنا هذا ، فلا خلاف بيننا فى هذا الشأن .

أما الآيات التى استشهدت بها ، فهى هى ما قصدت أنا إليه ، ولا أتصور الحياة بغيرها . وهل يمكن أن يدعو الرحمن لغير هذا ؟ وكيف نتوهم أن يوصى اللّه عباده بوصاة

خيرا من أن يكون فى أموال الأغنياء حق معلوم للسائل والمحروم وهو الذى بسط الرزق لهم وقدره على غيرهم ؟

وما استشهدت به من أحاديث أيضا لا خلاف عليه . وهل يمكن أن يكون هناك خلاف بينى - وأنا من تعرف من دخائله ما لعله يجهله عن نفسه - وبينك فى أنه لا يجوز أن يبيت إنسان على شبع ، وهو يعلم أن جاره جائع ؟ أما ما سقته عن رأى عثمان من أن الزكاة تكفى فإننى أرى أنها من ناحية الوجوب كافية ، ولكنها من الناحية الإنسانية أقل من الكفاية وما أحسب أن هناك خلافا على هذا .

أما أن الحاجة فينبغى ألا تزيد عما يكفى الأهل والأولاد فى حياة عائلهم فقط فهنا أختلف معك خلافا لا محيد عنه فإنه إذا استقر الأمر على ذلك انتفى الميراث وعدنا إلى التناقض مرة أخرى فإنه إذا صح إنه لا ينبغى للإنسان أن يدخر لأبنائه ما يقيهم شر الحاجة من بعده ، ويجعلهم فى غنى عن الاستجداء ، ينتفى الميراث انتفاء تاما . وأنت يا سيدى تقول فى صدر مقالك أنه لا خلاف حول الميراث ، فكيف يكون هذا إذا كنت لن أبقى لهم من باقية إلا ما أنفقه عليهم فى حياتى وماذا سيرثون إذن ؟

أما استشهادك بأبى بكر فاستشهاد بشخصية من قمم التاريخ والإنسانية ، وما أظن أن مثله يمكن أن يكون كسائر البشر ، وأن ما صنعه خاص به وحده ، وهو صديق النبى وصفيه وثانى اثنين إذ هما فى الغار ، أما يا سيدى ما ذكرته عن بكاء عبد الرحمن بن عوف ، حين اقترب منه الموت ، فاسمح لى أن أعجب منه ، فقد كان يستطيع بكل بساطة أن يمنح ماله كله لبيت المال ، ويكف عن البكاء . أما أن يبكى ويبقى على ماله لأبنائه فتصرف يدعو إلى الدهشة .

أما ما ذكرته عن مجتمع التراحم ، فإنى واثق أنك لا يمكن أن تتصوره بقهر الناس وإرغامهم على ما لم يشرعه اللّه . وإن كان هذا رأى بعض الفقهاء ، فلا شك أن هناك آراء أخرى أكثر قوة تجعل الصدقة بعد الزكاة مندوبة مستحبة ، وليست حتمية مفروضة كما تريد أن تؤكد ، وأن ماسار عليه المسلمون لألف وأربعمائة عام لدليل على صدق ما أذهب إليه .

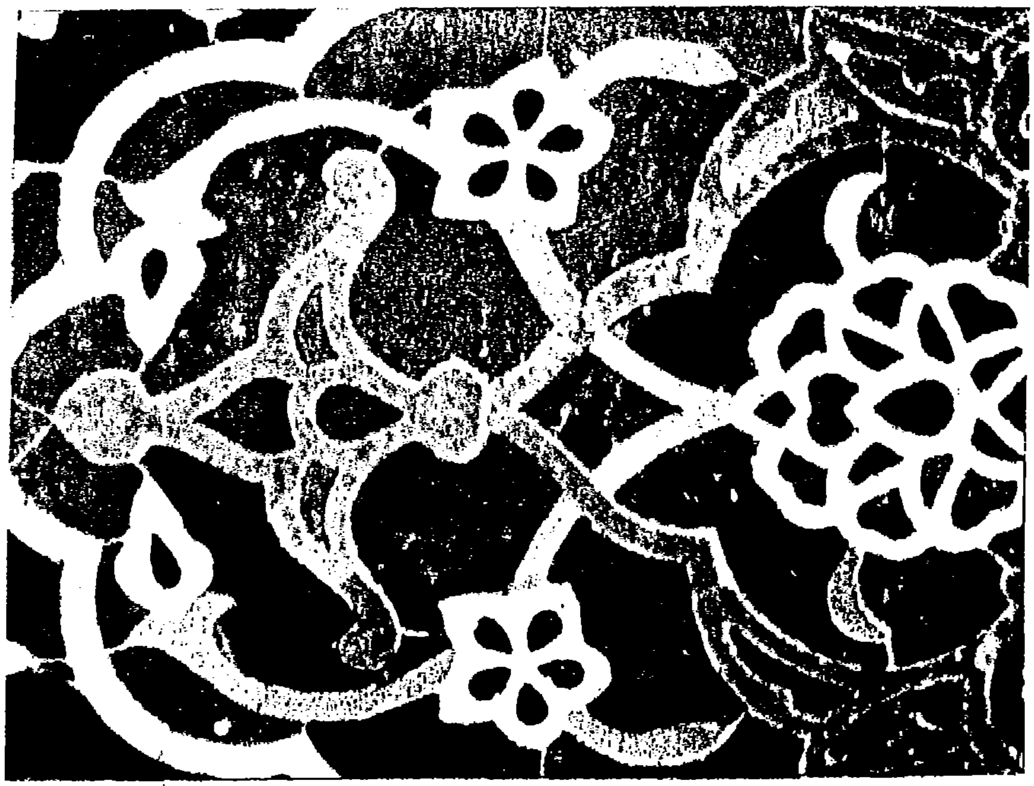
أما ما تقوله عن الدول الغنية والدول الفقيرة ، فإننى لا أتصور الحياة حياة شريفة إلا بما ترى أنت فى هذا المضمار .

وأما ما ذكرته عن عمر بن عبد العزيز ، فهو دليل لى وليس علىّ ، فقد أخذ عمر المال ممن كانوا قد انتهبوه ، ولم يكن لهم بحق ، ورده إلى أصحابه الشرعيين ، ورد إلى بيت المال ما لم يجد له صاحبا على قيد الحياة ، وهذا أمر يتحتم على ولى الأمر وجوبا ، وليس مجرد حق له . وإذا هو لم يفعله ونكص عنه وقع عليه التقصير .

وبعد يا أخى ، فإن ما ذكرته عن حسن ظنك بى ، هو وأكثر منه ، علمى بك . ولولا خشيتى أن يقال إننا نهزنا الفرصة لنتقارض الثناء ، لذكرت كل ما أكنه لك من حب وتقدير وإعجاب .

على أن رأيك هذا ، إذا أخذت به دولة إسلامية ما ، فإنها لن تطبقه إلا مرة واحدة فى عام واحد . أما العام التالى فإنها بإذن واحد أحد لن تجد عند أى فرد من رعاياها ما يستحق أن يدفع عنه الزكاة . وما دامت الزكاة قد سقطت فإن الصدقة أيضا تسقط من باب أولى ، وإنك يا أخى لو أعملت الرأى فيما تقول ، لوجدت أنك به لا تلغى الميراث وحده ، وإنما تلغى الزكاة أيضا . وإلا فعلى أى مال سيزكى المواطن فى عامه التالى ، ما دام قد دفع بماله الفائض جميعا إلى الدولة فى عامة الفائت ؟ إنه سيكون مستحقا لمال الزكاة ولن يجده ، أو لمن يتصدق عليه ، وهيهات أن يعثر على متصدق أو صدقة .

❀❀❀



مناقشــــة

مناقشـــة

أرسل الأستاذ صلاح شادى مقالا إلى الأهرام وكنت أنوى أن أنشره وأناقشه لـولا أن الصفحة فى الأسابيع الماضية كـانت لا تستطيع أن تتسـع لمقالتـه الطويلـة . ولم ألبـث أن وجدت الأستاذ صلاح ينشر مقاله فى جريدة حزبية ، فأصبح الذى يقع فـى ضمـيرى أن أناقش ما نشـره دون حاجـة إلى نشر مقالـه كـاملا . وأحسـب أن القـارئ سيدرك مما سأقتبسه من مقاله فحواه جميعا .

يتساءل الأستاذ صلاح لماذا ينافى المنطق أن تكـون هـذه الجماعـات الدينيـة ممثلـة فـى المجالس باختيار الشعب ؟

والواقع يا أستاذ صلاح أننى لم أقل إن تمثيلكم فـى المجـالس التشـريعية ينـافى المنطـق ، فمنافاة المنطق أو الاتفاق معه مسألة خلافية تحتمل القبول أو الرفض . .

إنما الأمر الـذى لا مناقضـة فيـه ولا شـك ، أنهـا تخـالف الدسـتور . وليـس فـى هـذا خلاف. وهذا هو الذى ذهبت إليه . وتمثيلكم فى المجالس التشريعية ، وقيام حزبكم بادئ ذى بدء ، يقتضى تغيير الدستور ، وهذا ليس رأيا يحتمل المناقشة وإنما هو نـص دسـتورى قانونى لا شك فيه ولا شبهة ولا خلاف . .

واسمح لى والأمر كذلك أن أستشهد بالآية التى سقتها فى هـذا السـياق ، وهـى قـول الله تعـالت أسمـاؤه : ﴿ ولا يجرمنكـم شنئان قـوم علـى ألا تعدلـوا . اعدلـوا هـو أقـرب للتقوى ﴾ .

وأحسب أنك لا تخالفنى أن العدل يتم من القاضى إذا طبق القـانون الـذى يحكـم فـى ظله . والعدل يتم من الفرد إذا وضع القانون نصب عينيه وهو يدلى برأيه فيما يعـرض لـه من أمور الحياة .

أما لماذا أعتبره تحايلا على القانون فأمر لا يحتمل أن تستعمل فيه كلمة اعتبار التى اخترتها . هو تحايل على قانون قائم لا شك فى ذلك ولا شبهة .

وتسأل يا سيدى . فهل ترى أن مجرد النداء بتطبيق الشريعة الإسلامية يقع تحت بند من هذه البنود . . تقصد التى وردت فى القانون رقم ٣٣ لسنة ١٩٧٨ .

وجوابى عليك يا سيدى « اللهم نعم » . . « اللهم نعم » . . « اللهم نعم » . . لا شك فى ذلك .

وهو أيضا ينافى قانون الأحزاب فى مادته الرابعة فى فقرتها الثالثة . وهو أيضا ينافى الدستور فى المادة الخامسة منه التى تحيل على القانون سالف الذكر .

وإنى أسألك يا سيدى فيم تخالف القوانين القائمة الشريعة الإسلامية ، إلا فى العقوبات التى تسميها الشريعة حدودا ؟ .

وأنا يا سيدى أرى أن الإسلام أعظم وأضخم وأكرم وأرفع وأسمى أن يكون مجرد عقوبات .

وإنى أسألك يا سيدى ، وأرجو أن تجيب بهدوء المؤمنين وبسلامهم وبإسلامهم ، .

حين حث القرآن الكريم على الشورى ، هل جعلها إلزامية للحاكم ، أم هى استطلاع رأى ، ثم للحاكم بعد ذلك أن يتخذ الرأى الذى يريد ؟

أو ليس أقرب إلى روح الإسلام الرفيعة العالية أن تكون الشورى ملزمة للحاكم ؟ فهل ترى التمسك بحرفية النص أقرب إلى روح اللّه القدس وقرآنه المعجزة ، أم التوسع فى النص وجعل الشورى عصاما للحاكم ؟

وأخرى حين شرع النبى عليه الصلاة والسلام حد الزنا للمحصن جعله الرجم حتى الموت . .

كيف كان الوضع الاجتماعى فى ذلك الحين ؟ إن زواج الأربعة فى الإسلام يا سيدى جاء قيدا لا إباحة ، فقد كان الزواج قبل نزول الآية الشريفة مطلقا بلا أى حدود . كان للرجل أن يتزوج من أى عدد من النساء ، وجاء الإسلام فسمح بزواج أربع نساء يا سيدى . .

فهل ترى المجتمع أو طبيعة الحياة التى نحياها تسمح بزواج أكثر من واحدة ؟ ولعلك تعلم أن نسبة المتزوجين من أكثر من واحدة فى مصر جميعا هى نصف فى الألف .

وكانت فى أيام الرسول إباحة أخرى أشمل وأوسع ، وهى أن الرجل كان يستطيع أن يشترى من يشاء من النساء بغير حدود . .

في ظل هذه الإباحات العريضة رأى النبي العظيم أن الذى يزنى بعد كل هذه الإباحات يستحق القتل .

أأربع نساء . . وعشرات من ملك اليمن ثم يزنى . . ؟ إن القتل إذن قليل بالنسبة إليه . .

وإنى أسوق المثل من حد الزنا ، فهو مجرد مثل ، وليس إحاطة بكل الحدود . .

وروح الإسلام ترفض الرق . وهو أول دين جعل عتق الرقبة تكفيرا عن التقصير الدينى أو الدنيوى . .

أتراك يا أستاذ صلاح تريد أن تعيد ملك اليمين حين تطبق الشعار الذى ترفعه أنت وصحبك من تطبيق الشريعة الإسلامية ؟

أم أنك ستطبق أشياء ، وتتغاضى عن أشياء ؟

بربك يا سيدى أتريد لأكرم كتاب أنزله الله الأعظم بدينه الأقوم أن يكون وسيلة لأفراد أن يتحكموا فى الرقاب ، ويعتلوا كراسى الأمراء ؟

لقد نزل القرآن منذ ألف وأربعمائة سنة .

وحكم به النبى عليه الصلاة والسلام وهو سيد البشر أجمعين وهو المعصوم وهو الملهم، فهو استثناء من كل البشر ، ينفرد عنهم بحمل الرسالة والإلهام والعصمة وبأنه على خلق عظيم . .

ثم حكم به أبو بكر الصديق فكان عدلا وحزما ، وكان مثلا أعلى كريما على الناس والزمان . وكيف لا وهو ثانى اثنين إذ هما فى الغار . . وهو الصديق . .

ثم حكم عمر فكان رمز العدالة على مدى التاريخ لم يعرف الزمان له مثيلا فيما مضى، وما أحسب أنه سيعرف له مثيلا فى آتى الزمان . .

ثم حكم عثمان ، ولا نملك إلا أن نقول : إنه ذو النورين . ثم حكم على ، فكان عدلا مطلقا .

وانتظر الزمان بعض حين وحكم عمر بن عبد العزيز ، فكان خامس الخلفاء الذين طبقوا الشريعة الإسلامية فأكرموا تطبيقها . .

دع هؤلاء إذن يا أستاذ صلاح ، وألق نظرة على الملوك ، ومن أسموا أنفسهم بالخلفاء، وانظر كيف ظلموا ، وكفروا وتجبروا وعتوا ، وادعوا مع كل معاصيهم أنهم طبقوا الشريعة الإسلامية . .

اذكر معاوية وكيف أخذ البيعة ليزيد بحد السيف ، وكيف قتل عليا والحسن والحسين وكل آل البيت المطهرين .

واذكر يزيد العربيد السكير الذى لم يستطع أحد أن يطبق عليه حد السكر مع إنه كان - فيما يروى عنه - لا يفيق . .

واذكر المنصور ، واذكر السفاحين جميعا ، واذكر من أطلق الحجاج يقتل حفيد الصديق ، ويقتحم عليه الكعبة ، ويقتل بغير حساب عباد اللّه المؤمنين . . إن كل هؤلاء يا أستاذ صلاح ادعوا أنهم كانوا بالإسلام يحكمون .

أترضى عنهم . . ؟ أم أنت واثق أن الزمن سيجود بمثل أبى بكر أو عمر أو عثمان أو على . . أو خامسهم ابن عبد العزيز ؟

على مدى ألف وأربعمائة عام والملوك والخلفاء يدعون أنهم يحكمون بالإسلام ، فإذا هم يجعلون الشريعة وسيلتهم إلى كل ما تعرف أنهم صنعوه بعباد اللّه الأبرياء المسلمين وغير المسلمين .

واذكر هارون الرشيد وسرفه . واذكر المأمون وفقهاء الإسلام وما صنع بهم من أجل قضية كلامية .

وبعد يا أستاذ صلاح ، فانظر إلى الخمينى الذى قتل من بنى وطنه المسلمين فى سنوات ست اثنين وثلاثين ألفا بأحكام إعدام ، غير مئات الألوف أو الملايين الذين قتلهم فى ساحة الحرب من مسلمى إيران والعراق جميعا . وهو هو الذى يرفع شعار الحكم الإسلامى . .

وفى السودان قطع الطاغية من الأيدى بحكم الإسلام ضفى بضعة أشهر ما لم تقطعه الشريعة على مدى ألف وأربعمائة عام . .

ألا تخشى أن تضع قرآن اللّه بين أيدى طغاة يستغلونه أسوأ استغلال .

ألا ترى أن دين اللّه الأقوم ينبغى أن يظل صلة بيننا وبين اللّه سبحانه وتعالى بغير قسر منكم ولا إجبار ؟

وإذا كان اللّه يقول لنبيه فى آيات شريفة كثيرة عليك البلاغ وعلينا الحساب .

فمن سمح لك يا سيدى أن تبلغ وما أنت بمبلغ أو أن تحاسب وما أنت بإله ؟

إن المتطرفين من المسلمين فى مصر قتلوا أحمد ماهر والنقراشى والقاضى الخازندار ، ووضعوا القنابل فى تجمعات الأبرياء ، تصيب من تصيب فى غير دين . وأنت تعرف أن من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا .

وإن كان هذا ماضيا راح واندثر . .

أليسوا هم من قتلوا فى أيامنا هذه الشيخ الذهبى ، وهو من هو خلقا وعلما ؟

ثم قتلوا أعظم زعيم عرفته مصر ، السادات ، الذى انتصر فكان انتصاره لمصر وللإسلام ، والذى أفشى السلام فحقق دعوة اللّه ، وهو سبحانه من اختار اسم الإسلام ليكون أخر رسالة له من رفيع سماواته إلى عباده فى الأرض .

وبعد يا سيدى فأراك تقول فى آخر مقالك عنى . . فهل نسى كاتبنا حديثه السابق عن هؤلاء الأطهار فماذا حولهم اليوم إلى مردة وشياطين . أهى لعبة الانتخابات أم تراك نسيت ؟

وهأنذا أجيبك اليوم وقد انتهت الانتخابات ، فلا لعبة هناك ولا هنا ، وأما أنا فلا وحق الحق ما نسيت . .

إنما هم أطهار إذا اعتدى عليهم حاكم فقتل منهم سبعة فى جريمة شروع فى قتل لم تتم ولم تثبت . .

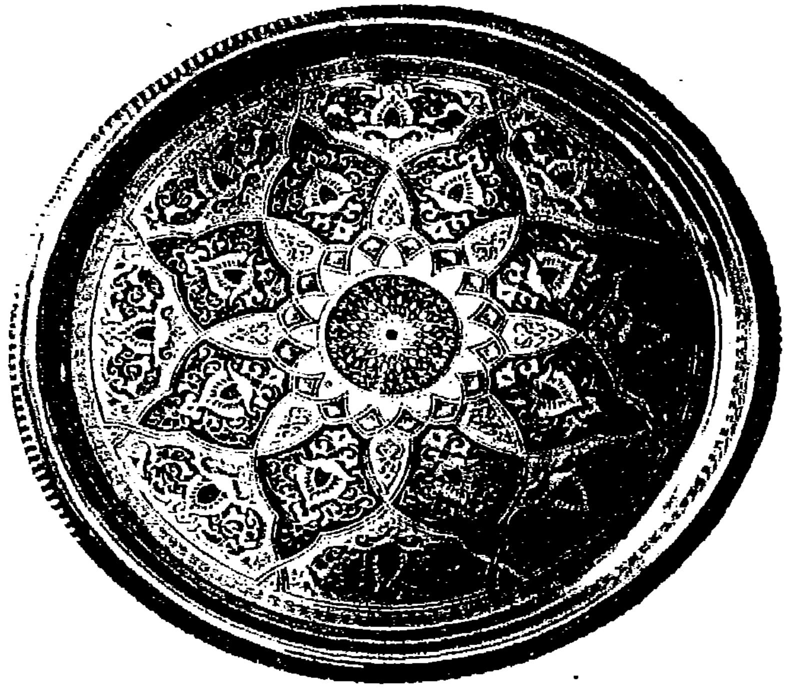
وهم أطهار حين يقبض على خمسة عشر ألفا منهم فى ليلة واحدة ، كما أعلن هذا طاغية ذلك الزمان . بينهم البرىء وبينهم حسن الطوايا ، وكلهم أبناء أو آباء ، ويكره اللّه والحق أن يرمى بهم إلى السجون زمرا بلا محاكمة .

ولكن اللّه يكره أشد الكراهية القاتل منهم ويحكم فى محكم آياته : أن الذى يقتل فردا بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا .

وقد استعمل كثير منكم القتل وسيلة لتخويف الآخرين واستعمل كثير منكم الإرهاب بكل وسائل الإرهاب ، بل كان لكم فى الانتخابات الأخيرة هذه سلاح مشهر وأنياب حداد وإشاعة للذعر بين الناس . .

ولا واللّه لستم إذا فعلتم ذلك بأطهار . . وأشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه ، وأن كلمة اللّه هى العليا مهما تحاولوا أن تجعلوا منها طريقا إلى حكم فى الدنيا، وعليك السلام حيث كنت . . . بالإسلام ندين وبالسلام تكون بيننا التحية . والسلام هو الرباط بين قوم يؤمنون . .

❀❀❀



خطاب وإجابة

خطاب وإجابة

جاءنى هذا الخطاب من الأخ الأستاذ محمد جمال . وقد كنا زميلى دراسة فى مدرسة فاروق . وقد أرسل الأستاذ صلاح شادى بطاقة مع الخطاب يقول فيها ما معناه : أن الأستاذ جمال يعبر عما كان يريد هو أن يقوله ، وأنى حين أنشر هذا الخطاب فإنما أنشره للاثنين معا ، كما يجيب خطابى عن رأيهما مجتمعين .

حياك الله .. وبعد :

قرأت لكم بجريدة الأهرام يوم ١٢ / ٤ / ١٩٨٧ تحت عنوان (مناقشة) ، فى ردكم على مقالة الأستاذ صلاح شادى ، التى لم أجد الفرصة لقراءتها ، إلا أننى اكتفيت بما جاء بمقالكم الذى لخص المقالة والرد عليها .

ونظرا لأهمية الموضوع أرجو أن تعتبرنى طرفا ثالثا يعشق الوحدة ، وينبذ الفرقة التى مزقت الأمة ، فهانت هوانا لم يسبق له مثيل .

وقد أعجبنى فى ردك أنك أنصفت الأستاذ صلاح ورفاقه حين قلت : (إنما هم أطهار إذا اعتدى عليهم حاكم فقتل منهم سبعة ... إلخ وهم أطهار حين يقبض على خمسة عشر ألفا منهم فى ليلة واحدة ، كما أعلن هذا طاغية ذلك الزمان ... إلخ) .

كما أعجبنى احترامك الشديد للحكم الإسلامى فى عهد سادتنا أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز .

كما أعجبنى حرصك الشديد على ألا يحمل هذه الراية المقدسة ، إلا من كان على مستوى حمل هذه الأمانة ، التى تفوق طاقة معظم البشر فى هذا الزمن .

وحينما انتقدت حكم معاوية ويزيد والمنصور والحجاج وهارون الرشيد والخمينى ونميرى وغيرهم ، فلا أتصور أبدا أنه قد غاب عنك أن الإسلام شىء ، والمسلمين شىء آخر . وإذا تعمقنا فى التاريخ ، فقد نجد أن حجم الإيجابيات لبعض هؤلاء أكثر من

حجم سلبياتهم ، كما قد ترون سيادتكم ، أن ثورة ٢٣ يوليو حجم إيجابياتها أكثر من حجم سلبياتها .. وقد كان الأستاذ صلاح شادى ضمن من مهدوا لها قبل أن يكون لها سلبيات .

أخى العزيز : إن شدة حرصك على نقاء الحكم الإسلامى جعلت البعض يظن أنك تميل إلى النظم العلمانية التى تفتقر إلى الوجدان الدينى والتشريع السماوى .. ولا أظن أن تاريخ الحكم العلمانى فى مصر يغريك على أن تقف مدافعا عنه ، وأن تهب له اسمك ومكانتك الأدبية الفكرية فى عصرنا هذا .. ولست أنت ممن يخفى عليهم أدق التفاصيل.. خصوصا وأن الصحافة وهى أداة التفاصيل تتمتع اليوم بحرية أكثر مما مضى ..

ولكن لى بعض الملاحظات الأخرى كالآتى :

قلت للأستاذ صلاح / (من سمح لك يا سيدى بأن تبلغ وما أنت بمبلغ ، أو تحاسب وما أنت بإله ؟)

وأقول إليك برفق : إن الأستاذ ثروت أباظة مكلف أيضا ، بمقتضى الآيات القرآنية االكريمة ، أن يحمل الرسالة بالقدوة والموعظة الحسنة فى حدود إمكاناته وطاقاته .. وليس هذا تكليفا مقصورا على رجال الدين الموظفين لذلك .

وقلت له : (أتراك يا أستاذ صلاح تريد أن تعيد (ملك اليمين) حين تطبق الشعار الذى ترفعه أنت وصحبك من تطبيق الشريعة الإسلامية ؟) .

وأقول : إنك تحترم قطعا دستورنا الوضعى الذى جعل الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع .. ولا أتصور أبدا أنه بمستوى فكرك وفكر الأستاذ صلاح أن يعود (ملك اليمين) بتطبيق الشريعة الإسلامية التى يحترمها دستور الدولة .

وقلت : (فيم تخالف القوانين القائمة الشريعة الإسلامية إلا فى العقوبات التى تسميها الشريعة حدودا ؟)

وأقول : كان ينبغى توجيه هذا السؤال إلى اللجان المختصة فى الدولة ، والتى تعالج جوانب الاختلاف فى القوانين القائمة عما تنادى به الشريعة الإسلامية .. ولو كان الأمر سهلا وبديهيا لأعلنت هذه اللجان جهودها على ضمائرنا .. وأنت خير من يعلم أن الشريعة الإسلامية فيها من المتانة والمرونة والكفاءة ما تواجه به الأمر الواقع والعدالة ، مع التدرج الطبيعى لنمو المجتمع .. وإننى أعتز بشهادة قادة إخواننا الأقباط فى هذا الشأن إبان عهد عمرو بن العاص .. ذلك هو الحكم الإسلامى الذى يقصده الأستاذ صلاح .

وقلت : (إن المتطرفين من المسلمين فى مصر قتلوا بعض الأفراد من المسئولين فى الدولة) .

وأقول : هؤلاء المتطرفون لم يمارسوا الحكم الإسلامى فى مصر يوما واحدا .. كما أن الأستاذ حسن البنا ، مؤسس تلك الجماعة ، أعلن رأيه فيهم قائلا عنهم (إنهم ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين) .. وأن الإسلام شىء وأخطاء المسلمين شىء آخر .

وقلت : (إن العدل يتم إذا طبق القانون الذى يحكم فى ظله) .

وأقول : إن العدل شىء وجدانى يتصل بالضمير .. وقد تعلمنا فى دراسة القانون أن القاضى العادل يستطيع أن يصدر حكما عادلا بقانون ظالم بين يديه .. إن سلطان العدل هو الذى ينجح دائما فى تغيير القوانين لتحقيق عدل أفضل .. إن القوانين كلها وما تستند إليه من دساتير ، فمع احترامنا الشديد لها ، فكلها متغيرات يسيطر عليها العدل أخيرا وإن غلبته أحيانا ..

وقلت : ضاربا المثل بالثورة الخمينية والثورة النميرية ..

وأقول : أرجو ألا تسقط من حساباتك الدور الرئيسى الذى تقوم به الدولتان العظميان ، وهما مختلفتان فى كل شىء إلا شيئا واحدا ، وهو هدم حضارتنا وعقائدنا .. وقد حدث فعلا ..

وقلت : (إنهم كان لهم فى الانتخابات الأخيرة هذه سلاح مشهر وأنياب حداد وإشاعة للذعر بين الناس) .

وأقول : يجب عليهم أن يحاسبوا أنفسهم إن كان ذلك صحيحا ، ولكن أرجو أن تقارن عدالتهم بين طاقتهم الضئيلة وطاقة الدولة بكل إمكاناتها فى هذا المجال ، ومدى صحة ما قيل فى الصحف .

وقلت : (إن كلمة الله هى العليا ، مهما حاولوا أن يجعلوا منها طريقا إلى حكم الدنيا) .

وأقول : لقد كانت أعظم جملة تختتم بها مقالتك ، وإننى على يقين من أنك تتفق معى فى أن عهود أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز — التى سجلت اعتزازك بها كل الاعتزاز - كانت كلها أمور دنيا ، وحكم دنيا ، ممتزجة بالقرآن الكريم ، ولن يختلف معك الأستاذ صلاح وصحبه فى هذا الشأن .

محمد جمال الدين

وإليك ...

السلام عليكم ورحمة الله ..

وبعد ، فشكرا لله ولك ما أرضاك من حديثى ، وما أعجبك منه ، ولأنتقل إلى ما حاولت أن تجعله ملحوظات بعد ذلك . واسمح لى بادئ ذى بدء أن أقول إن خطابك

وملحوظاتك لا تناقش فى شىء مما ذهبت أنا إليه . وإنما هى خواطر استدعاها إلى ذهنك ثم إلى قلمك ما قرأته لى .

وعن هذا سوف أغضى ثم أمضى معك إلى آخر الطريق .

كانت عجيبة منك يا أخى أن تظن وأعيذك من بعض الظن أنه قد غاب عنى أن الإسلام شىء ، والمسلمين شىء آخر . فما كان هذا ليغيب عنى أبدا . وكيف له أن يغيب ، بل وكيف لك أن تفكر هنيهة من لحظة أنه يمكن أن يغيب عن أى إنسان ؟

الإسلام يا سيدى دين الله ، وليس لنا إزاءه إلا أن نؤمن به ونخبت ونخشع .

إنه مرقى الإنسان من عبودية الأرض إلى ملائكية الملكوت الأعلى .. فهو تنزه وسما أن يكون لحية وجلبابا وخفا ووشاحا ، وهو خير ما عرفته البشرية . وكيف له ألا يكون وهو هدى الله تعالت أسماؤه للناس ، وهو ختام آياته التى وعد بها بنى آدم حين قال : ﴿ يا بنى آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (الأعراف) .

أما البشر يا سيدى فهم الخطاءون ، وهم الذين قال عنهم الله سبحانه وتعالى ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾ (الأحزاب) .

فالإنسان يا سيدى هو ذلك الظلوم الجهول ، وكل الذين انتقدتهم بشر من البشر وإنسان من الإنسان الذى وصفه ربه بأنه ظلوم جهول ، ولا عاصم للناس منهم إلا الديمقراطية والحرية التى لا يعرفها الطغاة .

وكم أخشى يا سيدى أن ينفرد الظلوم الجهول بالحكم ، مدعيا أنه بكتاب اللّه يحكم فيسرف فى الأرض ويبغى ويعتو ، كما أسرف وبغى وعتا معاوية ويزيد والمنصور والحجاج وكل من تفرد بالحكم فى قديم أو حديث ، إلا من رحم ربك وما أندرهم ، وأنّى للبشر أن يطلع عليهم أبو بكر أو عمر أو عثمان أو على أو شبيههم عمر الأشج بن عبد العزيز .

أما قولك أنت إننا إذا تعمقنا فى التاريخ ، قد نجد حجم الإيجابيات لبعض الطغاة أكثر من حجم سلبياتهم ، فعجيبة تذهل لها العجائب .

تعمق أنت يا أخى التاريخ ما شاء لك التعمق ، ولكن الناس عندى ليسوا فئران معامل يجرى عليها الطغاة تجاربهم ، فيسرقون ويقتلون وينهبون ، ثم يقول عنهم التاريخ إن إيجابياتهم كانت أكثر من سلبياتهم ، وإن قتل إنسان واحد بغير حق ينسف كل حسنات

ذلك القاتل ، فإن اللّه من فوق سبع سماوات حكم عليه أنه كأنما قتل الناس جميعا ، وما أظنك يا سيدى بقاتل للناس جميعا .

أما الثورة يا سيدى فأمرها ليس مطروحا للمناقشة فى هذا الحديث مطلقا . ولا يعنينى ولا يعنى الناس فى شىء أن يكون الأستاذ صلاح بين من مهدوا لها أو لا يكون ، ويبدو أن هذه الجملة جميعا قد أرغمت إرغاما على أن تساق فى خطابك هذا .

أما قولك يا سيدى أن الحكم العلمانى والنظم العلمانية تتفق مع ميلى ، فتلك هى الأخرى عجيبة تذهل لها العجائب .

متى حكمت مصر حكما علمانيا وكيف تقول هذا وفى مصر الأزهر منذ ألف عام ، والحكم والأحوال الشخصية فى مصر يتبع مذهب أبى حنيفة منذ قديم ، وكل قوانين مصر المدنية متفقة فى الأساس الجوهرى منها مع الشريعة الربانية ، وإن اعتبر بعض الفقهاء فوائد البنوك نوعا من الربا فإن بعضا آخرين من عظماء الأئمة لهم فى ذلك رأى آخر ، وعلى رأسهم الشيخ الإمام محمد عبده ، والربا كما تعلم معاقب عليه بين الأفراد فى قانون العقوبات المصرى ، فأين هو هذا الحكم العلمانى ؟ ألا إنكم ترفعون لافتات على غير مكانها ، وشعارات هى أبعد ما تكون عن واقع الأمر .

وأما قولك إننى مكلف بمقتضى الآيات أن أحمل الرسالة بالقدوة والموعظة فهذا حق ، ولكننى يا سيدى أصدر فى ذلك عن رأيى أنا ، ولست فى ذلك مُبلغا . فكلمة مُبلغ فى سياق مقالتى تعنى الرسول ﷺ وحده ، وما ينبغى أن يرقى إلى هذا المكان فى البشر أحد من بعده فهو الخاتم .

وهو ﷺ كلفه اللّه بالبلاغ وحده ، وأمره جل علاه أن يترك الحساب له وحده ، فهو وحده العدالة المطلقة ، وهو وحده الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وما يتاح هذا لأحد من الناس بل إنه غير متاح لسيد البشر قاطبة محمد بن عبد اللّه رسول اللّه ونبيه ﷺ ، والمشفع عنده فى الخلق أجمعين .

أما أنتم يا سيدى - أو المتطرفون منكم على الأقل - فأحسب أنكم تريدون بما نشاهده من أشياعكم فى مصر - أن تبلغوا رسالة لم يكلفكم اللّه بها ، فما كنتم ولن تكونوا رسلا ، ثم تريدون أن تتهموا ، ولستم مؤهلين من اللّه بذلك ، وتريدون أن تحاسبوا والحساب للّه وحده . . وتريدون أن تنفذوا أحكامكم ، وكبر هذا عند اللّه ، وأعيذ نفسى وأعيذكم أن أصف هذا الذى تريدون أن تفعلوا بما يستحقه من وصف .

أما ما ذكرته عن القاضى والقانون فهو هو ما أخشاه فأنا لا أخاف من الشريعة ، وإنما أخاف من الإنسان الذى يطبقها . فالشريعة كلمة اللّه والإنسان ظلوم جهول ، وأما

ما تراه يا سيدى من أن الشريعة الإسلامية فيها من المتانة والمرونة والكفاءة ما تواجه به الأمر الواقع والعدالة ، مع التدرج الطبيعى لنمو المجتمع ، فهذا أمر أتفق معك فيه كل الاتفاق ، بل إننى أهتف به وأنادى . فماذا يريد إذن الأستاذ صلاح وشيعته من المتطرفين ممن يصرخون بغير هذا ، ويمتد بهم التطرف إلى القتل وسفك الدماء والجبروت ، وما لهم لا يتركون لمن ذكرتهم من القضاة والمشرعين أن يصدروا فى أحكامهم عن هدى القرآن دون تعسف منكم أو عدوان ؟

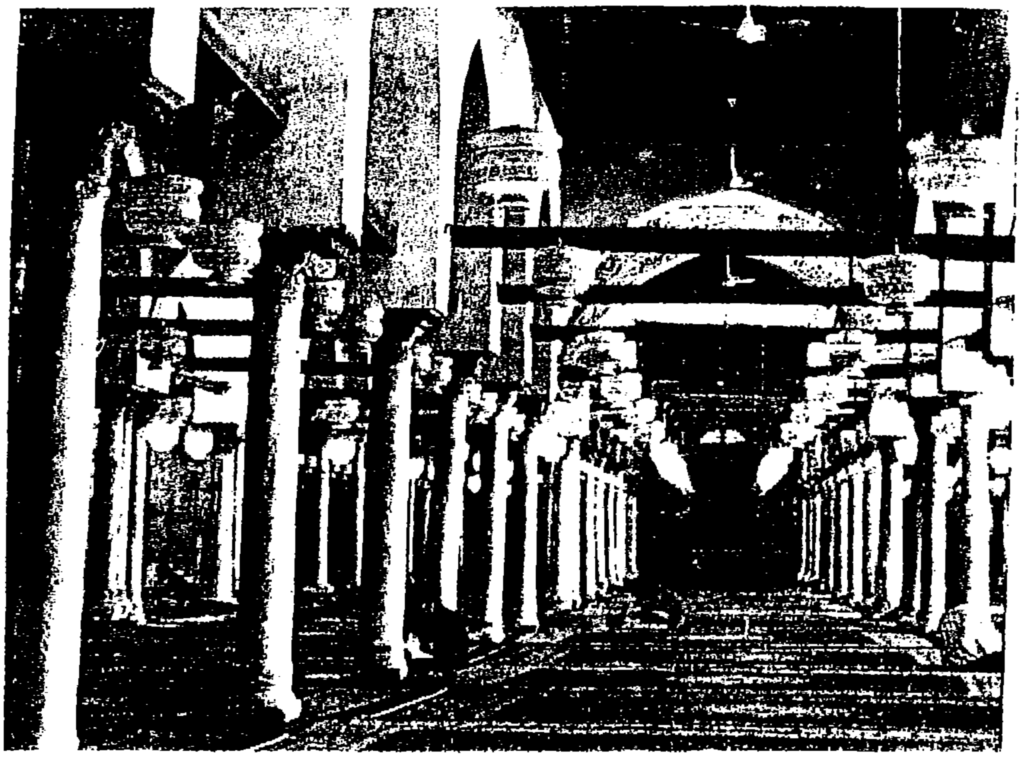
أما دفاعك عن المتطرفين الذين قتلوا فأمر لا أسمح لنفسى بمناقشته ، فما كنت لأتصور أن مسلما يدافع عن شارب خمر ، فكيف به أن يدافع عن قاتل نفس : أشهد اللّه أنى برىء مما تزعمون .

وأما أن الإسلام شىء وأخطاء المسلمين شىء آخر ، فتلك قالة عدت لها ، ولهذا أسمح لنفسى أن أعود .. إن المقارنة بين الإسلام وهو شرع اللّه وبين البشر لايجوز أن ترد بذهن إنسان ، فكيف سمحت لنفسك يا سيدى أن تفكر فيها وتكتبها أيضا ؟ هيهات ... لا مقارنة .

فما دار لى هذا بخلد ، وإنما أخشى يا سيدى من أقوام يريدون أن يفعلوا فعل أنصار معاوية ، فيرفعوا المصاحف على أسنة السيوف ، ويصبحوا متحايلين يرفعون حقا ويريدون به باطلا .

فالمصحف حق . أما الوصول عن طريق رفعه على السيوف إلى كراسى الحكم فباطل يا سيدى ... باطل وحق اللّه ... باطل بطلانا مطلقا لا سبيل إلى تصحيحه ، أما حديثك الباقى يا سيدى عن الدولتين العظميين فأمر أراه أيضا دخيلا على ما نحن بصدده . فما أحسب يا سيدى أنكم تنوون الذهاب إلى أمريكا أو روسيا لترفعوا عليهما الشعارات التى ترفعونها هنا علينا ، فأرجو يا صديق الصبا أن تعفينى من مناقشة هذا الحديث ، وأشكر لك ما حسن من ظنك بى ، داعيا اللّه سبحانه أن يهديك ويهدينا إلى ما يحبه ويرضاه . وأن يرحم مصر ويقيها من كل عادية . سبحانه كتب على نفسه الرحمة وسبحانه وحده هو الملاذ فى الشدة ، يدرأ عن عباده المؤمنين عادية أنفسهم وعدوان الظالمين ... جل علاه .

❀❀❀



الأزهر بخير .. ولكن

الأزهر بخير .. ولكن

وصل إلىّ من مكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رسالة موقع عليها من فضيلة الأستاذ جابر حمزة فراج .. وهو من العلماء ، وهو فى الوقت نفسه المدير العام للإعلام والعلاقات العامة بالأزهر الشريف ، وهذا نص الرسالة :

« مما لا شك فيه أن الأزهر أكبر جامعة إسلامية .. وأوسع مؤسسة دينية .. ومن حظ مصر أن الله شرفها وخصها بهذا التراث العريق .. الذى ظل إشعاعة نور .. ودار هداية.. ومنبع علوم .. ومصدر إيمان .. عبر القرون والأجيال .. ووقف صامدا شامخا .. قويا باسقا .. حيا نابضا .. يؤدى رسالته السلمية بنزاهة وإخلاص .. وأخرج للعالم جهابذة العلماء .. وخيرة الحكماء .. فملأوا الدنيا علما ورشدا .. وما من جامعة إسلامية فى مختلف الأقطار إلا وكان الأزهر سداها ولحمتها وقلبها وروحها .. ولن أتكلم عن مآثر الأزهر الشريف ، وما قام به من مواقف باسلة .. يعترف بها الشرقى والغربى على السواء .. إذ أننى حينما أحاول حصر فضائله .. أو إحصاء عطائه .. فمثلى فى ذلك كمن يحاول أن ينبش خيوط القمر من ضمير الغدير ، أو كمن يحاول أن يجمع الربيع فى وردة ويصب العبير فى قطرة .. ويركز الجمال فى نظرة .. ولكنها همسة أبعثها إلى الأستاذ الأديب ثروت أباظة وهو من أسرة لها بالأزهر رباط وثيق .. إننى قبل كل شىء أشكره على حرصه على سمعة الأزهر وكرامته .. وأشكره على دعوته التى يهدف من ورائها إلى تخريج علماء من طراز كريم .. وأشكره على مناداته بالاهتمام بالقرآن المجيد .. ولكننى أقول له هامسا : النصيحة بين الملأ فضيحة .. وكنت أود منه .. وهو المنادى بالإصلاح أن يأتى إلينا .. ويقدم ما شاء من اقتراحات وأفكار .. لتأخذ مكانها من البحث والتمحيص .. وما الأزهر عنه ببعيد .. وأحب أن يطمئن سيادته بأن الأزهر بخير ولا يزال فى عطائه وسخائه .. ويوم أن تمسك بعراقته ، رموه بالتخلف والجمود .. ووصموه بالتأخر والتحجر .. وعندما توسع فى إدخال العلوم الحديثة ، ثار

الثائرون وتحمس الغيورون .. وقالوا : جنح وانحرف .. وما هو فى الحقيقة بهذا أو ذاك .. نعم لقد توسعنا فى قبول الطلاب .. وعذرنا فى ذلك أن المدارس كانت تستوعبهم وتشدهم.. فجفت تلك الروافد التى كانت تمد الأزهر .. وقل عدد الراغبين وضاق الإقبال .. الأمر الذى يوحى بالانقراض .. وسامح الله من قام وقتئذ بما سماه بالخطوة الثانية .. تلثمت بالإخلاص .. وهى تخفى من ورائها غرضا مريرا .. وحقدا دفينا . ألا إن الأزهر هو الأزهر... تنبه بعد التجربة .. فعاد إلى سيرته الأولى .. وتدارك خطر عدم حفظ القرآن الكريم.. فأنشأ إدارة خاصة بذلك أسماها إدارة شئون القرآن الكريم .. ومهمتها النهوض بالمكاتب .. وإعادتها إلى ما كانت عليه .. من تحفيظ القرآن المجيد .. كما أن من خصائص هذه الإدارة الإشراف الفعلى على المكاتب والعمل على مضاعفتها ، وذلك عن طريق التشجيع للمحفظين والحفظة .. حيث يمنح المحفظ خمسة عشر جنيها شهريا إذا كان عنده من التلاميذ مالا يقل عن خمسة وعشرين .. منقطعين لحفظ القرآن ومتوجهين لدخول الأزهر .. كذلك تمنح كل مكتب إعانة سنوية خمسين قرشا عن كل تلميذ .. كما أن الإدارة تمنح التلاميذ الحفظة جنيها عن كل جزء يقوم بحفظه .. ثم تمنح المحفظ مكافأة تشجيعية سنويا .. بقدر ما تقدم به من تلاميذ حفظة .. والإدارة تقوم بحصر وإحصاء المكاتب فى جميع أنحاء الجمهورية .. وقد تم حتى الآن حصر ألفين ومائة وسبعين مكتبا .. كلها تعمل بتراخيص من إدارة شئون القرآن الكريم .. وأجهزة إدارة شئون القرآن الكريم تتكون من مدير عام ومدير مساعد .. ومفتشين موزعين على جميع المناطق الأزهرية ، كما تشرف الإدارة على جميع المراحل بالأزهر فى المجالات القرآنية . وقريبا يمتد إشرافها على كل من له علاقة بالقرآن.. ومن هنا أحب أن يطمئن كل مسلم غيور إلى أن الأزهر بخير .. وأن كتاب الله وسنة رسوله هما الأساس المتين .. والينبوع الدافق الذى يرتشف منه الأزهر ليبقى على مر الدهور .. نبعا صافيا .. ومعينا لا ينضب .. » .

* * *

وأبدأ فأؤكد لفضيلة الأستاذ جابر حمزة فراج أننى أكتب ما أكتب حبا فى الأزهر لا نصحا له . . فعتب الأستاذ فى غير معتب . . فالأمر كما يرى الأستاذ لا يحتاج أن أهمس بالنصح فى أذن الأزهر . . وإنما أنا أذيع حبى ناظرا إلى بيت شوقى الخالد :

فلا خير فى الحب حتى يذيع ... ولا خير فى الورد حتى يُنم

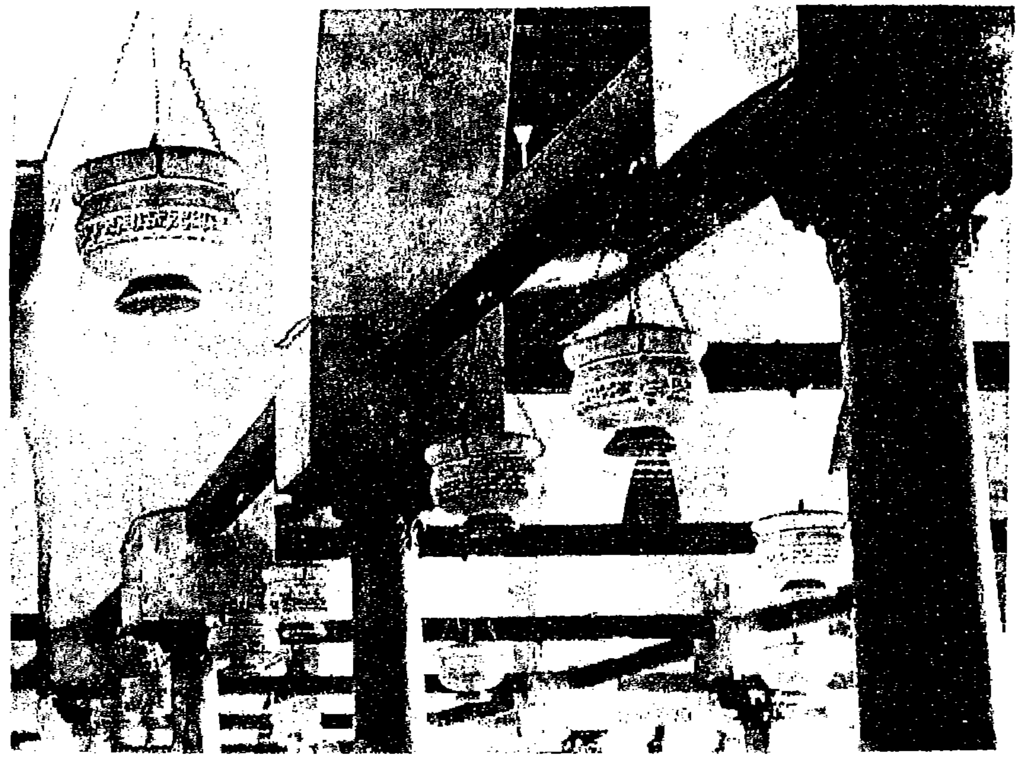
وبعد فكل ما أورده الأستاذ لا يفيد شيئا فيما أنادى به . فتشجيع الأزهر على حفظ القرآن بهذه المبالغ الزهيدة لن يؤدى إلى نفع .. والألفان والمائة والسبعون مكتبا التى تم حصرها ليس يعنينى من أمرها جميعا شيئا ، ولو زيدت إلى مائة ألف . فالمبانى لن تحفظ القرآن، وإنما يحفظ القرآن البشر الذين نزل إليهم القرآن.. وهؤلاء لن يحفظوه أو يصبح الانتساب إلى الكليات التى تدرس الإسلام والشريعة الإسلامية ممتنعا إلا على من حفظ القرآن .

فإذا ظل حفظ القرآن هواية أو تزيدا يمكن الاستغناء عنه ، فويل لنا إذن من هداة الغد. وأبناؤنا أو أبناء أبنائنا لن يجدوا من يهديهم ، أو هم لن يطمئنوا إلى فتاوى صادرة من رجل لا يحفظ القرآن الكريم .. والمتقاضون فى غد إلى مجهول أقل ما فيه ظلم ، فكيف لقاض شرعى أن يحكم وهو لا يعرف الأساس الأول لأحكام الشريعة ؟ .

وأنا يا سيدى لا أعارض أن يقبل الأزهر من الطلاب ما شاء أن يقبل ، وإنما كل ما أطالب به ، وتطالب به جميع الخطابات التى وصلت إلىّ ، والأحاديث التليفونية التى انهالت علىّ ، ألا يكون التعليم الدنيوى فى الأزهر حائلا بينه وبين التعليم الدينى .. فكل الجامعات تستطيع أن تعلم تعليما دنيويا .. ولكن الأزهر وحده هو الذى يحمل شرف التعليم الدينى ، ولا يجوز له ولا يساغ أن يتخلى عن هذا الشرف ، الذى ارتفع على مآذنه ألف عام ، وبعد .. فأنا يا سيدى الأستاذ حين أكتب ما أكتب ، أريد أن أظهر القائمين بشأن المناهج التعليمية فى كليات الأزهر الشريف على أن الرأى العام جميعه مصمم على أن يكون الأزهر قبلة التعليم الدينى فى العالم أجمع أولا وقبل كل شىء وله بعد ذلك . . أن يضيف إلى هذا الشرف ، وإلى واجبه الأول هذا ، ما شاء من أنواع التعليم الأخرى .. أفى مثل هذا يجوز الجدل ؟ ما أظن والحقيقة يا سيدى أن شيئا فى خطابك لم يؤلمنى قدر نظرك إلى قوم رموا الأزهر بالتخلف والجمود ، ثم حيرتك بعد ذلك بينهم وبين قوم يريدون الأزهر أن يشترط حفظ القرآن لمن ينتسب إلى كلياته الدينية. كأنك يا سيدى لا تعرف من الذى يرميكم بالتخلف والجمود : إنهم يا سيدى فريقان .. فريق يرى الدين كله تخلفا وجمودا ، وما إلى هؤلاء يساق حديث .. وفريق مخلص آخر يريد التعليم الدينى أن يواكب الحياة الحديثة ويرود مسالكها ويتفهم علماؤه التقدم العلمى فيه .. ولم يقصد هؤلاء ولا يجرأون أن يقصدوا أن يبتعد الدارسون للدين والشريعة عن حفظ القرآن ، فالقرآن خالد ، والقرآن قديم وجديد ، وحفظه لمن يريد أن يعلم الناس دينهم ، أو يجلس بينهم قاضيا فى شئون دينهم ، فرض لا يمكن أن يكون موضع نقاش .

فتخوفك يا سيدى من الذين يرمون التعليم الأزهرى بالجمود والرجعية لا يجيز لك ولا لأحد أن يرى حفظ القرآن اختياريا لمن يرمى عليهم المستقبل عبء الهداية الدينية والتشريع الإسلامى وأحكام الشريعة السمحاء . ومرة ثانية لا أعتقد أن الجدل فى هذا الذى أسوق مقبولا من أحد وخاصة من قوم يحملون فى صدورهم أكرم ما كرم الله به الإنسان .

❀❀❀



بين الخلود والهوان

بين الخلود والهوان

فى كتاب « بلوغ الأرب » هذه القصة التى سأقدمها بين يديك .. ولقد حاولت أن أدافع هذه الرغبة فألحت علىّ إلحاحا شديدا .. فظللت بها وبنفسى أتعمق كلا منهما حتى وجدت نفسى ممسكا بقلمى ، باسطا صحائفى ، ناقلا إليك ما طالعنى من هذا الكتاب العظيم .. وأنا فيما أنقل ما فى القصة من طرافة ، ولست بمستبعدٍ أن تكون القصة من غير واقع الحياة ، وإنما اختلقها شاعر ذكى ، ودفع بها إلى مجالس المنادمة والسمر فسارت طريقها فى التاريخ ، حتى أدركها قلم كاتب فأثبتها . وبقيت حتى ظهر أعظم كشف عرفه الإنسان ، وكانت المطبعة . وسعت إليك القصة اليوم فى العصر الذى اعتلينا فيه الأقمار ، وسمعنا عن ذلك الأمريكى الذى قال إنه سمع الأذان يتردد فى آفاق السموات العليا وهو فوق سطح القمر ..

ألم أقل لك إن المطبعة هى أعظم كشف فى التاريخ . وكيف كان يمكن أن تلتقى هذه القصة البالغة القدم بعجائب هذا الزمن الذى نعيش فيه فى بوتقة واحدة : هى رأسك ورأسى، إلا بما خلدته المطبعة من تاريخ الأقدمين .. ؟ .

ولا تعجب أن يساورنى الشك فى صدق القصة التى أقدمها إليك . فقد كان العرب لا يعرفون القصة التى يبدعها القصاصون اليوم . وإنما كانت القصة عندهم قصا للأثر والنبأ ، وتتبعا للحدث . وحين قال القرآن الكريم ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ فإن الكلمة هنا تعنى التاريخ الصادق الذى لا يأتيه الباطل أو الاختلاق من أى ناحية له .

أما البشر إذا قصوا ، فهم يتزيدون ويكذبون ما شاء لهم الكذب ، ويبتدعون ما شاء لهم الابتداع من الأحداث ، ولكنهم يوهمون السامعين أن ما يروونه إنما هو الحق . ولو كانوا عرفوا القصة التى نؤلف نحن اليوم أحداثها ، ما احتاجوا إلى الكذب وما كان هناك

داع أن يزوروا على سامعيهم ، ويدعوا أن القصة التى اختلقوها إنما هى خبر وقع ، وليس حدثا أنشأه خيالهم ..

وإليك القصة .. ولنا بعد نقلها إليك حديث آخر ..

صحب رجل كثير المال عبدين فى سفر . فلما توسطا الطريق هما بقتله .. فلما صح ذلك عنده قال : أقسم عليكما - إذا كان لابد من قتلى - أن تمضيا إلى دارى وتنشدا ابنتىّ الاثنتين هذا البيت ، قال :

مـــن مبلـــغ بنتىَّ أن أباهمـــــا لله دركمـــــا ودر أبيكمـــــا

فقال أحدهما للآخر : ما نرى فيه بأسا ..

فلما قتلاه جاءا إلى داره وقالا لابنته الكبرى : إن أباك قد لحقه مـا يلحـق النـاس وآلى علينا أن نخبركما بهذا البيت ، فقالت الكبرى : ما أرى فيه شيئا تخبرانى به ، ولكن اصبرا حتى أستدعى أختى الصغرى ..

فاستدعتها فأنشدتها البيت ، فخرجت حاسرة بلا خمار على رأسها ، وقالت : هـذان قتلا أبى يا معشر العرب .. ما أنتم فصحاء . قالوا ومـا الدليـل عليـه ؟ قـالت : المضـراع الأول يحتاج إلى ثان والثانى يحتاج إلى ما يكمله . ولا يليق أحدهما بـالآخر .. قـالوا فمـا ينبغى أن يكون ؟ قالت ينبغى أن يكون :

مـــن مخــبر بنتـــى أن أباهمـــــا أمســـى قتيـــلا بـــالفلاة مجنـــدلا
للّـــه دركمـــا ودر أبيكمــــــــا لـــن يـبرح الـعبـدان حتى يقتـــلا

فاستخبروهما فوجدوا الأمر على ما ذكرت ..

وإلى هنا تنتهى القصة التى رواها التراث . ولا شك أن شكا مريبا اعتمل فـى صـدرك كهذا الشك المريب الذى اعتمل فى صدرى . ولكن لا شك أيضا أنك استمتعت بالقصة مثلما استمتعت .

والشك يعتمل فى العقل ، والمتعة تنداح فى النفس .

والعقل يتساءل كيف يتسنى لرجل معرض للقتل من عبديه أن يؤلف بيتا يعرف أنـه لا يعنى شيئا إلا إذا أكملته ابنتاه ؟ وكيف خطر له وهو فـى هـذا الكرب العظيـم أن ابنتيـه ستكملانه بما يفيد أن العبدين قتلاه .. ومالهما لا تكملانه بأن العبدين أكرماه فيما يسـبق الوفاء .. فـإن كـان الأب والابنتـان يعلمـان أن العبديـن لئيمـان ولا أمـان لهمـا ، فلمـاذا اختارهما الأب ليكونا رفيقى طريقه الذى لا يصاحبهم فيه آخرون . ولماذا قبلت الابنتـان أن يخرج العبدان مع أبيهما وهما لا يتمتعان بالثقة الكاملة منهما ؟ ولمـاذا أدركـت البنـت الصغرى ما لم تدركه الكبرى ، إلا أن يكون ذلك مبالغة فى محاولة الإبهار وإثارة العجب

فى نفوس المستمعين ، حين كانت القصة تروى شفاها ، ثم فى نفوس القراء ، حين أصبحت القصة فى شكل حروف مكتوبة ثم مطبوعة .. ؟ وإلا أن يكون هذا جريا على عادة مختلقى القصص فى ذلك الحين من جعل الأصغر دائما هو الأكثر ذكاء وفصاحة ، والأعظم ارتفاعا فى الخلق ، ونقاء فى الدخيلة والتصرف . ومن هذا المورد تجد أن ألف ليلة وليلة استنبعت طريقتها فى القص والحكاية مع اختلاف جوهرى .. إن ما كان يرويه العرب ، كانوا يدعون أنه حق وقع وحدث ، وأنهم له ناقلون لا مختلقون . وأن رواة ألف ليلة وليلة لم يدعوا هذا الادعاء ، ولا كان يعنيهم أن يدعوه كما لم يكن يعنيهم أن يصدقهم الناس أو لا يصدقون .

وعودا إلى تلك القصة ، ولنحاول أن نفكر فى انسجام التصرف عند العبدين . فالقصة التى يكتبها القصاصون اليوم تحتم أن يكون التصرف عند العبدين . فالقصة التى يكتبها القصاصون اليوم تحتم أن يكون التصرف متسقا مع الشخصية التى تقوم به ، فكيف لقاتلين سارقين لا أمانة لهما ولا شرف ولا ذمة أن يحملا رسالة غير مفهومة إلى بنتى الرجل الذى قتلاه ؟ .

إن حمل الرسالة نوع من الأمانة النادرة ، فهما تجشما العودة إلى ديار القتيل خصيصا ليؤديا أمانة كلامية كان من الطبيعى أن ينتهباها مع ما انتهبا من حياة الرجل ومن أمواله جميعا .

القصة إذن مختلقة ، ولا بأس على العرب فى نديهم وسمرهم أن يستمعوا إلى المختلقين من القصاصين . ولكن العرب كانوا أذكياء غاية الذكاء ، وكانوا يغضون الطرف عن القصص الجيدة السبك ، التى يجدون فيها ذكاء فى القص وفى الموضوع ، وإذا تحلى هذا أيضا بشعر جميل ، فأنعم به وأكرم .

ولكنهم كانوا يرفضون الهزيل من القصص . حتى أن رجلا كان اسمه خرافة كان يسير بين أحياء العرب ، ينقل إليهم ما يدعى أنه أخبار رآها أو سمعها . ولكنه كان لا يجيد بناء خبره ، وتمويه قصته ، فأصبح بين العرب سخرية ، وأصبح حديثه بين أحياء العرب هزلا لاجد فيه .. حتى لقد أطلقوا اسمه على كل كلام لا معنى له ، وأصبح صفة ، واشتقوا له الفعل والمصدر واسم الفاعل ، فيقال : خرف الرجل تخريفا ، فهو مخرف ولا يقول إلا خرافة .. هكذا كان الأمر .

وأعود اليوم إلى نفسى . ما الذى جعلنى أجبرها على أن أنقل إليك هذه القصة؟ .. أتراه ما شعرت به من متعة فى قراءتها بعثتنى أن أشركك معى فيها .. ؟ ربما كان الأمر كذلك ..

ولكننى أحسب أن دافعا آخر أهم بكثير من مجرد المتعة استحثنى أن أنقلها إليك .

لقد رأيت بآخرةٍ بعض الكتاب الذين يظنون أنفسهم كبارا ، وهم أصغر من الهوان ، يقدمون إلى الناس أحاديث يسوقونها على أنها تاريخ من التاريخ ، وصدق من الصدق ، وحق من الواقع .

ويقرأ الناس ما يقولون ، فيجدون الكاتب يجعل من نفسه إلها منفردا ، يدور العالم كله على ركيزته .. وتلف الكرة الأرضية حول دماغه .. والعجيب أن التاريخ الذى يزورون عليه من الأحياء شهود ، يدركون كل الإدراك أن هذا الذى يرويه الكاتب الكاذب الغبى الأحمق ما هو إلا حديث خرافة ؛ وإن كان « خرافة » فى زمانه ، يلف كذبه بغشاء واهٍ من الحقيقة ، ليموه الحدث على سامعيه ، فإن الكتاب الذين يزورون الحق اليوم أعظم وقاحة ألف مرة من « خرافة » وحكاياته السخيفة الهازلة .

والعجيب العجيب أن هؤلاء الكتاب ينصّبون أنفسهم ، بتاريخهم المزور ، معلمين للناس أجمعين ، فلا رأى إلا رأيهم ، ولا قول إلا قولهم ، ولا أدب إلا أدبهم .

وهم بوجه جامد صفيق ، يدّعون أنهم يعرفون كل شىء ، فى أى شىء ، فهم علماء القانون والطبيعة والمجتمع والأدب والفن وما شئت ، أو لم تشأ من المعارف الإنسانية .

وليس بعجيب أن ترى هؤلاء الصغار يهاجمون كل عظيم فى حياتنا ، سياسيا كان هذا العظيم أو كان عالما .. أو كان أديبا .. ويحاولون أن يرفعوا كل خامل خافت الصوت هزيل العمل ..

لأنهم واثقون أن العظماء يعرفون حقيقة أمرهم ، وأنهم على علم دقيق بخفايا كذبهم ، وخفايا حياتهم ، والحقير الدنىء من تاريخهم العفن .

والكاتب عند الناس إما أن يكون صادقا أو لا يكون .. وليس كاتبا من يحاول أن يخدع الناس ، حتى وإن لجأ فى خداعهم إلى تملقهم ، والهتاف بما يهتف به الغوغاء منهم ، والجهلاء والمضللون الذين يضللون الناس ، أو المضللون الذين أضلهم الملفقون ، واستغلوا سذاجتهم أو جهلهم أو غباءهم أو هذه جميعا .

وكل كاتب لا يراعى اللّه والحق مع النفس ليس جديرا أن يحمل لقب كاتب . فالكاتب فى عصرنا الحديث أمره يختلف كل الاختلاف عن عصور ما قبل المطبعة ... حينذاك كان الشعر فى أغلب أمره تكسبا للمال ، وكان الكتاب يصوغون ما يريد الحاكم أن يقول .

ولكنهم منذ ظهرت المطبعة أصبحوا هم لسان شعوبهم ، ونبض قلوبهم ، وصيحتهم في وجه الظالمين ، وحريقهم للضلال ، ونورهم الذى يكشف الزيف ، وأملهم الذى يردد المستقبل .

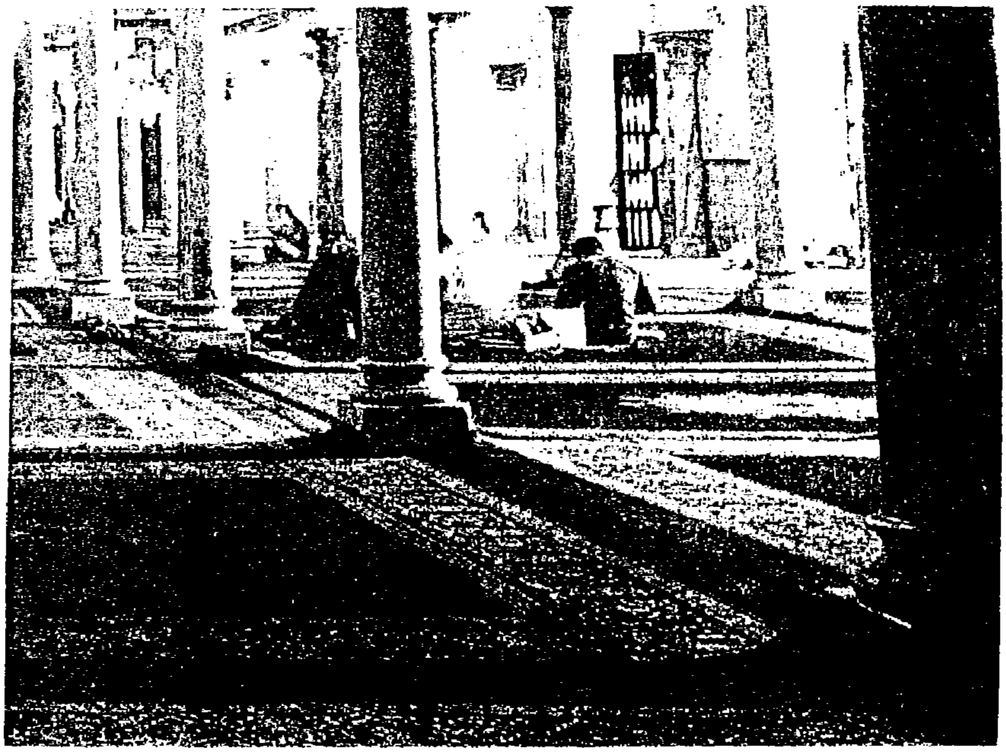
ولعل أعظم مثل في عصرنا الحديث هو عباس العقاد .. الذى لم يحاول يوما أن يصانع الغوغاء ، أو ينطق بهتافهم ، أو يجرى وراء الجهلاء . ولم يقبل أن يمدح إلا إذا اقتنع أن الممدوح جدير بأن يخط العقاد اسمه . ولم يكن عجيبا أن يحاول الطغاة أن يحولوا بينه وبين الصحف ، فإذا اسم العقاد أعظم دورانا وانتشارا من أى صحيفة أو أى وسيلة من وسائل الإعلام .

وحين يعوزه المال ، وينضب منه وعاؤه ، يرفع قلمه إلى أعلى ويرفض أن يذله من أجل كسرة خبز ، ويقبل أن يكون إعلانا لآلات الطباعة من دار الهلال ليعيش من ثمن الإعلان . ولكن هيهات أن يكتب كلمة هى غير صادرة من صميم وجدانه ، ومن صادق مشاعره ، ومن شريف نفسه .

وفى نفس الوقت ، كان ينتهب أموال مصر والعرب أطفال لا يصلون إلى نعل حذائه ، ولا يصلحون أن يكونوا قراء لقرائه .

ولكن التاريخ لا يُفلت من صدقه أحدا ، ولا يغضى عينه عن مخادع أو منافق أو كذاب . ويبقى الصغار الذين هانوا على أنفسهم فكانوا عند الناس هوانا صغارا ، ويبقى العقاد عقادا اسمه هو الشموخ ، وهو الصدق ، وهو الخلود .

❀❀❀



اللّه للغـــة العرب

اللّـه للغة العرب

أترانا نكتب لأنه ينبغي علينا أن نكتب ؟ أم ترانا نكتب لتسلية القراء ، وإزجاء أوقات فراغهم ، ودفع الملالة عنهم .. أم هي والسلام ملء لصفحات جريدة لابد أن يشغل صفحاتها البيض حبر أسود منقوش بقلم كتاب تعود القراء أن يطالعوا أسماءهم في كل يوم أو في أيام معينة من الأسبوع . إن كان الأمر كذلك ، أو شبيها بذلك ، فبطن الأرض خير من ظهرها . ولنقصف الأقلام ، ولتكن الصحف بيضا ، فهذا خير لها ولنا على السواء . وإن كان الأمر كذلك ، أو شبيها بذلك ، فأولى بنا نحن الذين نسود الصحف أن ننقش الأقلام ، ونتسمت بجهدنا سمتا أكثر نفعا لنا وللناس ، وحسبنا اللّه ونعم الوكيل . .

وإذا كان الأمر كذلك ، أو شبيها بذلك ، فقد ضاعت الكلمة إذن وهى التى اختارها اللّه سبحانه وتعالى معجزته الباقية على الدهور ، وآيته الخالدة إلى الزمان .

وإن لم يكن الأمر كذلك ، أو شبيها بذلك ، فما للمسئولين يسمعون ولا يجيبون .. ويقرأون ولا يحفلون .. ؟ أم تراهم لا يسمعون ولا يقرأون ، فتلك إذن الكارثة التى لا تصل إليها كارثة والمصيبة التى لا تماثلها مصيبة .. فالمسئولون هم القائمون على الأمر ، والكاتب هو صوت هذا الشعب الذى يقومون على أمره . فإن لم يسمعوا ما يقول الشعب ، فكيف إذن سيقومون بشأنه ، ويصبحون أمناء على مستقبله ، حراسا على صوالحه .. ؟ ولست أعنى أن كل ما يكتبه الكاتب يصبح أمرا واجب التنفيذ ، وإلا أصبح الكتاب هم الحكام . وإنما أعنى أن يكون كل ما يكتبه كاتب ، دون غرض أو غاية أو مصلحة شخصية ، موضوع نقاش من المسئول ، واهتمام ومداولة .

ولابد أن يعرف المسئول أن بقاءه على كرسيه أمر وقتى له نهاية ، أسرعت النهاية أم توانت وأبطأت . ولكن صوت الكاتب الذى تخلو نبرته من المنفعة الخاصة ، أو من السعى إلى البطولة الزائفة ، يبقى صداه على مدى الزمان بلا نهاية ..

ربما كان هذا الذى أكتبه مليئا بالسخط والغضب . وأقسم ما غضبت لنفسى ، إنما للحق الذى أومن به كانت غضبتى . ومنذ سنوات كتبت عدة مقالات طالبت فيها أن يعود الأزهر إلى الأزهر ، وصرخت أن العالم تملؤه الجامعات المدنية ، ولكن ليس فى العالم إلا أزهر واحد ، استضاءت بفيض أنواره جنبات الشرق أجمع ، وألقى شعاعه إلى كل مناحى الدنيا . وكان هذا الأزهر أمينا على فقه القرآن الكريم والدين الحنيف . واللغة العربية هى السبيل إلى فهم القرآن والدين ، وحسبنا ما جاء فى كتاب أخينا عبد الرحمن الشرقاوى عن الإمام الشافعى ، نقلا عن الثقاة ، من أنه كان يقيم فترات طويلة فى البادية ليستقيم لسانه العربى ، ويصبح جديرا بأن يتصدى لما تصدى له ، حتى استقام له مذهب يتبعه فيه حتى اليوم قوم لا يحيط بهم حصر . فهو واحد من أئمة أربعة استقرت أسماؤهم على قمة العلم فى الفقه الإسلامى .. والأئمة الثلاثة الآخرون هم أيضا كانوا على ثقة لا تقبل المناقشة من أنهم ، إذا لم يعرفوا لغتهم حق المعرفة ، فليس لهم أن يجلسوا للفتوى . وكذلك الأمر مع كل من سار على نهجهم ، أو مشى فى طريقهم ..

وطالبت فى ذلك الحين أن تعود الكليات الدينية إلى سابق العهد بها ، وأن يصبح حفظ القرآن شرطا لدخول هذه الكليات . وإن ردنى أحد بأن حفظ القرآن لم يعد ضرورة بعد أن وجدت المطبعة وتبعتها الإذاعة والتليفزيون ، سارعت إليه .. ما على القرآن خفت ، فهو محفوظ بأمر كن من صاحب الأمر ، وإنما خوفى على اللسان العربى عند الناشئة ، وعند المهتمين بشئون الدين الإسلامى ، فأولئك إن لم يحفظوا القرآن، فإننا على مدى سنوات قليلة لن نجد قارئا ، فإذا وجدناه فلن نجد متفقها فى الدين ، يخلف الأئمة الأعلام الذين يضيئون اليوم ساحات الأزهر والحياة فى طول بلاد العالم وعرضها .

وقد كتبت حينذاك عدة مقالات ولم أجد لها صدى ، فثرت وأعلنت أننى سأطوى الشراع وأتوقف عن الكتابة فى هذا الموضوع . وعند ذلك كلمنى فضيلة الإمام الأكبر السابق ، عارضا أن يزورنى ، فأقسمت أن أزوره أنا . وزرته ودار بيننا حديث طويل ، انتهى إلى أن الأزهر اقتنع بما قلت ، وأنه فى مدى عامين من ذلك اليوم سيكون النظام الذى رجوت أن يكون ... ومضت بعد العامين أعوام ، والحال على ما هو . وأذكر البيت العربى القديم :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وبالأمس القريب، قرأت مقالا لأستاذ فاضل هو الأستاذ حليم فريد تادرس ، موجه أول الفلسفة بالتعليم الثانوى .. ويتساءل الأستاذ فى بداية مقاله عن أسباب تدهور اللغة العربية بين أبناء الجيل الحالى ، ويُرجع ذلك إلى أربعة أسباب . وأورد من بين الأسباب السبب الذى أراه أنا أهمها وأعظمها شأنا ، وهو هبوط مستوى معلم اللغة العربية . ويقول : إن هذا يظهر من قبول كليات الأزهر المتخصصة لطلاب لم يتلقوا اللغة العربية فى معهد الأزهر ، ويقترح الأستاذ حليم فريد تادرس تقرير أجزاء من القرآن الكريم على تلاميذ المدارس الابتدائية والثانوية حفظا وتفسيرا ، بحيث ينتهى الطالب من مراحل التعليم قبل الجامعى وقد حفظ معظم القرآن الكريم . ويرى الأستاذ أن تلك من ناحية ضرورة دينية ، ومن ناحية أخرى ضرورة تعليمية لغوية خاصة ، إذا علمنا أن اللغة العربية ترتبط ببلاغة القرآن ، هذا المعجز الخارق ، على حد تعبير الأستاذ حليم . ويرى الأستاذ أيضا إعادة النظر فى نظام القبول الحالى بكلية دار العلوم وكليات اللغة العربية بالأزهر وأقسام اللغة العربية بالجامعات المصرية ، بحيث لا يتسرب إلى هذه الكليات أو الأقسام إلا من تؤهله قدرته اللغوية على دراسة اللغة العربية والتخصص فيها ، أسوة بما هو متبع فى أقسام اللغات الأجنبية بالجامعات .

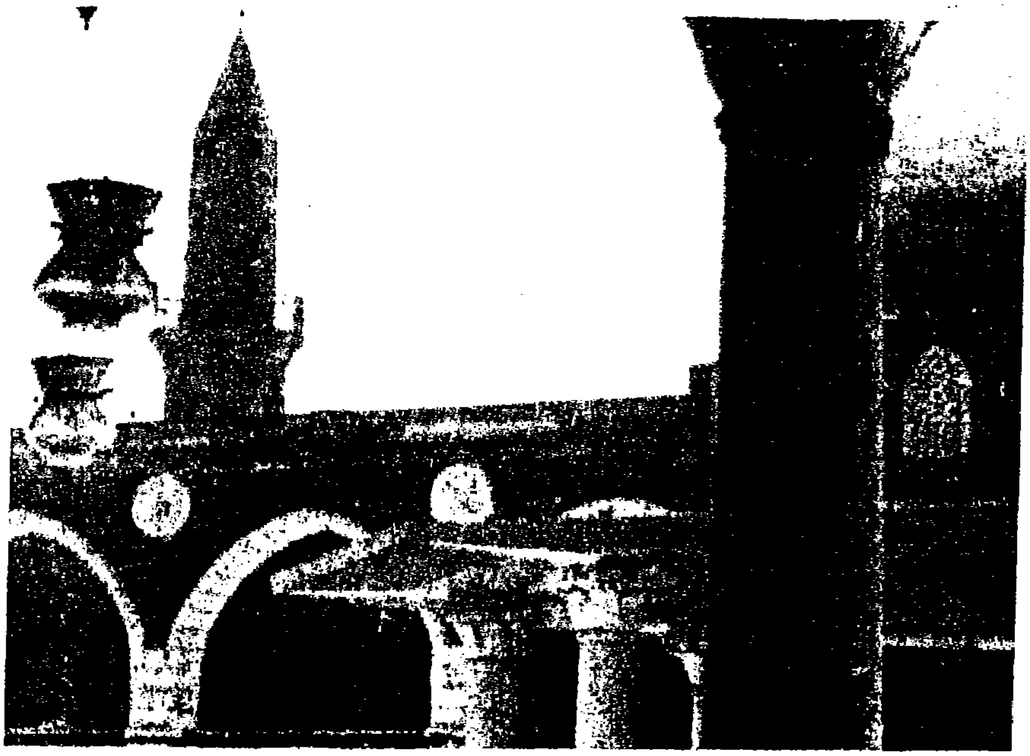
ويرى الأستاذ حليم أنه لابد من عودة الأزهر إلى ساحته الأساسية ، ليقوم بوظائفه الأساسية مسجدا جامعا ومجمعا لحراسة الإسلام وحماية دعوته ، وجامعة كبرى للتربية والتعليم الدينيين ، وعلى رأسهما القرآن الكريم واللغة العربية ، ليؤدى على الأقل الدور الذى أداه فى عهد العثمانيين (٩٢٢ - ١٢١٣) وهو العهد الذى استغرق نحو ثلاثة قرون كانت من أسوأ عهود الأزهر والأمة الإسلامية فى تاريخه العلمى والثقافى ، إذ كان للأزهر فى هذا العهد الفضل الأكبر فى مغالبة عوامل الانحلال والضعف والعجمة ، وفى حفظ ما بقى من التراث العلمى والعربى . ولولاه لقضى على هذا التراث ، بل لقضى على اللغة العربية ذاتها .

وإلى هنا ينتهى كلام الأستاذ حليم فريد تادرس موجه الفلسفة ، وتبدأ حسراتنا تعود إلينا أمواجا كثيفة ، وسوادا ما له من بصيص . لقد انحسر الأزهر الشريف عن حياتنا ، وأصبح عهد العثمانيين ، الذى كان من أحلك عهود مصر ، أملا لنا نصبو إليه ونهفو إلى المكانة التى بلغها الأزهر فى ظلال أيامه .

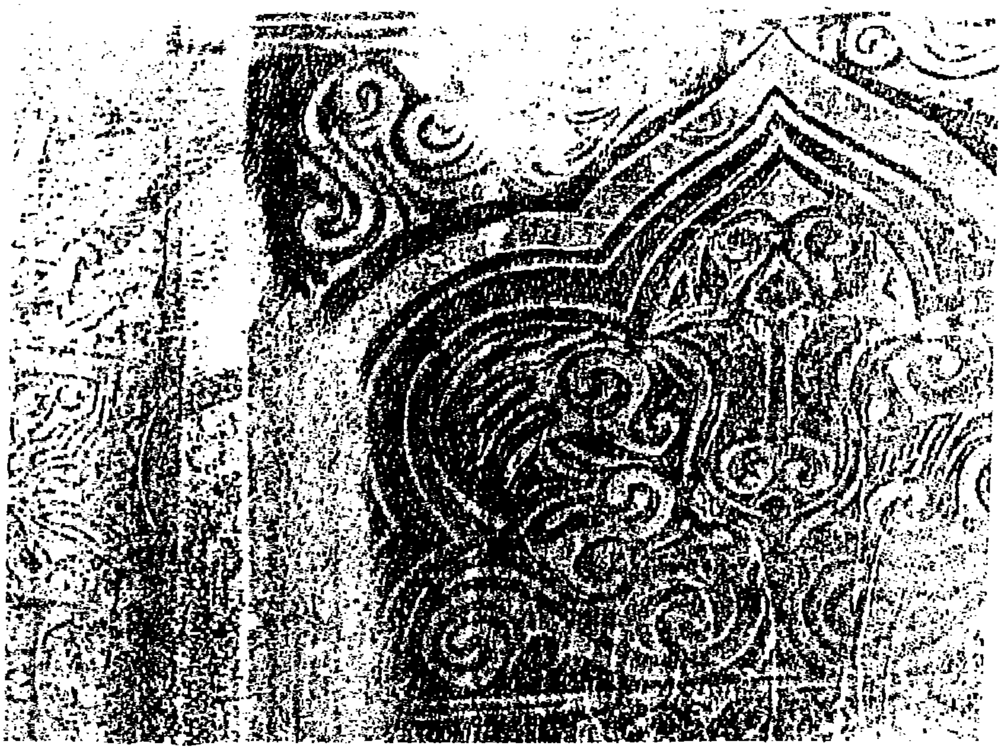
وتجتاح النفس أمواج أخرى من الألم ، وأوشك أن أقول من الخزى ، ونحن نرى اللغات الأجنبية فى الجامعات تنال نصيبا وافرا من الاهتمام ، بينما تضيع لغتنا ويلتوى لساننا بالعجمة فى بلد الأزهر مصر عميدة الشرق العربى .

والإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ، رجل جليـل فـاضل ، وأنـا لا أشـك لحظة أنه على بينة بهذا الهوان الـذى تعانيـه لغـة القـرآن ، وهـو قـادر علـى أن يـرد علـى المدافعين عن الجامعة الحديثة بقولهم أن أغلب الصحابة كـانوا لا يحفظـون القـرآن بكلمـة بسـيطة غايـة البسـاطة ، هـى أن لسـان الصحابـة كـان عربيـا أصيـلا ، ولم تكـن اللكنـة والانهيار والضياع قد أصابت اللغة العربية ، فما عليهـم مـن بـأس ألا يحفظـوا القـرآن .. والصحابـة لم يكونـوا معلمـين للغـة العربيـة فـى المـدارس الابتدائيـة والإعداديـة والثانويـة والجامعة ، ولو كانوا لعلموا أبناء العربية كيف يكـون النطـق العربـى ، والنحـو العربـى ، واللسان العربى ، أما المدرسون اليـوم فهيهـات أن يسـتطيعوا تعليـم العربيـة ، لأنهـم هـم أنفسهم لم يتعلموها .. ولا يمكن أن يعطى الشىء من لا يملكه . وإنى أحذر أن يـأتى إلى مثل هذا الخطاب الذى جاءنى منذ قريب من شاب يقـول : إننـى ظلمـت الجيـل الجديـد حين رميته بالجهل ، ويذكر لى صاحب الخطاب أنه هو شخصيا يعرف خمس لغات .. يا أخانا إننا حين نقول كلاما عن فئة أو عن جيل إنما نذكر الصفات الغالبة فى هذا الجيـل ، والاستثناء يؤكد القاعدة .. ترى هل هناك مزيد يقال ؟ وإن كان هناك مزيد ، هل هنـاك فائدة ترجى من قوله ؟ ما أظن .. ومرة أخرى حسبنا الله ونعم الوكيل .

❀❀❀



عودة إلى الأزهر



لا بد أن يعود الأزهر إلى الأزهر

لا بد أن يعود الأزهر إلى الأزهر

يوافيني البريد بكثير من الخطابات والمقالات حول موضوع القرآن والأزهر الشريف ، وإني أنشر هنا خطابا من الدكتور غسان زكي بدر أستاذ علم الاجتماع المساعد بآداب عين شمس ، ولي على ما كتبه الدكتور تعليق ، ثم لي على الموقف جميعه تعليق آخر .

يقول الدكتور :

« لقد قامت دعوة تطوير الجامعة الأزهرية على أساس الغيرة على مستقبل هذه الجامعة العريقة ، التي يرجع استمرار تاريخها لأكثر من ألف سنة ، وتعتبر بذلك أقدم الجامعات المعاصرة في العالم . وإذا كانت دعوة التطوير صاحبها بعض الإخفاقات ، فليس في هذا ما يجعلنا نَصِم عملية التطوير ككل ، وإنما تدعونا إلى مراجعة ما في عملية التطوير من إيجابيات وسلبيات ، فننمي الأولى ، ونتجنب الثانية ، دون الردة إلى حالة الجمود التي كانت عليها جامعة الأزهر قبل عملية التطوير .

حقا لا أحد ينكر على الأزهر تخريجه لعديد من رواد حركتنا الحديثة في النهضة في مجالات الدين الإسلامي ، والأدب العربي ، فليس بيننا من لا يجد أن رسالة الأزهر الأساسية يجب أن تتركز في رعاية هذين التخصصين من المعرفة الإنسانية ، ولا أن تنبع شهرة الأزهر من العناية بهما ، لكن هناك اعتبارات حضارية معاصرة تملى على الأزهر ضرورة الاهتمام بأن يكون جامعة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني الإحاطة بكل معرفة على المستوى التخصصي في البحث والتعليم ، ومع أن الطب تخصص وتعليم يمكن أن يقوم في كل جامعة ، إلا أن جامعة الأزهر يجب أن تتضمن هذا التخصص ، ليس لأن هناك طبا إسلاميا وطبا غير إسلامي ، وإنما لإعداد الأطباء الغيورين على الدين الإسلامي ، ليكونوا دعاة إسلاميين في مجال تخصصهم ، وليولوا مسائل البحث الطبية المتصلة بالديانة الإسلامية أولوية في الكشف عن حقائقها ، كما يهتمون بمكافحة أمراض

المناطق التى بها تجمعات من المسلمين ، وتوفير الطبيب المسلم الذى يفضل العمل بين أبناء دينه ، مهما كانت ظروف حياتهم ، على تفضيل العمل فى مناطق حصلت من الرعاية الطبية على قدر مناسب ، لا لشىء إلا لتوفر فرص الحياة المغرية من أجور ومعيشة مدنية ، وما يقال عن الطبيب يقال عن المحامى وعن المهندس وعن الزراعى والاقتصادى ... إلخ .

والواقع ، إنه لا خلاف فى المناقشة الحالية حول هذه الأمور ، فهى مسلمات معروفة ، ولكنى أردت ذكرها حتى تكون أمام أعيننا فى مناقشة ضعف أسلوب الإعداد الدينى لطلاب جامعة الأزهر فى تخصصاتهم المختلفة ، وفى رأيى يرجع ضعف الأسلوب حاليا لعملية التطوير التى جاءت بقرار تم تنفيذه فى يوم وليلة ، فاستعان الأزهر بهيئات تدريس من غير أبناء الأزهر ، ومع أنه استعان بأساتذة أفاضل تخصصا ودينا ، إلا أن أسلوبهم فى وضع مناهج الدراسة والإعداد التخصصى للطلاب جاء بعيدا عن رسالة الأزهر الحقيقية ، ورسالة تطويره ، واعتبر الأزهر كأى جامعة أخرى فى رسالته ، وكان الواجب ألا يعتد فى التعيين فى الأزهر لوظائف التدريس بالشهادات ومعادلتها وفقا لنظام المجلس الأعلى للجامعات ، وإنما كان يجب أن يكون لجامعة الأزهر معاييرها الخاصة ، فتكون الدرجة العلمية والمؤهل التخصصى أحد جوانب هذه المعايير ، وتكون الغيرة على الإسلام والمبادئ الإنسانية العامة جوانبها الأخرى .. فلا ضرر فى إجراء امتحان للمتقدم للتعيين ، إلا أن يكون معروفا بكتاباته التى ترى لجنة التعيين أنها كافية ومناسبة لأهداف جامعة الأزهر .

ولعل من الأخطاء التى وقعت فيها جامعة الأزهر فى الحصول على طلابها ، أنها سمحت للحاصلين على الثانوية العامة بفرصة التقدم إليها ، على أن يقضوا فى أول التحاقهم سنة دراسية فى دراسات دينية ، معتبرة أن ذلك أسلوب قويم فى إعداد الطالب الإسلامى ، الذى سيحمل رسالة الأزهر . والواقع إن طالب الجامعة الأزهرية من غير الحاصلين على ثانوية الأزهر يجب أن يلتحق بنظام مختلف عن نظام التنسيق ، يجب أن يكون الالتحاق بامتحان مسابقة أو معادلة تحدد فيه مواد تساوى بين طالب الثانوية العامة وطالب الثانوية الأزهرية ، والتى على طالب الثانوية العامة النجاح فيها قبل الالتحاق بالجامعة الأزهرية فى التخصص الذى يريده ، فالعبرة يجب أن تكون استيعاب هذه المواد مهما تعددت وليس سنة دراسية ، واستيعاب بعض المواد .. التى يراعى فى تصحيحها أن الطالب ليست له فرصة الالتحاق بكلية أخرى فى جامعة أخرى .

والتعليم الأزهرى ليس بتعليم عام تتولاه الدولة ، وإنما هو نوع من التعليم الخاص الإسلامى ، تتولاه وزارة الأوقاف ، بما لها من رسالة وتمويل إسلامى . فهى تساعد

الدولة فى أداء سياستها العامة ، ولكن ليس على حساب رسالتها الخاصة ، وهذا حق للأزهر ومعاهده ، كما أن حق الدولة أن هناك تعليما أساسيا ، تضع أسسه الدولة وتلتزم به المعاهد الأزهرية بالنسبة لمراحل التعليم حتى الثانوية العامة ، كالتزام مدارس اللغات به ، رغم تميزها فى نوعيتها التعليمية .

وهذا الموضوع يقودنا إلى كلمة سريعة عن ضرورة تطوير التعليم الأزهرى فى المعاهد على أسس من هذا المعنى ، من الحضانة إلى الثانوية العامة ، حتى تكون أمام تلميذ هذه المعاهد فرصة التحويل من وإلى التعليم العام فى الدولة ، فتضمن له حريته الشخصية وحرية أسرته فى تعليمه العام والأزهرى على حد سواء .

بقى بعد ذلك كلمة بالنسبة لحفظ القرآن الكريم وهى ما أثار فى الوقت الحالى المناقشة حول موضوع تطوير الأزهر ، فالحفظ ضرورة لطالب الأزهر ومعاهده ويمكن أن يراعى فى أسلوبه وطريقة الامتحان فيه أساليب التربية التى تراعى القدرات الفردية ، وهى مهمة يمكن أن تنهض بها كلية التربية بالأزهر ، وإن كان لى فى هذا الموضوع رأى شخصى - ولا يعتد به - فهو أننى أرى أن فهم المعانى له أولوية على الحفظ . فإلى جانب أنه يسهل الحفظ ، فسيسمح للمتخصص بالبحث عن النص الحرفى فى الكتاب الكريم إذا أراد ، فليس من الملزم التشدد فى الحفظ الفائق للنص ، وإنما يمكن التيسير مع المحافظة أن يكون معيار الكمال هو الحفظ الفائق الكامل السليم الواعى ، وما أدعو إليه هو ما أعتقد أنه فعلا سائد اليوم بين شباب الأزهر ، وهم أزهريو النشأة .

وتقبلوا خالص شكرى .

أبدأ فأتشكك كثيرا أن دعوة تطوير الأزهر قد قامت على أساس الغيرة على مستقبل هذه الجامعة العريقة ، فليس يصح فى العقول أن الغيرة على مستقبل جامعة أساسها الدين القائم على القرآن تلغى حفظ القرآن من شروط الانتساب إلى الكليات الدينية .

أما ما جاء بعد ذلك فى خطاب الدكتور من الاعتبارات الحضارية ، فإنى أحترمها وأعتقد أننى أشرت قبل ذلك أن تعليم الأسس العامة للدين وجانب من القرآن الكريم لدارسى الطب أو الهندسة أو الحقوق أو غيرها واجب حتمى لا يعترض عليه أحد ، إلا أنه أمر يمكن أن يتم فى أى كلية ، ولا بأس أيضا أن يكون هناك جامعة أزهرية تحقق هذا الهدف .

ولكن هؤلاء الخريجين لا يمثلون الأئمة الدينيين الذين ننادى بوجوب حفظهم للقرآن ، والجزء لا يغنى عن الكل .

وكان من الطبيعي ، لو أن النيات خالصة ، أن تقام الجامعة الأزهرية لتعليم العلوم الدنيوية جميعا مع بعض العلوم الدينية ، وتبقى مع ذلك مهمة الأزهر الأساسية على حالها .

والدكتور لا يعارض في هذا ، وإنما يثبت معنى أشرت أنا إليه إشارة عابرة حين أوردت حديثي مع الأستاذ الفاضل كامل حتة ، ولكن يبدو أن الدكتور خشي أن تمر الإشارة دون الانتباه إليها .

وإذن فأنا متفق مع الدكتور غسان زكي بدر في كل ما جاء في خطابه ، فيما عدا حسن ظنه بمن نفذ دعوة تطوير الأزهر .

وبعد ، فما لهذا الحديث لا يصل إلى أحد من المسئولين عن الجامعة الأزهرية ؟ أيكونون في بلد آخر غير مصر أم ترى الأهرام تصدر في المريخ .

وإن لم يهتموا بكلام ينشر عن دين اللّه وقرآنه وجامعتهم ، فبماذا يا ترى يكون اهتمامهم ؟

أيظنون أننا ننشر هذا الكلام للشهرة وللإثارة الصحفية ، إذن فهو العجب ، فما أنا بحاجة إلى شهرة ، وليس الشيخ الجليل عبد العزيز عيسى بحاجة إلى شهرة ، والأهرام أكبر من أن أذكر قيمته في الصحافة العالمية ، فما هو بحاجة إلى إثارة صحفية .

وإن كان هذا الصمت موجها إليّ ، فأنا منه بناجية ، فأنا لا أكتب في موضوع خاص . وإن كان موجها إلى الصحافة كلها ، ممثلة في كبرى الصحف العربية ، فويل إذن لمستقبل الثقافة الدينية عندنا ، إذا كان القائمون بأمرها لا يعرفون الخطير من الأمور والهين منها .

وقد كنت فيما كتبت غاية في الرفق ، فأنا لم أحملهم مسئولية السماح لمن لم يحفظوا القرآن بأن يعلموا القرآن والشريعة الإسلامية ، فمعارضتهم في تلك الأيام كانت بطولة ، وأنا لست من السذاجة حتى أحاسب قوما على عدم البطولة ، وقد كان العهد مقتصدا تدمير الدين واللغة .

وإن كان هناك قوم كثيرون من كل الأديان وضعوا رقابهم على أيديهم في سبيل ما يعتنقون ، ولكن مع ذلك لا جناح عليهم .

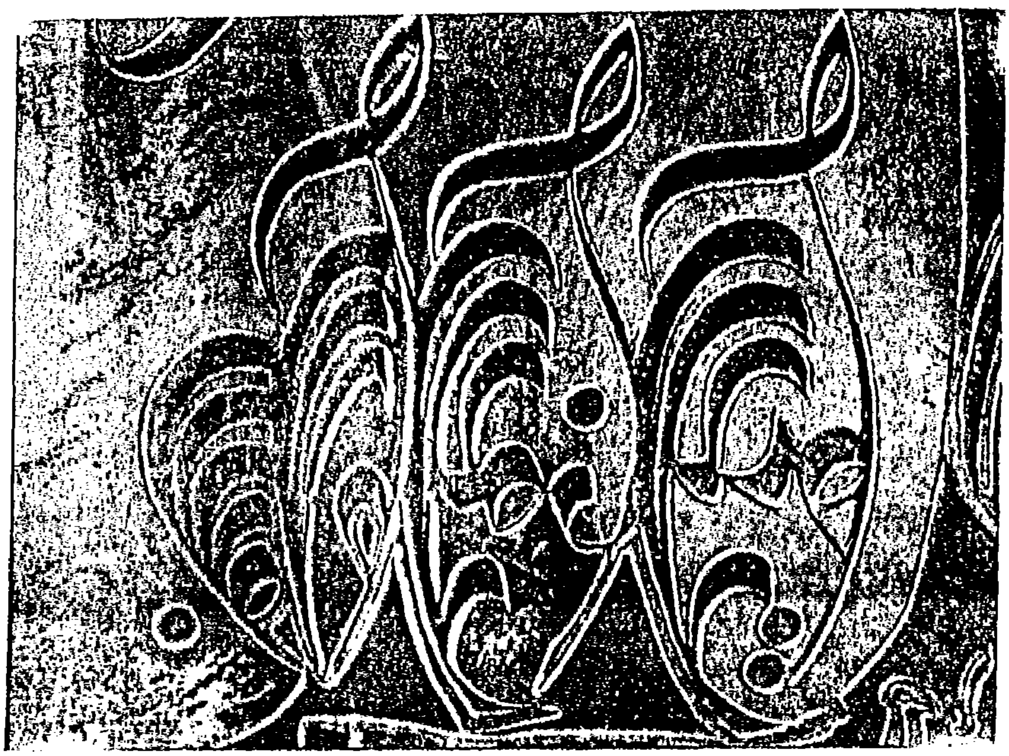
أما اليوم ورئيس الجمهورية يصدر أوامره أن يكون تعليم الدين في كل سنة دراسية ، وبأمر ، فالدين مادة أساسية لا ينجح الطالب أو ينجح فيها .

فكيف إذن السكوت اليوم على قوم سيدرسون الدين لأبنائنا في غد ، وهم لا يحفظون القرآن الكريم ؟

إن هذا النظام جريمة مستمرة ، وسكوت عنها مشاركة فيها .

وبعد ، فنحن لا نبتغى فى هذا الذى نكتبه إلا وجه اللّه والحق ، وأحسب هـذا الوجـه الأكرم ، وهذا الهدف الجليل ، هما غاية الأساتذة الأجلاء الذين يقومـون بشـأن الجامعـة الأزهرية ، فإن لم ، فحتم من الحتم ألا يتغيوا غير هذين فى دينهـم ودنيـاهم .. وحسـبهم سبحانه والحق غاية .

❀❀❀



خطاب وتعليق

خطاب وتعليق

١ ـ الخطاب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد ..

أعتقد أنك قد قسوت كثيراً على المسئولين عن جامعة الأزهر فى حديثك وقرآنهم وجامعتهم ، وعدم اهتمامهم بذلك كما لو أن الأهرام تصدر فى المريخ ، وكما لو أنهم يعيشون فى بلد آخر غير مصر ... إلخ .

وليس الذى يحملنى على الكتابة إليك اليوم هو هذا المعنى الذى أشرت إليه .

فقد تابعت أنا وغيرى من الأزهريين ما كتبت . وفى مجلس ضم مجموعة من علماء الأزهر على رأسهم فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى شكرنا لك غيرتك واهتمامك بالأزهر ودوره ، وكان هذا قبل أن تنشر شيئاً عن برقية فضيلة الشيخ عبد العزيز عيسى .

ولا جدال فى أن المستوى التعليمى فى معاهد الأزهر وجامعته قد هبط بشكل ملحوظ .

ولكن الحق أن هذه الظاهرة لا تقتصر على الأزهر وجامعته فقط ، بل تمتد إلى المدارس العامة والجامعات الأخرى فى الدولة . فهبوط المستوى التعليمى أصبح اليوم قضية عامة .

ولكن هذا لا يعفينا من الاهتمام بشكل خاص بنوعية التعليم الدينى والارتفاع بمستواه . وفى البداية لا أريد أن أجعل ـ كما يفعل غيرى ـــ من قانون تطوير الأزهر شماعة تعلق عليها كل الأخطاء .

فالهدف الرسمى المعلن فى المادة الثانية من قانون تطوير الأزهر رقم ذ ١٠ لسنة ١٩٦١ وفى المادة ٣٣ أيضاً هو إعداد « العلماء العاملين الذين يجمعون إلى الإيمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح والتفقه فى العقيدة والشريعة ولغة القرآن الكريم ، كفاية علمية وعملية ومهنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة ، والربط بين العقيدة والسلوك ، وتأهيل

عالم الدين للمشاركة فى كل أنواع النشاط والإنتاج والريادة والقدوة الطيبة ، وعالم الدنيا للمشاركة فى الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة . . . إلخ » .

ولو طبق قانون تطوير الأزهر تطبيقاً سليما ، لوصلنا إلى هذا الهدف النبيل حتى وإن كان الداعون إلى هذا التطوير يقصدون غير ذلك .

ولست أدفع عن قانون التطوير ، ولم يكن لى فيه أى دور ، وإنما أريد فقط أن أشير إلى أن هناك عوامل أخرى وراء ضعف المستوى التعليمى فى الأزهر وعدم الاهتمام بحفظ القرآن الكريم .

ومن بين هذه العوامل ما يلى :

١ ـ لم يكن الأزهر فى يوم من الأيام دارًا لتحفيظ القرآن الكريم . . . فهذه المهمة كانت تقوم بها الكتاتيب المنتشرة فى كل مكان . . . وقد انقرضت هذه الكتاتيب للأسف . وفى الوقت الذى ندعو فيه جميعاً إلى إعادتها ، يفاجئنا التليفزيون بمسلسل « الأيام » يصور لنا فيه « سيدنا » فى صورة الأفاق الدجال الكذاب ، بشكل يوحى بالتعمد فى تصوير هذه الشخصية بهذه الصورة ، فى هذا الوقت بالذات ، حتى لا يبعث أحد بطفله إلى الكتاتيب لو أعيد فتحها . .

٢ ـ الذى حدث فى السنوات الأخيرة ـ وما زال يحدث حتى الآن ـ هو قبول أعداد كبيرة من التلاميذ فى معاهد الأزهر الإعدادية والثانوية لا يحفظون القرآن الكريم أو حتى قدراً يسيرا منه .

وكانت سياسة توسيع القاعدة العريضة للمعاهد الأزهرية ـ مع توفر حسن النية ـ سببا فى التحاق أفواج كبيرة من التلاميذ بمعاهد الأزهر لا يحفظون شيئاً من كتاب الله .

وقد سمح ولا يزال يسمح أيضاً لحملة الإعداية العامة ، ممن لم تقبلهم مدارس وزارة التربية والتعليم لضعف مستواهم وانخفاض درجاتهم ، بالالتحاق بالمعاهد الثانوية الأزهرية ، وهم أيضاً لا يحفظون القرآن الكريم ، وكانت تجرى لهم امتحانات قبول صورية . وحتى لو أجريت هذه الامتحانات بكل جدية فلن تتعدى ما حفظوه من القرآن الكريم فى المدارس الإعدادية ، وهو قدر ضئيل جداً لا يفى إطلاقاً بمتطلبات المدرسة الأزهرية الثانوية .

وهذه الأعداد الكبيرة من حملة الإعدادية العامة ، والتى لا تحفظ االقرآن الكريم ، تكاد تكون هى المصدر الرئيسى الذى سيغذى الكليات الدينية بجامعة الأزهر لسنوات طويلة مقبلة ، إذ أن هذه الأعداد ضعيفة المستوى أصلاً فى مواد المدارس العامة ، ويزداد

ضعف مستواها أيضاً بإضافة دراسة المواد الدينية والعربية فى معاهد الأزهر .. والنتيجة هى الحصول فى النهاية على شهادة الثانوية الأزهرية بمجموع ضعيف .

وأصحاب المجاميع الضعيفة يوزعهم مكتب التنسيق بجامعة الأزهر على الكليات الدينية ، لأن أصحاب المجاميع العالية يلحقون بكليات الطب والهندسة ... إلخ .

وهكذا يتضح لنا أن ضعف المستوى التعليمى فى معاهد الأزهر ، وإهمال حفظ القرآن الكريم ، يرجع إلى سياسة الارتجال وانعدام التخطيط السليم .

٣ ـ أما عن المستوى فى الكليات الدينية بجامعة الأزهر ، فقد قلت فى اجتماعات بعض اللجان المختصة : إن هذا المستوى سيظل هابطاً طالما أن مستوى الطلاب القادمين إلى هذه الكليات هابط أساسا ...

وجامعة الأزهر لم تلغ حفظ القرآن الكريم كشرط من شروط الانتساب إلى الكليات الدينية ، فهى كليات لا تقبل إلا حملة الثانوية الأزهرية الذين يفترض فيهم أنهم يحفظون القرآن الكريم ويمتحنون فيه سنويا .

وإذا كان الواقع غير ذلك ، فما علينا إلا أن نحاول إصلاح ما أفسده الدهر فى معاهد الأزهر . ولهذا نقوم بالتشديد على حفظ القرآن الكريم فيمتحن الطالب فى الكليات الدينية شفويا وتحريريا فى السنة الأولى فى ربع القرآن الكريم وفى السنة الثانية فى نصف القرآن الكريم ، وفى السنة الثالثة فى ثلاثة أرباع القرآن الكريم ، وفى السنة الرابعة فى القرآن الكريم كله .

وفى هذا المقام أود أن أشير إلى أنه . نتيجة لتشددنا فى كلية أصول الدين بالقاهرة فى امتحانات القرآن الكريم فى العام الجامعى ٧٧ / ١٩٧٨ ، كانت نسبة الرسوب ٧٠ ٪ فى مادة القرآن الكريم . وبلغت هذه النسبة فى العام الجامعى ٧٨ / ١٩٧٩ حوالى ٦٠ ٪ .

ولعلاج ظاهرة الرسوب فى هذه المادة قررت الجامعة أن يكون هناك دور ثان فى شهر سبتمبر من كل عام فى مادة القرآن الكريم فقط لمن يرسبون فيها فى الدور الأول . وبذلك تتاح الفرصة أمام الطلاب ليعيدوا حفظ ما فاتهم فى أثناء الإجازة الصيفية . هذا الحرص التام من جانب كلية أصول الدين ـــ التى تخرج الدعاة ـــ على حفظ القرآن الكريم جعل البعض من طلاب السنة الأولى يطلبون التحويل إلى كليات أخرى .

واستمرارا لسياسة التشديد على حفظ القرآن الكريم فى كلية أصول الدين ، يشترط مجلس الكلية نجاح طالب الدكتوراه فى امتحان للقرآن الكريم شفويا وتحريريا قبل السماح له بمناقشة رسالته للدكتوراه ، وهذا إجراء تنفرد به كلية أصول الدين .

وفى النهاية أود أن أشير إلى أننا إذا أردنا أن « يعود الأزهر إلى الأزهر » كما هو عنوان مقالكم الأخير ، فلابد أن يبدأ الإصلاح من القاعدة ... من مدارس الأزهر الابتدائية والإعدادية والثانوية .

فالحديث عن هبوط المستوى فى الكليات الدينية ، وضعف مستوى حفظ القرآن الكريم فيها حديثا منفصلا عن الحديث عن هذه القاعدة العريضة التى تغذى تلك الكليات . أمرٌ لن يجدى نفعاً ولن يغنى فتيلا طالما بقيت القاعدة مريضة .

وكيف يستقيم الظل والعود أعوج ؟ وأود أيضاً أن أحذر من دعوة بدأت تطل برأسها فى الآونة الأخيرة ، وهى الدعوة إلى فصل كليات الأزهر الدينية عن الكليات الأزهرية الحديثة . كما لو أن ضعف المستوى فى الكليات الدينية سببه وجود الكليات الحديثة بالأزهر .

إن الإسلام دين ودنيا ... ويجب أن تكون رسالة الأزهر تخريج عالم الدين الفاهم لرسالته الواعى بمسئولياته ، وعالم الدنيا الملتزم بقيم الإسلام وآدابه ... وإذا كان هناك قصور فى أى جانب يمكن علاجه ... فوراء دعوة الانفصالية هذه أغراض كثيرة خفية لا نريد أن نخوض فيها .

ولكم منى خالص التحية والتقدير والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته .

د . محمود حمدى زقزوق

أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة

ووكيل كلية أصول الدين بجامعة الأزهر

٢ ـ تعليق وليس ردا ...

أنا يا سيدى لم أقصد أن يكون الأزهر مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ، ولو أن هذا المعنى كريم ولا ضير فيه على الأزهر ، وإنما أنا أرجو أن يعود الأزهر إلى اشتراط حفظ القرآن الكريم لكل من ينتسب إليه وبهذا يصبح كل منتسب للأزهر فى الكليات الدينية حافظاً للقرآن الكريم . وقد كان هذا هو الشأن . وكان الطلبة يمتحنون فى القرآن الكريم عند دخولهم ، ثم فى ابتدائية الأزهر ثم فى ثانوية الأزهر ثم فى امتحان العالمية أيضاً . ولا شك أن مولانا الدكتور محمود حمدى زقزوق يعرف هذا كل المعرفة .. ولهذا كان خريجو الأزهر مرجعا فى القرآن الكريم ، وفى اللغة العربية معا .. وأنا يا سيدى أرجو ، وأظن أنك ترجو معى ، أن يكون الإجراء الذى تتخذونه فى كلية أصول الدين عاما فى كل الكليات التى تتولى التعليم الدينى . ولا شك أنكم ترجون هذا معى . وإنى يا سيدى لأعجب من لهجة الدفاع عن الأزهر التى أحس بها فى بعض الخطابات . أو فى قليل من الخطابات ، التى ترد إلىّ من أساتذة الأزهر ، وقد كنت أعتقد أنهم سيؤيدون كل ما أذهب إليه .

فحفظ القرآن الكريم غاية ووسيلة ، هو غاية لأنه من الطبيعى أن يحفظ الإمام أساس دينه ، وهو وسيلة لأنه يقوّم اللسان العربى إلى جانب الدين القيم . ونحن نظن أن لساننا العربى عبر العصور لم يستقم إلا لأن الأساتذة الذين أشرفوا على تعليم اللغة كانوا منتسبين إلى الكليات الأزهرية ، سواء كان ذلك فى الجامعة الأزهرية نفسها أو فى كلية دار العلوم أيام كانت تعلم اللغة العربية .

وبعد يا سيدى ، فإنى أعتذر إليك عما ظننته قسوة ، ولو أننى كنت أنتظر اعتذاراً لى عما ظننته أنا إهمالاً لقضية من أخطر قضايا الأزهر الشريف إن لم تكن أخطرها .

ومع شكرى يا سيدى على خطابك الكريم لك منى كل إجلال واحترام .

الأزهر يعود إلى الأزهر

يعلم اللّه وحده كم سعدت بهذا الخطاب الذى أنشره اليوم موجهاً إلى الأهرام من فضيلة وكيل الأزهر ، بناء على توجيه من مولانا الإمام الأكبر .

وما أعظم أن يدرك المسؤولون أهمية ما دعونا إليه ، وهذا الخطاب إنما هو بشرى أزفها إلى العالم أجمع ، بجميع معتقداته ومتجهاته ، فقد اتضح لى فى هذه الأساليب القليلة أن الأزهر يمثل معنى رفيعاً لكل ذى عقيدة فى العالم . ويمثل تاريخاً سامقا لكل مثقف حر فى أنحاء المعمورة .

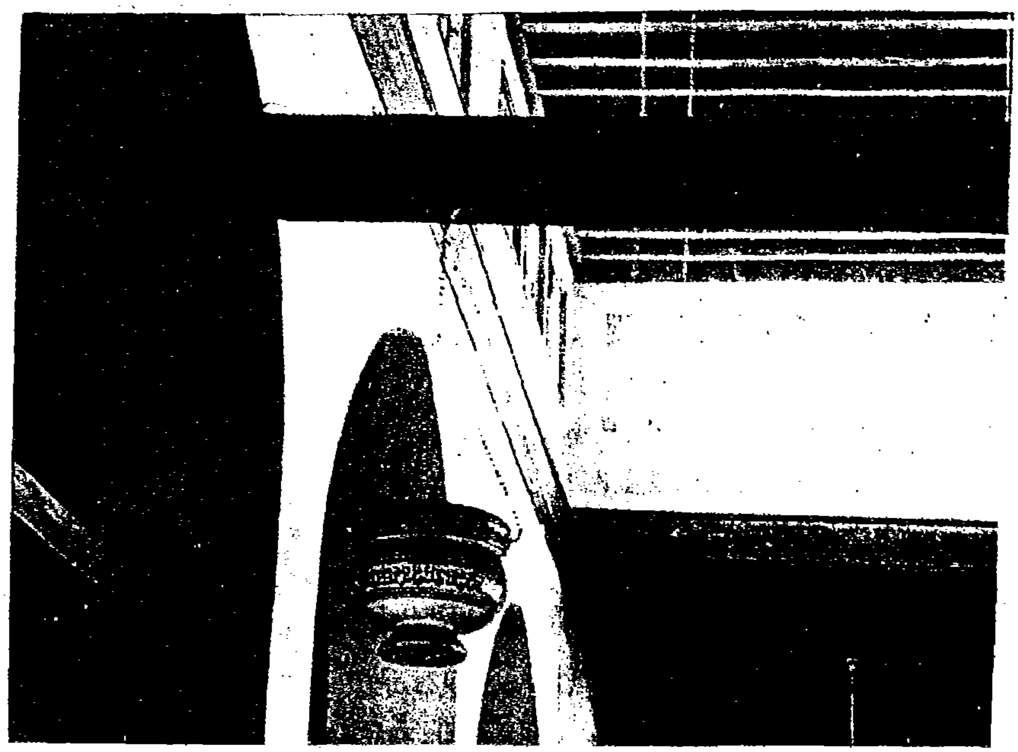
وإننى بهذا الخطاب الذى تفضلت به مشيخة الأزهر . أعتبر الواجب الذى حملته هذه الصفحة على عاتقها ، قد بلغ غايته وأوفى على هدفه .

والكلمة من إمام المسلمين الأكبر ، عهد رجل يحمل على كتفيه مسئولية العهد ، وتتجه عيناه فى كل ما يفعل إلى رب السماوات ذى العزة .

وحسبنا عهد الإمام الأكبر ، لتطمئن إليه قلوبنا ، وترسو على شواطئ وعده ما اضطرب من سفين .

وإذا حاولت اليوم أن أقف فى ساحة الإمام الأكبر خاشعاً ، أقدم الشكر لعهده ، فإنى أكون متقحما لنفسى مكاناً ليس لى . فهو بخير الأزهر أدرى ، وهو بسبيله الأقوم أعلم ، وهو بما بينه وبين رب السماوات والأرض كفيل بأن يحمل العبء ، ويقيم الأود ، ويصلح المعوج ، ويهيئ الطريق .

وإنى باسمى وباسم كل من تفضل بمشاركتى الرأى فيما كتبت بهذه الصفحة ، أدعو اللّه له بالتوفيق والسداد ، وأن أدعو اللّه له من الرشد قدر ما يخشى اللّه ويتقيه ، إنه سبحانه هو المولى وهو سبحانه نعم النصير .



الأزهر عزة العرب

(وبالحق نزل)

الأزهر عزة العرب

يستطيع الذين يذكرون ما كتبته عن الأزهر الشريف أن يقدروا مدى السعادة التى نعمت بها وأنا أشاهد حلقات الأزهر الشريف ، التى كتبت حلقاتها الكاتبة الإسلامية الكبيرة أمينة الصاوى . وربما نسى بعض الناس أن الأستاذة أمينة هى أول من أدخل فن تحويل الروايات إلى مسرحيات ، وكان لها فضل السبق بأعمال لاقت نجاحا باهرا فى عرضها ، فليس غريباً عليها ، وبعد هذه السنوات الطوال من الممارسة والمدارسة ومن تدريس الدراما ، أن تتفوق هذا التفوق الذى بلغته فى حلقات الأزهر الشريف .

وقد استطاعت فى ذكاء رائع أن تجمع الحاضر إلى الماضى ، واستطاعت فى ذكاء أشد أن تجعل الرواية رواة ، وأن تجعل لهؤلاء الرواة أنفسهم قصة تكاد تكون مستقلة تمام الاستقلال عن تاريخ الأزهر نفسه . وأذكر أننى ترجمت مع الأستاذ عبد اللّه البشير مسرحية للكاتب الكبير ماكسويل أندرسون ، والمسرحية بعنوان « عذراء اللورين » ، وهى بطبيعة الحال عن جان دارك . وقد استطاع المؤلف أن يدير المسرحيات فى شكل تجارب مسرحية ، واستطاع فى مهارة فائقة ، أن يجعل للممثلين أنفسهم كآدميين مشكلة خاصة بهم ، نتابع أحداثها فى الفقرات التى تفصل بين تجارب الفصول ، حتى إذا بدأت التجارب وجدنا الملابس غير مكتملة تماماً ، مع أن المفروض أنه يعرض علينا التجربة الأخيرة التى تسبق العرض الأول . ولم يكن عجيباً من المسرحى العبقرى أن يجعل مسرحية الممثلين تسير جنبا إلى جنب مع مسرحية جان دارك ، كما لم يكن عجيباً أن تنتهى المسرحيتان كلتاهما نهاية رائعة .

وأشك كثيراً أن تكون الأستاذة أمينة الصاوى قد اطلعت على هذه المسرحية ، وأرجح أنها ألهمت إلى طريقة العرض التى اختارتها عن حس مرهف ، وعن عمق تجربة . وأنا لا أدافع عنها ، فنقل الشكل مباح ، وجميع كتاب المسرح والرواية التمثيلية العربية نقلوا

الأشكال عن الغرب ، ثم طوروا فيها التطور الذى يتفق مع عروبتهم والمستقبلين لأدبهم .

وأنا فى هذه الكلمة ، لن أحاول أن أتناول التاريخ الذى دار حول دور الأزهر الشريف فى الحياة المصرية ، فلست مؤرخا وما أرتضى لنفسى أن ألج ميداناً أنا غير متمكن فيه .

وإنما ألح على أن أوفى السيدة الأستاذة المؤلفة حقها من التكريم التى هى أهل له ، ثم أصرخ وبأعلى صوت أصرخ : أعيدوا هذا الأزهر إلى مصر بعد أن فقدته مصر .

إن الأزهر كما نعلم ، وكما علم الذى لم يكن يعلم من الحلقات ، هو الحصن الأول للعربية وللإسلام ولمصر وللهداة النيرات من رجالات تاريخ مصر .

فيا أبناء مصر ، ويا أبناء المصريين ، ويا أبناء بناة الحضارة الإسلامية فى العالم ، كيف ساغ لكم أن تضيعوا الأزهر الذى سلمه إليكم أبناء الأتراك وأتباع الدولة العثمانية والناطقون باللغة الأعجمية ؟

أيحافظ على الأزهر التركى الأجنبى الألكن الذى لا يقيم من العربية حرفاً ، ويضيعه المصرى العربى الفصيح الفكر واليد واللسان .

وإنى لأكاد أقسم قسما ، أنا واثق أننى فيه غير حانث ، أنه إذا لم تعد اللغة العربية إلى الأزهر ، فلا أمل لأبنائنا أن ينطقوا هذه العربية ، ولن تعود العربية إلى الأزهر إلا إذا اشترط الأزهر على الذين يدرسون العلوم الفقهية والعربية ألا يدخلوا الأزهر إلا بعد أن يحفظوا القرآن الكريم وينطقوه ويعرفوا سر الحرف فيه ، وكيف يخرج من اللسان والشفتين .

العالم مليء بالجامعات ، آلاف هى مؤلفة ، ولكن العالم ليس فيه إلا أزهر واحد لا غير ، كان ألف عام . هو حصن العربية الحصين ، وما انهار حصنها وكاد يندك ركنها إلا منذ جعلنا من الأزهر كليات ، شأنها شأن مثيلاتها من الكليات التى تملأ أرجاء العالم .

أستحلفكم بالله ، وأناشدكم الحق ، ألم تشعروا بالعزة والفخر والكبرياء بدينكم ولغتكم ، وأنت تشاهدون حلقات الأزهر هذه التى عرضها علينا التليفزيون ؟ وأى شىء يبقى للإنسان إن فقد اعتزازه بدينه ولغته ووطنه ؟

الذين ذهبوا إلى البلاد الغربية رأوا كيف يعتز الإنجليزى وهو ينطق لغته نقطا سليماً حاسما رائعاً ، وكيف يتغنى الفرنسى بلغته ، وكأنه يلحن أنشودة ذات أنغام تشبه ألحان الجداول الرقراقة تجرى بين الماس والمرجان والزمرد والياقوت والزبرجد . وكيف ينطق

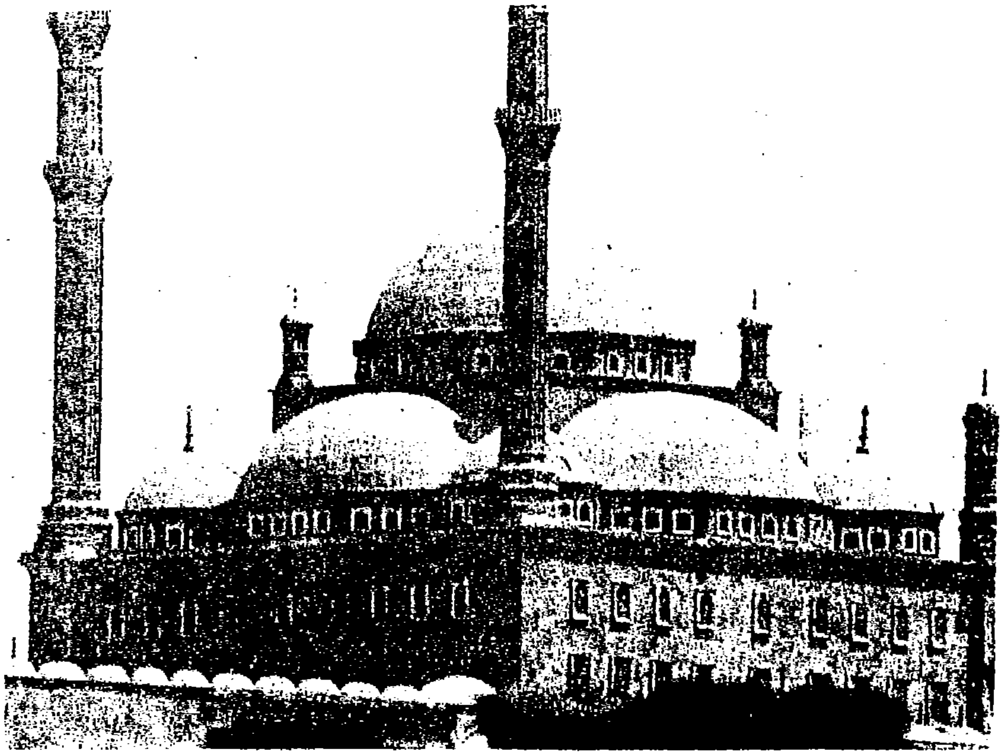
الألمانى حروفه ، وكأنــه يضـع فـى ثناياهـا أمجـاد أزمانـه القديمـة كلهـا ، وعـزة الأجـداد أجمعين .

فلماذا كتب علينا نحن أن نجعل لغتنـا ، وهـى اللغـة الوحيـدة التـى نـزل بهـا الكتـاب الوحيد ، الذى أنزله اللّه وأصدر أمره إلى الزمان أن يحفظه ، فحفظـه بكـل حـرف فيـه ، لماذا كتب علينا أن نجعل لغتنا هذه مائعة هائمة فى دنيا التشـرذم لغربـة تميـل بهـا الفتيـات الجاهلات إلى الفرنسية حينا ، أو الإنجليزية حينا آخر ، وكأنما يغض من شـأنها أن تقولهـا عربية أصيلة كريمة ، تنتسب فى أصولهـا إلى العـرب أجدادهـا ، وفـى أمجادهـا إلى القـرآن الكريم أعظم كتاب عرفته البشرية ؟

ولماذا نسمع الشباب يتكلم العربيـة وكأنـه يمضـغ قطعـة مـن لادن ؟ فـإذا هـو أعـوج اللسان ، مائل الحروف ، كسير اللفظ ، تكاد لغتـه أن تكـون لغـة أعجميـة فـى نسـبها ، غريبة فى صوتها ، فما تدرى أعن رجل تصدر ألفاظه أم عن امرأة ؟

أكتب هذا الكلام فى نفس اليوم الذى تولى فيه وزارة شـئون الأزهـر الأسـتاذ العالـم الإسلامى الشاهق الدكتور الشاهق الدكتور الأحمدى أبو النور ، وإنى لأعرفه وأعرف إلى أى مدى هو فى الإسلام حجة ، وإلى أى قدر هو فى اللغـة العربيـة مرجـع . كمـا أعلـم حسن ظنه بى ، الأمر الذى يجعلنى أخجل دائما من فيض إكرامه ، ولـن يكرمنـى مولانـا الأستاذ الكبير فى خير من هذا الذى أرجوه منه وله ، وهو رجـاء أن يقتصـر علـى تعليـم القرآن الكريم وحفظه فى الأزهر فى كليات الفقه واللغة . وإنى لن أمنع نفســى أن أنهـز هذه الفرصة ، لأرجو الوزارة جميعاً أن تقدم للشعب ما ينفع الشعب ، لا ما يرضى بعض فئات من الشعب ، فإن الدواء قد يكون فى بعض الأحيان مراً ، ولكنه فى أغلب الأحيان ناجع . وإذا كانت الديمقراطية أن يكون حكم الشعب للشعب فإن بقية التعريف الذى لا غناء عنه هو أن يكون حكم الشعب للشعب لمصلحة الشعب . فلنجرع دواءنا مهما يكن مراً ، ولتعمل الوزارة الجديدة على مصلحة الشعب لا على تملق فئات الشعب ، فالشـعب ليـس خبـيراً فـى الاقتصـاد ، والشـعب ليـس خبـيرا فـى التليفونـات ، ولا هـو بخبـير فـى الكهرباء . فعلى الخبراء أن يقولوا كلمتهم التى ترضى ضمائرهم ، وترضى اللّه فى عليـاء سمائه . وإذا ضاق الشعب حين يتجرع الـدواء ، فإنـه حـين يشـفى سيحمد للخـبراء مـا قدموه له . وليس الشعب هو أبناء مصر اليـوم فقـط ، وإنمـا الشـعب هـو الزمـن الحـاضر والمستقبل ، وهو نحن وأبناؤنا ، وليس أبا من لا يتحمل بعض الجهد كل الجهـد ، ليكـون ابنه مع الأيام سعيداً هانئاً كل السعادة وغاية الهناء .

❀❀❀



مصر المنارة

مصر المنارة

الأبناء أجمل ما وهب الله للإنسان ، هم حياتنا .. بل إنهم أعز علينا من حياتنا .. يسعدنا أن نموت من أجلهم ، نسعى فى الحياة سعينا ونشقى ، وتؤودنا الأيام بشتى أنواع العنت ، وتلاقينا بمختلف صنوف الجهد ، لنوفر لأبنائنا الهناء ، ونجنبهم كل ما يمس سعادتهم ورغد عيشهم وأمن نفوسهم .

الابتسامة على وجه أبنائنا أعظم ما ينير لنا الحياة ، ووجوه كل الأبناء عند أبويهم هى أجمل الوجوه وأنضرها ، وهى الخفقة السعيدة من قلوبنا . إذا انحرف بهم طريق ، جزعنا كأننا نواجه عواصف العالم أجمع ، وإذا استقام سبيلهم ، فكل ما نلقاه من أحداث الحياة محتمل . إذا جحدوا التمسنا لهم المعاذير ، وإن جنحوا لقسوة اختلقنا لقسوتهم الدوافع .. أكرم ما تكون الدوافع !

نغضى عن خطاياهم حتى كأنها ما كانت ، ونحتفى بحنانهم بالغا ما بلغ حنانهم من هوان الشأن .

نلتمس عندهم نظرة رضا ، وقد نكون أعزة على أنفسنا ، نشمخ بأنوفنا على القمم والهامات العالية ، ولكننا عند أطفالنا أطفال . نسعد بأوهى ما يعطون ، إذا أعطوا ، وماذا يمكنهم أن يعطوا إلا كلمة فيها حنان ، أو سؤالا عند مرض .. أو مشاركة باللفظ عند شدة حاطمة .

هؤلاء الأبناء ، هناؤنا وشقاؤنا ، عزنا وحرصنا ، أمننا وفزعنا ، غاية الغاية لحياتنا ، هم نهايتنا وبدايتنا .

فماذا حدث فى العالم اليوم ؟ ماذا صنع البشر بالبشر ، وكيف سمحت الحياة لنفسها أن تخرج علينا صبيحة أحد الأيام تعلن إلينا أن أبوين فى لبنان عرضا أبناءهما للبيع ؟ ماذا صنعت القوة الغاشمة بالإنسانية هناك ؟

إن ما فعله الأبوان ليس قسوة منهما على أبنائهما ، وإنما ما فعلاه أبشع من انتحار كل من الأبوين . ولكن كليهما كان ممزقا بين جوع أبنائه فى ظله ، وعريهم وهوانهم وذلهم فى حماه ، وبين ان يبتعدوا عنه كل البعد مكتفيا أن يطمئن أنهم على قيد الحياة ، مرتئيا أن حياتهم فى رعاية غيره ينالون عنده غذاء مهما يكن قليلاً ، وعناية مهما تكن غير حانية ، حنو الأب ، خير لهم من حياتهم فى بيته جوعى مهزولين ، يقتلهم البرد أو يحرقهم الحر وأجسادهم بلا كساء .

وأدرك كل من الأبوين أنه لو انتحر فقد دينه ، وفقد معه مستقبل أولاده ، وهرب من واجبات الأبوة ، فأقدم على هذه الخطوة التى ما أحسب إلا أنها زلزلت كل من قرأ عنها أو سمع بها .

أى عذاب تعرض له كل من الأبوين حتى انتهى إلى هذا القرار ؟ أتراه يوم اتخذه وأعلنه ، خرج من حيرته إلى طمأنينة ، أم زاد حيرته هلعا وذعرا وإشفاقا على بنيه ؟

هل تملك الإنسانية أن تلوم الأبوين ، أم هى تقف واجمة مستخزية حسرى إزاء ما صنعه الأبوان أو ما صنعته بهما الإنسانية ؟

هل هى الإنسانية التى صدمت ، أم الوحوش الضارية التى صعقت لبنان ، وفرقتها شيعا ، وحطمتها جذاذات قاتلة سفاكة ؟ وا أسفا على لبنان ، بلاد الجبال الشماء تعممها الثلوج كأنها مصابيح الشيوخ الأئمة ، والجداول الرقراقة صفا نميرها وطاب منها المجرى والمرأى والمشرب . بلاد الأرز الأشم يغطى السهول منها والوديان ، كأنه أيد مرفوعة بالدعاء والشكر لمن جعل لبنان جنات النعيم ، وطريق الخلد ، كما كان يراها خالد الشعر العربى أحمد شوقى .

إلى أى مصير ألقى بها التعصب والغباء والأصدقاء والأعداء ؟ أصبحت جبالها كالمجرمين العتاة الزنادقة ، واستثيرت الجداول منها هادرة فهى أنهار صاخبة من الدماء الحمراء القانية ، وتهدلت الأيدى المرفوعة من الأرز واسترخت فى استسلام الموتى ويأس المطحونين .

وما إخال الجبال والجداول وأشجار الأسى إلا صارخة اليوم فى عويل طويل مفجوع من هذين الأبوين . أحدهما فى شمال لبنان ، والآخر فى الجنوب يعلنان الرغبة منهما أن يبيعا كبودهما لمن يشترى .

إذن ، فهكذا يصنع التعصب والتطرف بأصحابه ... أترانا سنسمع فى قريب عن آباء وأمهات يبيعون أبناءهم فى إيران ؟ وهل يمكن أن تنتهى هذه الحرب هناك إلا بهذا الفتك بأسمى العلاقات الإنسانية وأشرفها معدنا وأنبلها آصرة ؟

أيريد الإرهابيون هنا أن نتمزق نحن أيضاً كما مزق الإرهابيون لبنان وكما يمزقون اليوم إيران ؟

أيريد المتطرفون فى مصر أن يوقعوا بين الإخوة حتى ينتهى بنا الأمر إلى بيع أبنائنا ؟ ألا من مذكر .. ويحهم ألا يعقلون ؟ ويل لهم ألا يبصرون أم على القلوب منهم أقفالها ؟

إن المتطرفين من شتى الأنواع والنحل تعاقدت منهم الأيدى واتحدت الطرق ، وأصبحوا حربا على كل قيمة يحاولون أن يحطموا مصر أول ما يحطمون .

أيريدون أن ينتهى بنا الأمر أن نبيع أبناءنا كما صنعوا فى لبنان ؟

إن الذى يحدث اليوم فى لبنان هو المصير المحتوم لكل بلد يحاول فيه المتطرفون أن يفرضوا أنفسهم على الحكم ، على أى لون كان تطرفهم هذا ، وعلى أى عقيدة أو ملة أو مذهب .

وتلك الأقلام التى لا تنفث إلا سما ، ولا تكتب إلا خزيا ، ولا تخط إلا سفولا ، أما آن لها أن تدرى أن الطريق الذى فيه يسيرون يتجه بوحدة مصر إلى تمزيق . ؟

لماذا يتاجرون بآلامنا ولا يحاولون أن يخففوا منها ؟ ولماذا يزيدون أوجاعنا أوصابا ، ولا يحاولون أن يكونوا دواء لداء ، وهم يدعون أنهم أبناء مصر . ويزيدون أنهم هم هم وحدهم الأبناء المخلصون ؟

أما آن لهم أن يرعوا الله فيما يصنعون ؟

كره الله هذا ، والمؤمنون .

إنما الله سلام ، وأمن ، وطمأنينة ، وهو سبحانه يرى الفتنة أشد وبالا من القتل ، فما لكم ترفعون اسم الله ، وتشيعون الفتنة بين عباده ، وما لكم تدعون الوطنية ، وتفشون الفرقة والتنابذ والأحقاد بين أبناء الوطن ؟ وما لكم ويلكم تجعلون صحفكم سوداء بالسخيمة ، غبراء بالكراهية ، قاتمة بالسباب ؟ إلى أين وماذا تريدون ؟

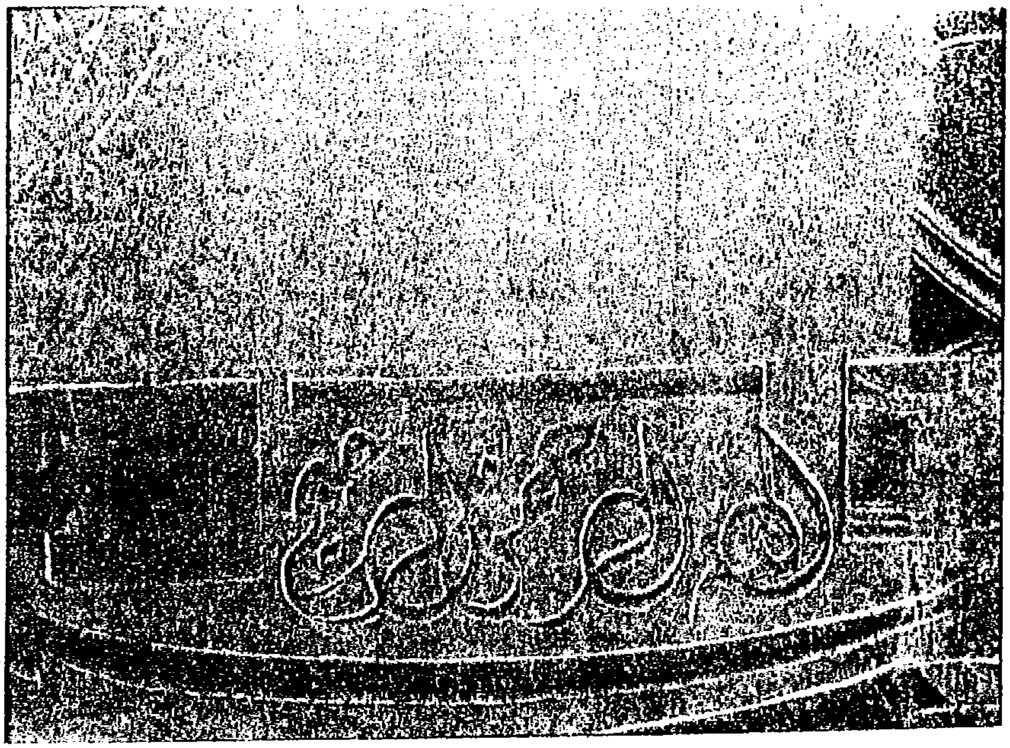
أتراكم قرأتم ما قرأنا من بيع الآباء لبنيهم ، أو تراكم فزعتم كما فزعت الإنسانية جميعاً ، على شتى ألوانها ، وصنوفها ومعتقداتها وأديانها ؟ أم أنكم أنتم بلا إنسانية ولا معتقدات إلا الخراب . ولا دين إلا التمزيق والحرق والتدمير ؟

ستبقى مصر ، ولن نبيع أبناءنا ولن نبيع قيمنا ونبالتنا . وإن تكن منا فئة عاجت اليوم عن الطريق أو حادت عن الشرف ، فإن وجه مصر المشرق بتاريخها ، الذى كان بكر الحضارات وأولها ، وبدينها الذى ظل عماد الحياة فيها وأسسها ، وبخلقها الذى ورثته عن أعظم ما فى الحياة من سجايا ، سيعيد المعوج إلى الطريق ، والحائد إلى السبيل ، وستبقى مصر كما أراد لها الحى القيوم كنانة اللّه فى أرضه . اختارها سبحانه مسرى أنبيائه وطريقهم . واختارها أن تكون مئذنة العالم العربى ينطلق من مناراتها : اللّه أكبر فيرددها من ورائها كل المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها .

واختارها أن تكون الضياء الغامر للعالم العربى أجمع .

هكذا كانت ، وهكذا هى ، وهكذا ستظل وإن رغمت من المارقين الأنوف ، واللّه سبحانه غالب على أمره .

❀❀❀



مصباح فيهديه

مصباح فيهديه

جاء فى كتاب « قصص العرب » حكاية رواها فقيه من فقهاء الشافعية اسمه أبو حامد الإسفراييني .. وإننى سأروى لك القصة فى صياغتى أنا ، فإنما أريد أن أخرج منها بحديث أهفو أن أطرحه عليك . يقول فحوى القصة : إنه كان يوماً عند فخر الملك وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة ، فدخل عليه الرضى أبو الحسن الشاعر الذى اشتهر باسم الشريف الرضى ، فأعظمه وأكبره ، ورفع من منزلته ... ترك ما كان بيده من القصص والرقاع ، وأقبل عليه يحادثه إلى أن انصرف .. ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو القاسم ، فلم يعظمه ذلك التعظيم ، ولا أكرمه ذلك الإكرام .

وتشاغل عنه برقاع يقرؤها وتوقيعات يوقع بها . فجلس قليلاً ، وسأله أمرا فقضاه ، ثم انصرف .

ويقول أبو حامد إنه تقدم إلى الوزير وسأله :

ـ أصلح الله الوزير . هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم صاحب العلم وهو الأمثل الأفضل منهما . وإنما أبو الحسن شاعر فقط ..

ـ انتظر حتى يخلو بنا المجلس فأجيبك .

وخلا المجلس .. ومد الوزير يده إلى أبى حامد بخطاب كان يحفظه بين أوراقه وقال :

ـ هذا كتاب الشريف الرضى . اتصل بى أنه قد ولد له ولد ، فأرسلت إليه ألف دينار ، وقلت هذه للقابلة ـ فقد جرت العادة أن يحمل الأصدقاء إلى أخلائهم ، وذوى مودتهم مثل هذا فى مثل هذه الحال ـ فردها وكتب إلىّ هذا الكتاب فاقرأه .

ويقول أبو حامد إنه قرأ الخطاب ، فوجده اعتذارا عن الرد ، وأنه يقول فى جملته ـ إننا أهل بيت ـ لا يطلع على أحوالنا قابلة غريبة ، وإنما عجائزنا يتولين هذا الأمر من نسائنا ، ولا تتقاضى عجائز بيتنا أجرة ولا يقبلن صلة .

ثم يقول أبو حامد إن الوزير قال له بعد أن قرأ الخطاب ..

ـ وأما المرتضى فإننا قد قررنا على الأملاك ما يشبه الضريبة فى مقابل حفر نهير . وكان المبلغ المقرر على المرتضى عشرين درهما ، وقد كتب إلى من أجل الدراهم العشرين هذا الخطاب لأرفعها عنه .

ويقرأ أبو حامد الخطاب فإذا هو أكثر من مائة سطر كلها خضوع وخشوع واستمالة وإلحاح فى المسألة ، ليسقط عنه الوزير هذه الدراهم . .

حتى إذا أتم أبو حامد قراءة الخطاب قال له فخر الملك :

ـ فأيهما ترى أولى بالتعظيم والتبجيل . هذا العالم المتكلم الفقيه الأوحد ، ونفسه هذه النفس ، أم ذلك الذى لم يشهر إلا بالشعر وحده ونفسه تلك النفس ؟

فقال أبو حامد :

ـ وفق اللّٰه الوزير ما زال موفقا وما وضع الأمر إلا موضعه ولا أحله إلا فى محله . تلك هى القصة رويتها وقد أذكرتنى ببيت المتنبى الخالد :

وتعظم فى عين الصغير صغارها ... وتصغر فى عين العظيم العظائم

وعجبت غاية العجب أن يقول أبو حامد ، هذا الذى لا أعرف من شأنه شأنا ، أن الشريف الرضى ليس إلا الشاعر . . وهل أعظم من أن يكون الإنسان شاعرا فنانا خلاقا ؟ إن الأديب الخلاق يصدر المرسوم بتعيينه خلاقا من فوق سبع سماوات ، وتستطيع السلطات فى الأرض أن تعين من تعين فيما يشاء من وظائف الأرض جميعا ، ولكن لا تستطيع قوة فى الأرض أن تصدر مرسوما بتعيين إنسان ما كاتبا أو شاعرا .

إنها قوة اختص اللّٰه بها نفسه سبحانه وتعالى ، وليست تجوز لغير الذات الإلهية جل شأنها وتقدست آلاؤها .

والفنان الحق هو الذى يعرف قدر نفسه وما اختصه به اللّٰه من موهبة لم يتحها لأحد غيره ، فحين يقول سبحانه عن نفسه ﴿ فتبارك اللّٰه أحسن الخالقين ﴾ لا نتصور نحن عباد اللّٰه وجود جمع للخالقين إلا هؤلاء الذين وهب اللّٰه لهم منحة الخلق الفنى . ولا تجرؤ صفة الخلق أن تنصرف لغير الفن ، على أى لون له . . ويقول سبحانه وهو أصدق القائلين : ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له . . إن الذين تدعون من دون اللّٰه لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ (الحج ٧٣) والحديث كما ترى للناس كافة على كل مذاهبهم ، والمقارنة هنا معقودة بين الإنسان وبين ما يسلبه الذباب من الإنسان وليس حتى بينه وبين

الذباب .. ألا ما أهون الإنسان ! وما أعظم غروره وما أشد ادعاءه ..! وهو يدرى كل الدراية أنه حين يمسه الضر ذو دعاء عريض . .

عجبت إذن من أبى حامد هذا ، واحتقاره لشأن الشعراء ، ثم ما لبثت أن ارتددت عن العجب إلى إدراك الحقيقة ، فقد أهان الشعراء أنفسهم ، والإنسان وحده هو الذى يستطيع أن يجعل من نفسه ذليلاً أو ذا كرامة .

وليس الفقر بمستطيع أن يذل إنسانا . وكم من فقراء قبلوا الجدوى وظلوا مرفوعى الرأس موفورى الكرامة . وها قد رأيت المرتضى يذل ويرخص نفسه من أجل عشرين درهما ، وهو لم يجد غضاضة أن يستجدى بالنفاق والكذب إعفاءه من دريهمات لا قيمة لها .

وليس بين الناس ممدوح لا يعرف الحق فى المديح الموجه إليه ، ولكن بين الناس من يضعف أمام المديح ويخادع نفسه . يوهمها أنه بهذا المديح جدير ، حتى إذا خلا بنفسه ، وخلت به ، أدرك الحق من صفاته . . وربما خيل إليه أنه ذكى . . عرف كيف يمكر بالمادح ، ويجعله يظن به هذه الصفات الكريمة التى أضفاها عليه !

بينما المادح المنافق يظن بنفسه هو أيضاً أنه واسع الحيلة جم الذكاء ، وأنه لفق المديح على الممدوح ، وفاز منه بما قدر لنفسه من عطاء أو من مسألة أو من منفعة .

وكلاهما يعرف الحق عن نفسه ، وعن الطرف الآخر . وكلاهما يخادع نفسه بقدر ما يخادع شريكه فى السذاجة التى يظنانها خبثا ، وفى الهبل الذى يحسبانه ذكاء ومكرا وسعة حيلة وحسن وسيلة ، ونحن اليوم فى الموسم . . فحَذَار !

الناخبون لا تجوز عليهم حيلة ، وليس يفوتهم من المرشحين نفاق أو افتعال ، فقد كنت فى بلدتنا غزالة منذ أيام ، واجتمعت بأبنائها ، فإذا هم كعادتهم ساخرون أذكياء ، يعرفون الحق من الباطل ، والصدق من الزيف . فالجموع لا تخادع نفسها وليس من اليسير أن يخدعها أحد أو جماعة . يقول أبناء بلدتى : إن جماعة ممن يدعون الحفاظ على الدين قد زاروهم فى مواكب من الأطباء لأن كبيرهم طبيب . ويقول أبناء بلدتى : إنهم طالعوهم بالحق الذى وجم له المنافقون .. أين كنتم .. وما مجيئكم اليوم فقط ؟

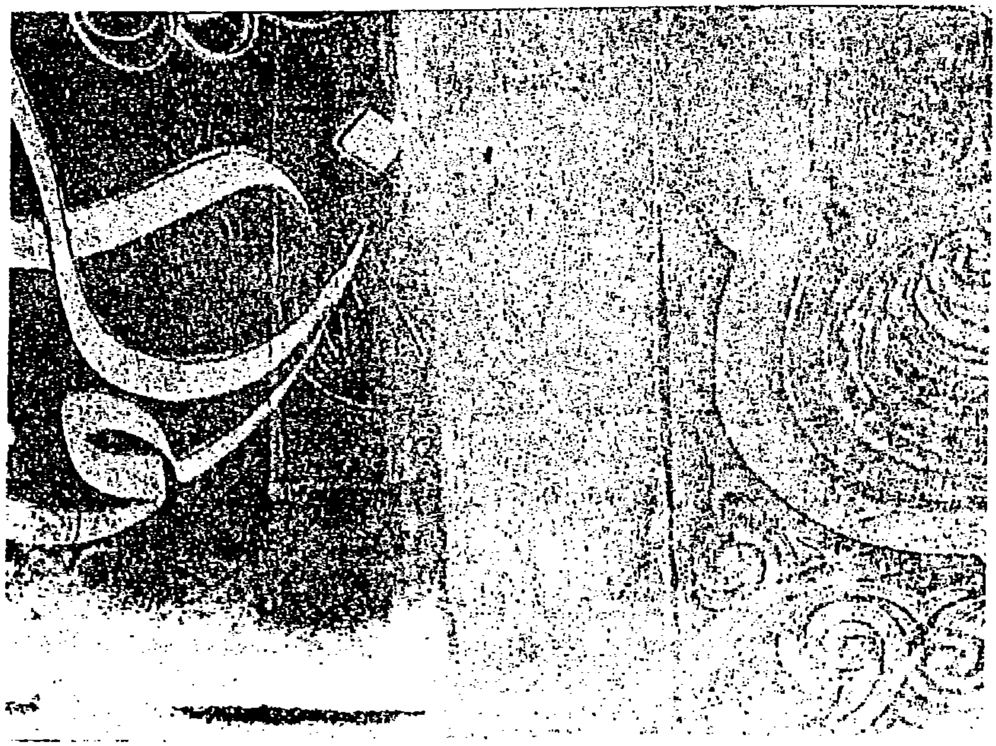
أمن أجل الانتخابات تمرون بنا لتوهمونا أنكم حريصون على صحتنا ، وعلى مصالحنا ؟ وأبناء بلدتى مسلمون ، عميق إسلامهم ، إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة لا تجد فى شوارع القرية أحداً .. وكلهم صائم فى رمضان .. وأغلبهم يصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع ، وكل من تجب عليه الزكاة يؤديها ، وكل من استطاع إلى الحج سبيلا أدى الفرض . بل إن كثيرين من حجاج بلدتنا أرهقوا أنفسهم إرهاقاً شديداً ليحجوا إلى بيت

الله الحرام . وبين بلدتنا من حج منذ قرابة ثلاثين عاما على جمل وليس بالباخرة ، لأنـه لم يكن يملك أجر الباخرة ، وهو الحاج حسن أبو عويضة رحمه الله .

فحذار أيها المرشحون .. حذار .. والتحذير موجه إليكم كلكم على جميـع صنوفكـم . إن الشعوب فى غاية الذكاء ، فلا تظنوا بأنفسكم ما ليس لكم من حق المكـر والدهـاء ، فما ينطلى مكركم على الناخب ، ولا يجوز ما تحسبونه دهاء على المجموع ، ورحـم اللـه عزيز أباظة حين قال :

شـعور الشـعب يـا جعفـر حـق لا هـوى فيـه
لـه مـن وعيـه السـاذج مصبـاح فيهديـه
يميـز بوحـى فطـرته عـداه مـن محبيـه

❀❀❀



حتى أبطال أفغانستان

حتى أبطال أفغانستان

ليس شيء بغريب على الشيوعيين . وقد تعودنا أن يطلعوا على الناس فى كل يوم بلون جديد من الجرأة على الحق ، والإساءة إلى مشاعر الناس قاطبة ، والتهجم على العدل الواضح الذى لا يختلف حوله اثنان ما دام ليس بينهما من هو صاحب غرض ... أو مائل مع الهوى ، أو حائد عن الطريق القويم الذى لا شك فيه .

ليس شيء على الملحد بغريب .. وما من شيء منه يدعو إلى الدهشة ، وأى تصرف يمكن أن يثير العجب من قوم باعوا دينهم بالمال ، وتخلوا عن أوطانهم ورضوا أن يكون وطنهم بلادا أخرى ، وانسلخوا عن جماعتهم ليخلصوا ولاءهم لجماعة أبعد ما تكون عن مقدسات جماعتهم ، ومثلها ، وقيمها ، وأخلاقها .

ليس شيء بغريب من قوم هذا دأبهم . ولكننى مع ذلك فجعت دهشة وعجبا وأنا أتابع الحملة الجديدة التى يشنها الشيوعيون على أبطال أفغانستان ، وزادت فجيعتى وهم يطلقون على الشعب الأفغانى الذى يقاوم الاستعمار « متمردين » أيكون المدافع عن حقه متمرداً ؟ ماذا يقول هؤلاء الملاحدة ..؟

إنهم لا يشنون حملتهم على الجيوش الغازية المعتدية ، ولا على الحكم العميل السفاح لا . . ليست على هؤلاء حملتهم .

وإنما حملتهم على المجاهدين الأبطال ، الذين يقفون بأيد عزلاء أمام الوحوش الضارية التى تغزو وطنهم ..

ترى أتولاك العجب أيها القارئ . . . ؟

أعرفت فى حياتك وقاحة مثل هذه الوقاحة ؟ وما أضعف الكلمة فى وصف هؤلاء المصريين . . أو الذين يقولون إنهم مصريون ـ وهم يؤيدون الاحتلال والغزو والجبروت وسفك الدماء ، والاعتداء على أمن الدول وسلامتها ، بلا وازع من ضمير أو حياء .

لا يشك أحد أن الأوامر قد صدرت لهم من حزبهم بشن هذه الحملة الرعناء الظالمة الهوجاء ، على قوم يقولون لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأن محمدًا رسول اللّـه . . . ثم يرمون بأنفسهم إلى أتون الهول الذى فتحه عليهم الغزاة .

ولا يشك أحد أن هذه الأوامر كانت مشفوعة بالمغريات وبالتهديدات فى وقت معا . ولكن ألم يبق للشيوعيين فى مصر بقية مهما تكن هينة من خجل . . أو ظل مهما يكن واهنا من الحياء .. أو إثارة مهما تكن واهية من الحفاظ على مشاعر المسلمين الذين يعيشون بينهم ، بل لا يبالون بمشاعر المؤمنين جميعاً . لكم قرأنا كتابات فى أزمان مختلفات ، وفى عصور عديدة ، فما وجدنا كاتبا واحدا يدافع عن الاحتلال والقهر . وغزو الدول المطمئنة الوادعة . فأى كتاب هؤلاء الذين طلع علينا بهم الزمن الأخير .. ؟ وفى أى مداد يغمسون أقلامهم ، إلا أن تكون الدماء هى مرادهم ، والمال المنهوب والرشوة المنهمرة باعثهم ، والذى تتكسر أمامه كل مشاعر الإنسانية التى أودعها اللّه فى نفوس البشر .

يشهد غزو أفغانستان اليوم العام السابع له . بعد أن بدأت روسيا هذا الغزو بجيش قوامه ثمانية آلاف وخمسمائة جندى وثمانمائة دبابة وثلاثمائة طائرة .

وما أضخم هذه الأعداد فى مواجهة شعب أعزل ليس بيده إلا بنادق عتيقة الصنع . ولأن روسيا لا تعرف معنى الإيمان ، فقد حسبت أن الغزو لن يستغرق أكثر من بضع ساعات من نهار أو ليل .

ولكن روسيا تجهل أن هؤلاء الضعاف أجساماً ، هم العمالقة نفوسا ، وأن هذه الأجساد الهزيلة الضئيلة تملك قوة أعظم من أسلحة العالم أجمع .

إن قوتهم هى إيمانهم . إنها « لا إله إلا اللّه » التى تخفق بها قلوبهم . وأن « محمدًا رسول اللّه » التى تجرى بها دماؤهم فى العروق . وبهذا الإيمان صد هؤلاء العزل الزحوف الغازية . وبهت الذى كفر ، وإذا الغزاة الجبابرة يطلبون المدد ، ويتوالى المدد إرسالاً فإذا جنود الغزو ترتفع أعدادها ارتفاعاً مذهلاً ، فالآلاف الثمانى لا تصبح عشرة أو عشرين أو خمسين أو مئة . بل تصبح مائتين وثلاثين ألف جندى ، وإذا الدبابات التى تحارب اليوم فى أفغانستان تصبح ثلاثة آلاف دبابة ، وإذا الطائرات تصبح سبعمائة طائرة .

كل هذه الجيوش تحارب الحق ، والحق وحده . .

ومع كل هذه الجحافل الضخمة لا يستطيع الغزاة أن يستولوا على أكثر من عشر مساحة أفغانستان ، ويظل المجاهدون المؤمنون محتفظين بتسعة أعشار أرضهم .

وترغم الحكومة العميلة الجيوش الأفغانية النظامية أن يحاربوا آباءهم وإخوتهم وأبناءهم . . . ويحاول بعض منهم أن يرفض هذا القتال المفروض عليهم مع ذوى قرباهم واصحاب الأرض والحق ، فإذا بالحكومة العميلة ترغمهم إرغامًا ساحقا أن يستمروا فى حرب أنفسهم ، وتطلع علينا وكالات الأنباء بخبر عنوانه « إعدام عشرين جنديا أفغانيا رفضوا القتال ضد الثوار » .

وتستمر الحرب سبع سنوات ، والجيوش الزاحفة بكل جبروتها محاصرة بالإيمان حولها ، وتصبح كمن مشى إلى رمال متحركة تبتلع كل قادم إليها ، ولا تتركه حتى يموت خنقا فيها .

ويزداد السعار . . وتتحول الجيوش السفاكة المغلوبة المدحورة من حرب الرجال إلى محاربة الأطفال ، فإذا هم يعذبون الأطفال ويقتلونهم أمام أنظار آبائهم وأمهاتهم . ويذكر الأفغانيون ما شهده أتباع الرسول من كفار ذلك الزمان الجاهلى . ويزدادون إصرارا على التمسك بإيمانهم وبأرضهم .

وقد يقول قائلهم : ولكن عتاة مكة والمجرمين من أهل الكفر لم يعذبوا الأطفال أمام والديهم ، ثم لا يلبثون أن يرتدوا إلى إيمانهم . . . إذن فبشرانا . . ! فبقدر الهول الذى نشهده يكون إكرامنا عند العدل المطلق عالم الغيب والشهادة .

هذه الوحشية التى لم يشهد أى تاريخ لها مثيلاً ، يباركها الشيوعيون فى مصر ، بإيعاز من شياطينهم . . وتتوالى مقالاتهم فى أكثر من مجلة تؤيد الغزو وتتمدح به ، وتذكر أفضاله وآثاره العظيمة على البلاد . وهم فى حمأة اندفاعهم فى المديح ، لا ينسون أن يقولوا إن الغزو يعمل على نشر التعليم جميعه ، التعليم الدينى خاصة . . ولا يذكرون أن الهاربين من جنات الاحتلال بلغوا فى باكستان وحدها ثلاثة ملايين نفس ، ولا يهمهم ما تتناقله وكالات الأنباء عن السرقات ، والرشى ، والاعتداء على الحرمات التى تمارسها القوات الغازية على أفغانستان جميعاً ، حكومة وشعبا . .

ما لهم هم وهذا ؟ إن الأوامر قد صدرت لهم أن يمدحوا وأن يقولوا إن الغزو حمل معه إلى أفغانستان الحياة السعيدة الهانئة ، وأنه طبق قوانين الإصلاح الزراعى ، ومبادئ ماركس الخالدة ، ووهب الشعب المكاسب الاشتراكية ، وتتزايد جرأتهم على الحق فيصبون سخيمتهم على السادات الزعيم الخالد : إنه سلم أسلحة روسيا للمجاهدين ، ويرون أن هذا الذى صنعه السادات عمل من أعماله الجديرة باللوم فهم اليوم يرون أن كل ما صنعه السادات سيئ ، حتى مساعدته لأصحاب الأرض أن يستردوا أرضهم .

ويقول قائلهم : إن الروس اكتشفوا البترول والغاز ، وفتحوا لهم العيادات الطبية وجهزوها ، وأنشأوا مصانع للسيارات بل أنشأوا عشرات المصانع .ونشرت الجيوش المعتدية المحبة والسلام فى ربوع البلاد ، إلى غير هذا من المآثر والأفضال التى تعود الاحتلال أن يدعى أنه يفعلها فى الأراضى المحتلة ، وكلها أكاذيب لا ظل لها من الحقيقة ، وما يقولها قائل إلا نال ثمن قولها .

أحسب أن الغيظ قد تملكك مما تقرأ ، ولكن ما يهم ؟ المهم أن يمتدحوا بالغزو والاحتلال والقضاء على الدين والإيمان وحق الإنسان الطبيعى أن يعيش آمنا فى وطنه مطمئنا .

وقد أسمع من يقول : وأى عجيبة فيما يصنعون ؟ أنسيت أنهم أيدوا احتلال إسرائيل لفلسطين ، هاتفين بحياة روسيا التى كانت الدولة الثانية فى العالم فى الاعتراف بالدولة الإسرائيلية . . لم تسبقها فى ذلك إلا أمريكا التى مازالت الوطن الأم لإسرائيل حتى اليوم ؟

وهم هم أنفسهم اليوم الذين يلصقون بالسادات العظيم كل ما فى قاموسهم من سفالات ، لأنه وقع السلام مع إسرائيل .

وهم هم أنفسهم أعلى الناس صوتا فى الدفاع عن فلسطين وعن القضية .

متى كان لهم رأى يقفون إلى جانبه ، أو مبدأ يثبتون عليه إلا الإلحاد بالله ، ورفض الانتماء إلى الوطن ؟

ولا يكتفون بالقول ، بل هم يشفعونه بالعمل ، ويؤلبون العمال فى المحلة وفى شركة إسكو ، بعد أن خاب سعيهم فى تجمعات الطلبة . . يريدون لمصر أن يتحطم فيها الإنتاج ، وأن يعمها الخراب ، لأن تربتهم هم هى الأرض الخراب . .

ولولا أن رئيس مصر مسلم قوى الإيمان ، مصرى عميق المصرية لطالبوه أن يستدعى الجيوش الغازية فى أفغانستان ، لتنشر فى مصر الخير والبركات والسعادة والهناء ، التى لا يخجلون أن يقولوا إن الجيوش الغازية قد نشرتها فى أفغانستان .

ليقل الشيوعيون ما يشاءون ، ولكن أحسب أنه ينبغى أن يقف بهم الأمر عند الكلام ، فإذا تعداه إلى العمل وإلى التسلل فى الجماعات من عمال إلى غير عمال فإننا لهم بالمرصاد ، فإن الأمر جد لا يصلح معه الهزل . وإذا كانوا يركبون الحرية ليقتلوا بها الحرية فليكن هذا فى الكلام فقط ، وهم فى هذا الميدان يمرحون ما شاء لهم المرح ، حتى لقد طغا صوتهم فى أجهزة الإعلام على كل صوت . وهم يقولون فى مجلاتهم وفى الصحف القومية ما شاءوا أن يقولوا ، ولكن الفرق بعيد بين صيحاتهم هذه وبين أن تصبح هذه

الصيحات عملا وفتنة لتأليب المخابيل البلهاء ، وعلى الديمقراطية والحرية التى تنعم مصر بها اليوم .

وإذا كانت الحكومة قد وسعت لهم مجالات الإعلام جميعها ، من صحف إلى مجلات إلى إذاعة إلى تلفزيون ، فإن على هذه الحكومة نفسها أن تمنعهم أن يثيروا الفتنة ويشعلوا الثورات .

وإذا كان وجودهم الواضح بالإعلام يهدد الاقتصاد المصرى تهديدا عنيفاً تدريه الحكومة كل الدراية .. فإن الفتنة التى يريدون إشعالها هى القضاء الكامل على هذا الاقتصاد ، الذى لا يحتمل اليوم أقل هزة ، فحسبه ما يعانى ، وحسبنا نحن المؤمنين اللّه ، فإنه نعم الوكيل . .

❀❀❀



حين تتحطم الحقيقة

حين تتحطم الحقيقة

كانت دعوة جمعت الكثيرين من أصحاب الرأى . وبدأنا نتجمع .. وكان من أوائل الذين جاءوا صديق صاحب نظرة وعمق . . وما هى إلا أن اجتمع بعض المدعوين حتى بدأ الحديث ، وراح الصديق صاحب النظرة العميقة يقول . . وقال كثيراً :

الشيوعيون يسيطرون على وجه الإعلام المصرى . وليس الأمر مجرد ظهورهم بعنف وإصرار ، وليس هى مجرد إلحاح شيوعى على شعب يكره الشيوعيين . . وإنما الأمر أخطر من ذلك وأجل شأنا . إن الإعلام هو واجهة مصر كلها ، وواجهة مصر هو اقتصادها . ويحدثنا العاملون فى السفارات الأجنبية أنهم يتابعون كل ما يقوله الإعلام المصرى فى شتى المناحى . وهم لا يكتفون بالأخبار ، ولذلك فهم يدهشون لماذا يتجه الإعلام هذا الاتجاه الشيوعى : الأدب الآن شيوعى ومسيطر ، والفن شيوعى ومسيطر وهذه أشياء لها دلالات خطيرة ، وخاصة على الاقتصاد وعلى الشباب الذى لم يختر بعد طريقه . وهذا الشباب يريد أن ينشر ، وسيضطر أن يتلون بالشيوعية ليجد أمامه المجال مفتوحا للنشر .

و لم نجد بدا أن نوافق القائل فى كل ما قال ، فجميع الحاضرين كانوا يشعرون بأن الذى يقوله هو الحقيقة الكاملة .

ويعود إلى الحديث :

وهكذا حين اطمأن الشيوعيون إلى مكانتهم فى الإعلام المصرى ، تفشوا فى الجامعات تفشيا لم يتمتعوا به فى حياتهم كلها . ولا أظنهم يتمتعون به فى أى دولة من دول العالم . وها هم أولاء يتاجرون بمصر ، ويستغلون الأحداث الفردية التى لا تحمل أى مدلول ليقيموا الأبطال من غير الأبطال ، وليجعلوا أنصارهم يحركون الاضطرابات كل يوم .. ويذيع زملاؤهم من العملاء فى المحطات الأجنبية الأكاذيب ، ويهولون من شأن

التحركات الطلابية ، ويجعلون منها ثورات شعبية وهذه التصرفات كلها متصلة الحلقات . فيؤيدهم فيها أعداء الحكم والطامعون فيه ، والحاصلون على الأموال من الدول التي تكن لمصر الديمقراطية كل عداء ، تلك الدول التي تنفق في سبيل إثارة القلاقل في مصر الأموال المجنونة في انهمار لا ينقطع سيله . ويحاول هواة البطولات الزائفة أن يركبوا الموجة ، ويبلغوا من هواياتهم البطولية ما يتيحه لهم المتطرفون من الملحدين وغير الملحدين ، وليس يعنيهم أن الناس منهم يسخرون ، وهم يجعلون أنفسهم أشبه بالقراقوزات ، ويبتعدون بتصرفاتهم الرعناء السخيفة عن ساحة الساسة المحترفين ، وهكذا ترون أن كل هذه الأمور لم تأت عفوا ، وإنما هي مؤامرات حيكت عقدتها بأيد متمرسة على حبك المؤامرات ، وهل هناك أكثر تمرسا من المتطرفين ملحدين وغير ملحدين في حبك المؤامرات ؟ ولا يستطيع أحد منا أن يناقش ما يقول صديقنا ، فجميعنا يرى أن ما يقول صدق لا شك فيه ، وحق لا يحتمل النقاش . . ويعود إلى القول ، ويزداد الأمر سوءا حتى نجد من يمتدح أيام الطغيان والاعتداء على الأعراض والأنفس والأموال ، بل إن بعضهم يهدد من يحاول أن ينتقص من عظمة هذه الأيام وجلالها ، ويقول في وقاحة لم نر لها مثيلا في العالم ؟ :

- « كأن الأعتداء على الأعراض وعلى الأنفس وعلى الأموال قد وقع على كل فرد في مصر » . . وهو يعلم أنه ما دام قد وقع على فرد واحد ، فكأنما وقع على مصر جميعها . . . وأذكر أنني قرأت كتابا لكاتب فرنسي يقدس نابليون بونابرت ويعجب به في كل ما صنعه ، ولكنه حين يصل إلى الحرية يقول إن بونابرت كان طاغية إلى درجة أن عدد الصحفيين الذين اعتقلوا في عهده كان أربعين صحفيا . وأذكر أن الكاهن الأكبر لعهد الطغيان في مصر دافع عن عهده في جريدة الأهالي قائلا ما معناه .. ما هذه الضجة الكبرى التي يضجونها عن المعتقلين .. إن كل الذين كانوا في السجون عند وفاة الرئيس الأسبق لم يتجاوزوا الأربعة عشر ألف سجين ! ويأتي الكاتب الآخر المدافع عن أيام الطغيان فيرى أنه ما دام الاعتداء على الأعراض والأنفس والأموال لم يقع على كل فرد في مصر ، فهو مقبول مباح لا عيب فيه ولا ضرر منه . وهو بعد ذلك يهدد ، وما له لا يفعل ، وهو ربيب عهد القهر والتهديد .

ويصمت الجميع ولا يجدون شيئاً يجيبون به إلا الأسى والحزن ، ويعود الصديق إلى الكلام : ويزيد الأمر سوءا أن الأحكام حين تصدر لا تنفذ من فورها ، فيحسب المجرمون أنهم يستطيعون أن يتمادوا في غيهم ويمرحوا ما شاء لهم إجرامهم ، ونسمع عن لصوص سرقوا المال العام ، وتتطاول السنوات قبل أن نسمع خبرا عن مواجهتهم ، ثم نجدهم

يتحصنون بشتى حيل ومختلف حصون ، حتى يؤجلوا مواجهة القضاء . والقضاء نفسه بطيء ، ولعله الجهة الوحيدة المعذورة فى هذا البطء ، فالعاملون فى السلطة القضائية عددهم أقل بكثير مما يعرض عليهم ، ولكن هذا البطء يجعل الشعب يتململ ، ولا يستطيع أحد أن يلومه إذا ظن أن العقاب لا يقع على من يستحق فى الموعد المعقول . والأدهى من ذلك أن هذا التراخى فى مواجهة اللصوص يشجع الآخرين على قبول الرشوة ، حتى أصبح الأمر ظاهرة عامة ، الاستثناء فيما يدعو إلى الإجلال والإكبار وغاية الاحترام . وقد كان ينبغى أن يكون الأمر عكس ذلك ، فتكون الأمانة هى الأصل والرشوة هى الاستثناء . وأنتم تعرفون كم يؤثر هذا على سمعة مصر عند المستثمرين ، كما تعرفون أن الاستثمار يعتبر هو العماد الأول فى آمالنا الاقتصادية اليوم ونوافق ... ويستطرد الصديق ، فإذا نظرنا إلى الصحف المعارضة نجدها تذكر وقائع بذاتها الإجابة عليها ، إذا لم تكن حقيقية ، غاية فى البساطة واليسر ، ولكن لا نقرأ تكذيباً . فإذا نشر فهو يستخفى فى خجل ، وكأنه هو الأكذوبة ! ترى ألم يصبح شرف الذمة أمرا ذا أهمية وأصبح الحفاظ على نقاء السمعة أمرا لا يستحق أى عناء ؟ فإن لم يكن الأمر كذلك ـ وكم أرجو ألا يكون ـ فما لنا لا نقرأ إلا تكذيبات نادرة ، وتظل اتهامات فادحة تصيب كرامة الموظفين فى مقتل دون أى تكذيب ؟

وقبل أن يتم الصديق حديثه ، فقد كان يبدو أنه يحمل فى جنبته أكثر كثيرا مما أفضى به ، أقبل أحد الوزراء كان مدعوا إلى مكاننا هذا ، وجاء متأخرا كعادة الوزراء . . كان الله فى عونهم فهم يشهدون من المناسبات ما تنوء به العصبة ذات العدد .

ولم يكمل الصديق الحديث بطبيعة الحال ، وانتقل الكلام إلى موضوعات أخرى ، ووجدت الصديق يقول حديثا غير الذى كان يقول ، ولم أعجب . . فمن الطبيعى فى دعوة اجتماعية وليست سياسية ألا نحاول أن نسىء إلى أحد من المدعوين ، فهم إنما جاءوا جميعهم لينسوا أعمالهم ، ويروحوا عن أنفسهم ، فليس عجيبا أن يحاول الجالسون جميعاً أن يختاروا من الأحاديث ما لا يثير جدلا . وتفرق الحديث بددا، وأخذ كل منا بطرف ، وبعد أن كنا جميعنا أذنا واحدة تسمع ما يقول الصديق ، أصبحنا آذانا وألسنة . وتناسينا مآسينا العامة والخاصة ، وسمرنا وانصرف كل منا إلى شأنه .

صديقنا هذا ليس كاتبا وليس صحفيا ، ولكنه يكتب فى الصحف من حين إلى آخر مقالات يشارك بها فى الرأى العام ، قرأت مقالا نشره بعد اجتماعنا هذا .

ما أعجب ما قرأت له ؟

إنه يقول فى مقاله أشياء تتناقض كل المناقضة مع الذى قاله لنا فى أمسيتنا تلك ، إنه يخاف الشيوعيين والمتطرفين وينافقهم ، وبالقطع هو لا يخاف الحكومة ، فالحكومة اليوم أصبحت لا تخيف أحداً . . ويل لنا من أنفسنا إذن !

إذا كان الفلاسفة قالوا إن الحقيقة لابد أن تكون واحدة ، وإذا كانت الحقيقة اليوم قد أصابتها قنبلة النفاق ، فأصبحت جذاذات . . وقطعا صغيرة متناثرة على شتى أفواه وفى كل جهات العالم ، وإذا كانت الحقيقة اليوم عاجزة أن تكون واحدة فى مفهومها العام .

فلابد . . لابد . . لابد أن تظل الحقيقة واحدة بالنسبة للشخص الواحد . كيف تكون الحقيقة شتى حقائق بالنسبة للشخص الواحد ، وكيف يستطيع شخص واحد أن يعد حقيقة لحديث الأصدقاء . وحقيقة أخرى لحديث المسئولين ، وحقيقة ثالثة للنشر فى الصحف وعلى الناس ؟ ؟

أين الحقيقة يا أخى فيما تقول جميعا ؟

وإذا كان أصحاب الرأى لا يحافظون على الحقيقة الواحدة ، فمن يحافظ ؟

تولانى حزن شديد وأنا أقرأ مقال الصديق ، فأنا لا أتصور أن شخصا له علمه يصنع بنفسه هذا الذى صنعه . .

ماذا هو قائل إذا التقى بى أو بأحد الذين شهدوه ، وهو يقول آراءه الصريحة الصادقة فى ليلتنا تلك ؟

أغلب الأمر أن أمثال هؤلاء يعتمدون على حياء الآخرين ، فأنا لا أستطيع أن أقول له مواجهة : أيها الصديق أنت منافق ، ولكننى لا شك أستطيع أن أنقل أمره إلى الناس جميعاً ، وأحتفظ باسمه لا أذيعه فى هذه المرة ، ولكننى أشفع الحديث بتهديد : لا تأمن أيها المنافق أن أذيع اسمك إذا تكرر منك ما رأيت ، فإن أصحاب الأقلام مسئولون أن يقدموا الحقيقة ، كل الحقيقة ، ولا شىء غير الحقيقة ، إلى قرائهم وإلى التاريخ فى وقت معا .

❀❀❀



إسلام وشيوعية لا يلتقيان

إسلام وشيوعية لا يلتقيان

أقرأ بإعجاب الفصول التى ينشرها الكاتب الكبير الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى بجريدة الأهرام بعنوان « على إمام المتقين » . وقد ظللت على إعجابى بها حتى جاءنى هنا فى لوزان أهرام الأربعاء ٧ سبتمبر المنشور به الفصل الثامن من البحث . وجدت المقال يتعارض بعض منه مع الجزء الأكبر من آخره ، وعبد الرحمن الشرقاوى من الكتاب الذين أكن لهم كل تقدير وإكبار وتجمعنى وإياه - والحمد لله - صلة من أقوى صلات الصداقة وأعمقها . . ومن حق هذه الصداقة على أن يكون الحق هو عمادها لا المجاملة ، فإن الصداقة من مادة الصدق . والذى لا يصدق صديقه عدو ، وحق اللّه أولى الحقوق بالرعاية لا يسبقه حق فى الوجود .

يقول الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى فى منتصف المقال تقريباً ، وقال على إنه لا بأس بالغنى والتمتع بزينة الحياة التى أخرج لعباده ، والطيبات من الرزق التى أحلها اللّه . لا بأس بهذا كله . . ومن حرم ما أحل اللّه فهو آثم كمن أحل ما حرمة اللّه . ولكن هذا المال يجب لكى يكون حالا : أن يتوافر له أول الأمر أن يكسبه صاحبه بعمله وبلائه وجهده ، لا أن يكون منحة من ولى الأمر لقرابة أو مودة أو نحو ذلك ، إن القرآن الكريم يفسر بعضه البعض ، وحين قال تعالى : ﴿ واللّه فضل بعضكم على بعض فى الرزق ﴾ قال فى الوقت نفسه : ﴿وفضل اللّه المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة ﴾ وقال ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾ . . وإذن ، فحق الملك قائم فى أصله على العمل . . على ما يكسبه الإنسان بعمله . ومن هنا يحفظه اللّه تعالى فيحميه من السرقة ويكفل الميراث .

إلى هنا ينتهى كلام الأستاذ الشرقاوى الذى لا أخالفه فى مضمونه وإن كنت أتشكك فى تفسير الآية الكريمة ، وفضل اللّه المجاهدين . . إلى آخر الآية ، فما أحسب أن

التفاسير ذهبت إلى أن هذا التفضيل يكون فى الرزق فى الحياة الدنيا وإن هى الدرجات التى أعدها سبحانه فى الباقية الخالدة وكذلك أخالفه فى تفسير الآية ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما وسعى . ﴾ إلى آخر الآية ، وأعتقد اعتقادا راسخا أن المقصود من الآية أن ليس للإنسان إلا ما سعى . فلا ينال عند اللّه أجر فضل لم يقم به . تمشيا مع قوله تعالى ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ﴾ ، وقوله ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى اللّه بقلب سليم ﴾ . ومع كثير من الآيات التى تقرر أن الإنسان مسئول عن عمله . أيا ما كان الأمر ، فهذا هو الجزء الذى لا يمكن أن يختلف فيه مسلم مع الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى ، وهو بهذا الجزء يقرر أن التملك حلال ما دام ليس منحة من ولى الأمر ، وأن اللّه يحمى هذا التملك وينظم توريثه .

ولكن قليلا ما نمضى فى المقال ، فإذا نحن نجد المالكين جميعاً مصيرهم جهنم والنار والكى بالذهب والفضة ، وإليك ما يقول الأستاذ الشرقاوى :

« وإن عليا ليذكر عثمان بأيام عمر ، وبما اتفقوا عليه جميعاً بأن يعيد عمر توزيع الثروة حين راعهم انتشار الفقر على الرغم من تكدس ثروات الناس !! ما نسى أحد بعد من الصحابة ، واقتناع عمر وعثمان بقول علىّ أنه ما من أحد يخزن فوق حاجته إلا حرم آخرين من ذوى الحاجة ، وأن عليا ليذكر عثمان بعهد عمر : واللّه لئن بقيت إلى الحول لألحق أسفل الناس بأعلاهم ، لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ، لأخذت فضول الأغنياء فرددتها على الفقراء .

وإنى أسأل الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى أى المال هذا الذى يريد ان يتصرف به عمر هذا التصرف ؟ إن كان مال الجماعة فهذا حقه ، أما إن كان مال الأفراد ، فهيهات أن يقول عمر هذا القول ، أو يقوله علىّ ، وإلا لما احتاج ماركس أن ينشئ نظريته الشيوعية ، واكتفى برأى عمر هذا وعلىّ ، وإن كان هذا رأى عمر وقد صحب النبى عليه الصلاة والسلام قرابة عشرين عاماً ، وكان مع أبى بكر فى عامى خلافته ، ثم كان هو أمير المؤمنين لمدة تسع سنوات ، فما له إذن لم يشر بهذا الرأى وهو يشير ، وماله لم ينفذه وهو أمير المؤمنين ؟ وكيف يقصد عمر مال الناس بهذا الرأى ، كما يوحى بذلك أخى الأستاذ الشرقاوى ، وهو من شهد خطبة الوداع والنبى يقول « إن دماءكم وأموالكم حرام بينكم » وكيف يلقى عمر ربه ، وما عرف التاريخ بعد النبى خائفا من ربه كما كان يخاف عمر ، واللّه سبحانه هو القائل ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك . نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم

بعضا سخريا ﴾ . وماذا هو قائل فى الآيات تترى جميعا بمعنى ﴿ يبسط اللّه الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ أى يجعله مقدورا قليلا .

ويوغل الأستاذ عبد الرحمن حين يقترب من النهاية فى هذا الفصل ، فيذكر ما يلغى به كل ما جاء من قبل فى هذه الحلقة من شرعية التملك والميراث ، يقول على لسان علىّ فيما أظن : « ثم إن الاقتناء مباح ، وهو غير مذموم إن لم تكن هناك حاجات تسد ، أما إن كانت هناك حاجة لأحد ، فما يحق لمسلم أن يقتنى فوق حاجته ، ولو دينارا . ولقد مات رجل فى زمن الرسول حيث كان فى الأمة كثيرون من أصحاب الحاجات والجياع ، فوجد فى مئزر الرجل دينارا ، فقال رسول اللّه عنه : إنه كانز ، بهذا الدينار كية واحدة .. ووجد فى مئزر آخر دينارين ، فقال ﷺ : هما كيتان » .

وذكر قبل ذلك حديثا للنبى على رواية علىّ أيضاً : « من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها ، وكان يعنى من كنز وترك مالا وفى الأمة أصحاب حاجة ، مسلمين كانوا أم ذميين » .

ويذكر قبل ذلك أن النبى سئل « أى مال نتخذ يا رسول اللّه ؟ » قال : « لسانا ذاكرا ، وقلبا خاشعا ، وزوجة تعين أحدكم على دينه » .

إلى هنا وأقف ، ما هذا يا أخانا ، هل ألغى النبى عليه الصلاة والسلام الميراث دون أن ندرى ، ودون أن يتنبه إلى ذلك كل المسلمين ، حتى الأئمة الذين ألفت عنهم كتابا من أحسن كتبك ؟ وفيم أتعب إذن ماركس نفسه ؟ ما كان عليه إلا أن يعلن إسلامه ، ويرفع هذه الأحاديث شعارا ، دون أن يقتل ما قتل من مئات الملايين فى سبيل مذهبه .

إذن يا أستاذ عبد الرحمن ، فآيات المواريث جميعها المقصود بها أن تقسم بين الورثة لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدنا على دينه . وكيف يقسم هؤلاء ؟ وبعد هذا فمن ترك صفراء أو بيضاء كوى بها ، فإن كان فدانا قوم بمائة دينار ذهبا ، أيكوى به وكانز الدينار له كية ، وكانز الدينارين له كيتان ، فما هو مصير عبد الرحمن بن عوف الذى ترك جبالا من الذهب ، قطعت بالفئوس ووزعت على أبنائه ، وهم أحد عشر ابنا ، أصبح كل منهم أغنى أغنياء العرب ؟ وقد بشر النبى عليه الصلاة والسلام عبد الرحمن بن عوف بالجنة . والنبى كما جاء فى القرآن ليس إلا بشراً رسولا ، فهو لم يبشر ابن عوف إلا بما أوحى به اللّه إليه ، واللّه كان يعلم اللحظة التى سيموت فيها عبد الرحمن ، ويعلم أنه سيترك هذا الذهب وبشره بالجنة ، أفيكوى عبد الرحمن ابن عوف بكل هذا ، فما الجنة إذن ؟ . . إنه لن يراها ولن يعرفها .

إذن فلا ميراث . . أو يكون المسلمون جميعا ، والذميون أيضاً في اكتفاء وفي غير حاجة إذن يعطى الإنسان كل مال الدولة ويترك أبناءه جياعا يتكففون الناس ، وكان بيده أن يحمى ماء وجوههم ، فى أى شرع هذا ، وفى أى دين ، وفى أى ملة ؟ ولماذا إذن رفض ماركس الأديان وسماها أفيون الشعوب ، وما أحسب أنه فعل ذلك إلا ناظرا أكبر النظر إلى الدين الإسلامى ، فهو أعظم الأديان عناية بالميراث ، وبحق الإنسان فى ماله . وفى أى عصر وفى أى زمن اكتفى الناس جميعا وفى أى دولة ، وما أحسب أن هذا حدث قط ، وما أحسب أنه سيحدث أبدا . . إذن فلا ميراث إلا أن يكون الميراث لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدنا على دينه ، ومع ذلك فأنت تعلم أن فاطمة البتول ، ابنة سيدنا النبى ، طالبت أبا بكر بقطعة أرض كان النبى قد أمر لها بريعها وهى زوجة علىّ وبنت خير المرسلين .

أكانت الأمة فى ذلك الحين جميعها مكتفية ، و لم يكن مسلم ولا ذمى فيها محتاجا ؟ بعض هذا يا أخى . . بعض هذا . . فإننى والله أعرف عنك أنك مسلم صادق الإسلام ، وأنت تحاول بإخلاص أن تقرب المذهب الشيوعى إلى الإسلام . هيهات يا صاحبى ، لا يلتقيان ، وإن أمام المتقين لو شهد ما تقوله على لسانه اليوم لسألك فى بساطة ويسر ؟ ولماذا لم أصنع أنا هذا حين وليت الخلافة ، أما كان أيسر عليه أن يلغى الميراث بموجب هذه الأحاديث النبوية ، ولا يكلفك مشقة هذا الاجتهاد ؟

وبعد ، فقد رجعت إلى تفسير الكشاف للزمخشرى لأستبين الرأى فى الآية الكريمة ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ .

فوجدت الأستاذ عبد الرحمن نقل عن الزمخشرى ، ولكنه نقل ما يؤيد رأيه ، وألغى تماما ما ينسف رأيه نسفا كاملا ، ولا أكتمك ، لقد عجبت ، ولهذا فإننى سأنقل إليك مادة الزمخشرى كاملة ، وإن فيها غناء كل الغناء عن أى رأى . يقول الزمخشرى فى تفسير هذه الآية الكريمة :

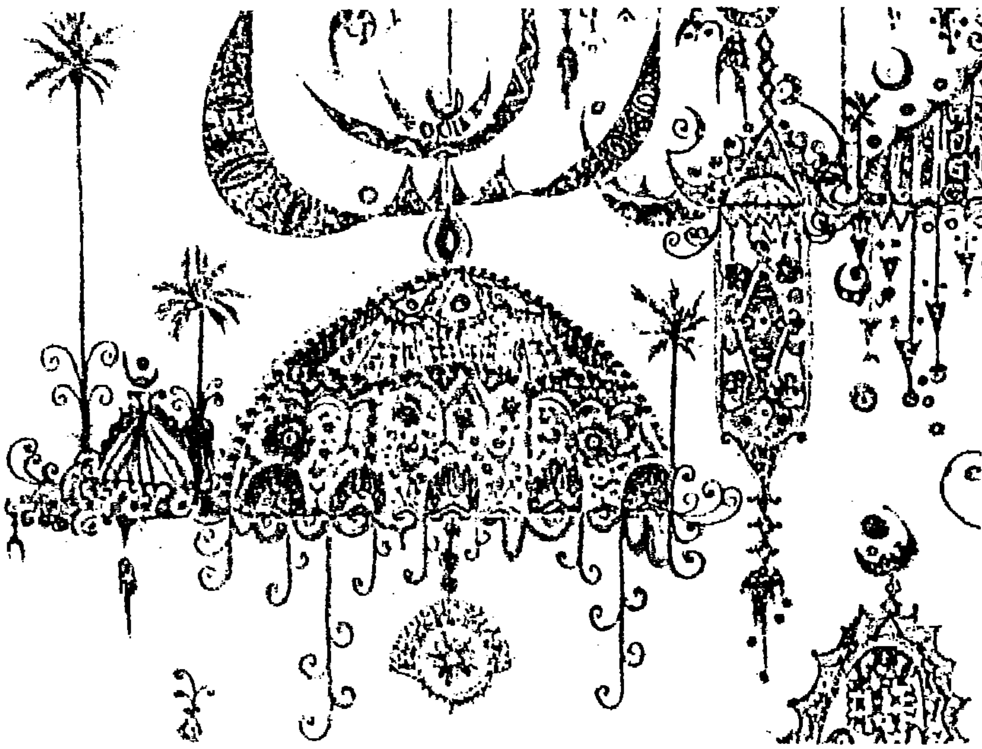
« قيل نسخت الزكاة آية الكنز ، وقيل هى ثابتة ، وإنما عنى بترك الإنفاق فى سبيل الله منع الزكاة ، وعن النبى ﷺ : ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان باطنا ، وما بلغ أن يزكى و لم يزك فهو كنز ، وإن كان ظاهراً ، وعن ابن عمر رضى الله عنه : كل ما أديت زكاته فليس بكنز ، وإن كان تحت سبع أراضين ، وما لم يؤد زكاته فهو الذى ذكر الله تعالى وإن كان على ظهر الأرض . فإن قلت ما نصنع بما روى سالم بن الجعد : أنها لما

نزلت قال رسول الله (ﷺ) : تبا للذهب . . تبا للفضة . . قالها ثلاثا ، فقالوا : أى مال نتخذ ؟ قال : « لسانا ذاكرا ، وقلبا خاشعا ، وزوجة تعين أحدكم على دينه » . وبقوله عليه الصلاة والسلام : « من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها ، وتوفى رجل فوجد فى مئزره دينار ، فقال رسول الله (ﷺ) : كية ، وتوفى آخر فوجد فى مئزره ديناران ، فقال : كيتان . قلت : كان هذا قبل أن تفرض الزكاة ، فأما بعد فرض الزكاة فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالا من حيث أذن له فيه ، ويؤدى عليه ما أوجب عليه فيه . ثم يعاقبه . ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله (وكلاهما من المبشَّرين بالجنة) وعبيد الله رضى الله عنهم يقتنون الأموال ويتصرفون فيها ، وما عابهم أحد من أعرض عن القنية ، لأن الإعراض اختيار للأفضل ، وإلا دخل فى الورع والزهد عن الدنيا ، والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ، ولكل حد، وما روى عن عليّ : أربعة آلاف ، فما دونه نفقة ، فما زاد فهو كنز . كلام فى الأفضل . » .

وإلى هنا ينتهى كلام الزمخشرى ، وبهذا يستقيم فى العقل كل الذى استشهد به الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى . ولو أنه نقل الرأى جميعاً دون أن يحجب أهم ما فيه ، وهو ما يصل بين هذا الرأى وبين الدين جميعاً لما استولت الدهشة على أذهان الناس ، فإن رأى أستاذ الشرقاوى يجعل كل صاحب دينار كافرا ، ورأى الزمخشرى الذى نقل عنه الأستاذ الشرقاوى أن كل اكتناز مهما بلغ حلال ما دامت الزكاة قد أديت عنه ، وهو الفرق نفسه بين الإسلام والشيوعية ، فالطريقان شتى متباعدان متنافران لا يلتقيان أبد الدهر .

وبعد ، يا أخى الأعز ، فأنا أعرف قوة إيمانك ، وأنك مستمسك بدينك ، فبربك يا أخى الأعز ألا أعدت النظر فى رأيك الآخر ، فهيهات لرأيك هذا أن يستقر أمنا أو قلقا فى نفس مسلم أبدا ، وفقك الله .

❀❀❀



اتقوا اللّه فى الحرية

اتقوا اللّه فى الحرية

إن الأمر جد لا هزل فيه ، والذى يجرى الآن على الساحة المصرية أمر خطير كل الخطورة ، وأحسب أن السكوت عليه تآمر صريح على مستقبل مصر ، ومستقبل الديمقراطية فيها . وإنى لأخشى كل الخشية . أن يشعل اللاعبون بالفعل النار فى مستقبلنا ومستقبل أبنائنا إلى مدى لا يدرك إلا اللّه وحده نهايته وأبعاده وأعماقه جميعاً . إنها فتنة يمدها بالمال أعداء مصر من الدول العابثة بأقدار بنيها ، والحريصة كل الحرص على إحراق مصر .

ليس الأمر هتافا وتعصبا أحمق ومتاجرة بالدين ، وإنما هو حريق يشب فيأكل كل ما نما فى بلادنا من حرية وديمقراطية ، وما ثبت فى أرجائها وعلى طول تاريخها من ألفة دينية ووفاق بين الأديان فى ربوعها .

إن الذى يجرى الآن تحايل هازل مضحك ، فهو مخالفة صريحة للدستور ، وإن لم يكن الدستور ذا قيمة فعلى البلاد السلام . إن كل دستور لابد أن يكون مقدسا ما دام قائما ، وإن لك أن تطلب تغييره ، ولك أن تختلف معه فى الرأى ، ولكن ليس لك أن تحطمه بأى حال من الأحوال ، وعلى أى صورة من الصور . وليس لك أيضاً أن تتحايل على نصوصه ، وهذا التحايل يجرى الآن فى علانية صريحة ، بتعاون حزبين قائمين على أسس قانونية ، مع جماعات دينية ليس لها أن تكون حزبا ، وليس لها أن تكون ممثلة فى المجالس التشريعية . إن الذى يحدث ينافى المنطق والدين وقانون الأحزاب فى قيام حزب على أسس دينية ؟! ألسنا مسلمين نحن ؟ أليس الإسلام عقيدتنا التى نعبد بها اللّه الأحد ؟ فمن أعطاهم الحق أن يكونوا قواما علينا فى صلة مقدسة بين الإنسان وربه ؟ ومن نصبهم أوصياء على ديننا ومعتقداتنا ، وإذا كان اللّه سبحانه وتعالى قد أراد لنا الخيرة فيما نعبد ،

فما بالهم هم يشهرون علينا أسلحتهم ؟ وإن تصرفاتنا فى ديننا ودنيانا هى الأمانة التى عرضها سبحانه وتعالى على السماوات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها ، وحملناها نحن الإنسان ثم نحن إلى ربنا كادحون ، وإليه جل علاه منقلبون ، فتجزى كل نفس بما قدمت ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ولا تظلم فتيلا ، أيضعون أنفسهم آلهة علينا بالسلاح ؟ هيهات . . والله الذى لا إله إلا هو لن يكون هذا أبداً . .

إن دستورنا كان صريحا . جاء فى المادة الخامسة منه : يقوم النظام السياسى فى جمهورية مصر العربية على أساس تعدد الأحزاب ، وذلك فى إطار المقومات والمبادئ الأساسية للمجتمع المصرى المنصوص عليها فى الدستور ، وينظم القانون الأحزاب السياسية .

وهكذا يصبح القانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٧٧ بنظام الأحزاب السياسية قانونا مكملا للدستور وتصبح مخالفته مخالفة للدستور .

وفى المادة ٤ / ٣ : عدم قيام الحزب فى مبادئه أو برامجه أو فى مباشرة نشاطه أو اختيار قياداته أو أعضائه على أساس يتعارض مع أحكام القانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٧٨ بشأن حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعى أو على أساس طبقى أو طائفى أو فئوى أو جغرافى أو على أساس التفرقة بسبب الجنس أو الدين أو العقيدة .

وقد كان الدستور والقانون جميعاً حصيفين غاية الحصافة فى رفض أن تقوم الأحزاب على أساس دينى ، وهذا المذهب الدستورى تطبيق لقوله تعالى فى سورة النساء ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ﴾ . .

ثم لقوله تقدست أسماؤه مرة أخرى فى سورة المائدة ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ .

سبحانك جل شأنك كأنما نزلت هذه الآيات لهؤلاء الذين يحاولون اليوم أن يفرضوا علينا أنفسهم بالطغيان والجبروت ، وبالجهل فشا بين جماعاتهم ، وإنك سبحانك تخاطب أهل الكتاب ، أفلا يعقلون ؟ أم على القلوب منهم أقفالها ؟

ألا يدركون أنهم بهذا التعصب يثيرون فتنة طائفية ، الله وحده يعلم عواقبها وآثارها ؟ وبيننا وفى كل ناحية من حياتنا وفى كل ثنية من مصرنا إخوان لنا أحباء يدفع الله عنهم

ويحميهم ويقول تباركت آلاؤه : ﴿ ولولا دفع اللّه الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم اللّه كثيراً ، ولينصرن اللّه من ينصره ، إن اللّه لقوى عزيز ﴾ .

ثم يذكرهم سبحانه وتعالى مرة أخرى فى محكم قرآنه بقوله : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا أنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ (سورة المائدة الآيتان ٨٢ ، ٨٣) .

ألا يدرك أولئك المتعصبون أى كارثة يعرضون لها البلاد بما يفعلون ؟ إنهم أصبحوا أحزابا لا شك فى ذلك ، وإنهم يتقدمون إلى الانتخابات بهذه الصفة ، وليس يجديهم هذا التحايل الذى يصطنعونه من لبس عباءة أحزاب أخرى قامت على أسس قانونية ، ولكن ليس لها فى الشارع المصرى حليف أو نصير ، فهى إذن صفقة تبيع الجماعات المتطرفة تطرفها الدينى الذى تخادع به المسلمين عن حقيقة دينهم ، فى مقابل أن تنال الأحزاب المتحالفة معها مقعدين للرئيسين فى مجلس الشعب .

فالدين أصبح سلعة ، والأحزاب المتحالفة أصبحت خدعة ، والمشاعر الدينية المقدسة أصبحت بفعل المتطرفين ثمنا فى الصفقة الباطلة .

ويكتب بعض كتاب أن هذا قد يؤدى بمصر أن تصبح لبنان أخرى ، وما هذا بواقع وهيهات له أن يكون .

فما أمست لبنان على حالها من الهول الوبيل والحريق المتأجج والتمزيق المروع ، إلا لأنها كانت بلدا بغير جيش ، وكان السلاح بها فى يد عصابات ترفع شعارات ، وتشابكت الأهواء وعميت الأبصار ، وتجمدت الأفئدة فهى أحجار ، واقتتل الإخوة وصدق فى شأنهم قول البحترى :

شواجر أرماح تقطع دونها شواجر أرحام ملوم قطوعها
إذا احتربت يوما ففاضت دماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها

ولكن لبنان أصبحت دماء بلا دموع ، وسلاحا بلا قلوب ، ورجالا بلا أوطان ، ومخلوقات بلا هوية ، وبشرا بلا انتماء .

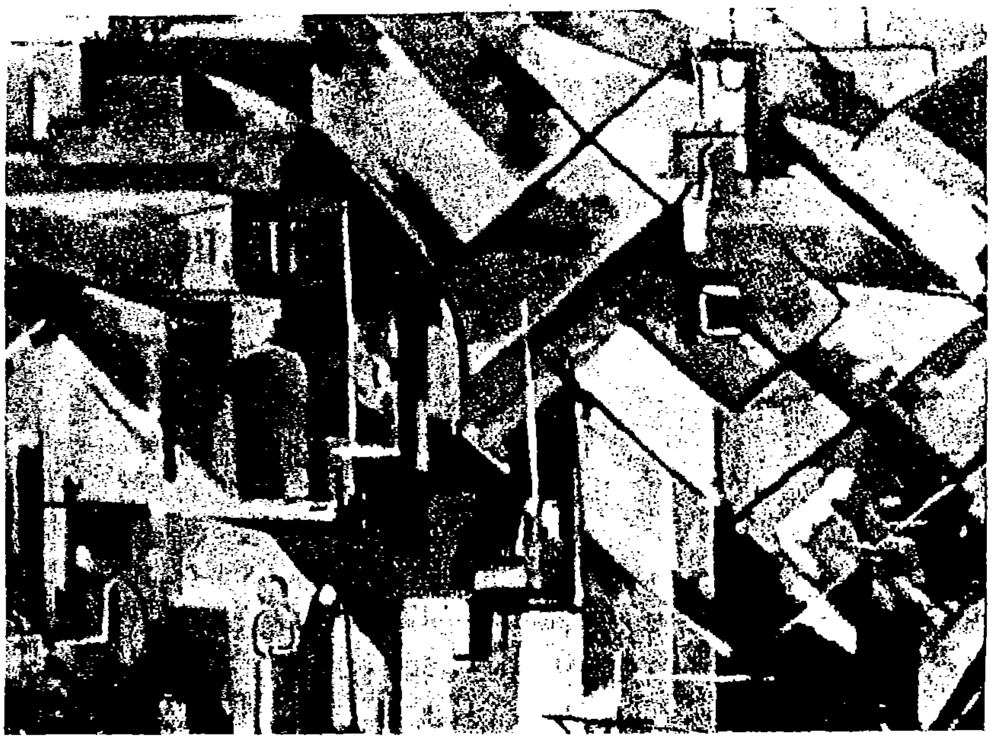
ولن تكون مصر هكذا . .

ففى مصر أقوى جيش فى الشرق الأوسط ، والذى نخشاه كل الخشية لها ليس أن نصبح مثل لبنان . فمثل لبنان لن نكون أبداً ، وإنما الذى نخشاه أن يضطر جيشنا أن ينزل إلى الساحة .

وإن حرية الوطن وما بلغناه من الديمقراطية أمانة فى أعناقنا ، فإن ثمن الحرية يدفعه كل فرد من أفراد الشعب وحرية كل فرد فى الوطن ، تنتهى حيث تبدأ حرية الآخرين ، ومن يعتدى على حرية الغير حتم عليه أن يتوقع اعتداء الغير على حريته ، أيها المتطرفون فيئوا إلى رشد من دينكم ، وعودوا إلى أحضان أوطانكم ، واتقوا اللّه فى أبنائكم وإخوانكم وذويكم ، واحذروا أن تلهبوا ألسنة النار فى حرية ، رأينا الحياة بغيرها جحيما من الجحيم ، ووبالا ونكالا وغصصا وهموما ثقالا .

واللّه من فوقنا وفوقكم هو حسبنا ، وهو العدالة المطلقة ، إليه عاقبة الأمور ، وحسبنا جل علاه موئلا ووكيلا .

❀❀❀



نقيـــق

نقيــــق

للشيوعيين ـ والعياذ بالله ـ نوع من الخلق ينفردون به عن سائر المخلوقات فى العالم . وهم ـ فى أنماط أخلاقهم هذه يتشابهون ، حذوك النعل بالنعل فى كل جماعة لهم ، لا يختلف رهط منهم عن رهط ولا تجمع لهم عن تجمع ، فهم جميعا ينطقون عن لسان واحد ، والحجة التى تجدها عند أحدهم تجدها عند الآخر ، وإن تباعدت بين الاثنين الأماكن ، وإن شط مستقر أحدهم عن مستقر الآخر ، والمراقب لهم يدرك من فوره أن جميعهم أبواق لمصدر إذاعى واحد ، وأن جميعهم صدى لصوت أمر ينطلق من هناك ، وينقله حجر منهم فى شكل إنسان ، أو إن شئت فقل فى وعاء إنسان إلى حجر آخر هو يتخذ أيضا شكل الإنسان .

وتصبح أصواتهم جميعا وكأنها نقيق ضفادع يتعالى منها الصياح ، وتصوت جميعها فى وقت واحد ، لا تستطيع أذنك أن تميز صوت ضفدعة منها عن أخرى ، وإنما تنطلق الضفادع جميعا بصيحة واحدة ، والعجيب العجيب فى شأن هؤلاء الشيوعيين أنهم إذا صمتوا . . . صمتوا جميعا فى لحظة واحدة ، ويسود سكون ينبئ أن الأصوات إلى عودة ، وتكون العودة دائماً بنفس الضجيج ، كثيرون يتصاخبون وجميعهم يقول ما يقوله الآخر .

تصاعدت أصوات ضفادعهم فى الفترة الأخيرة موجهة نقيقها إلى شخصى . وغاية ما أسفر عنه صياحهم أننى كنت ضد حرية الرأى فى ساحة فخامة رئيس الجمهورية حين اجتمع بالكتاب وهو يفتتح معرض الكتاب .

وإن لهم لصفاقة هيهات وألف هيهات أن تتأتى لغيرهم ، وقد رمونى بتهمة لم أصنعها ، والشهود على صدقى وكذبهم أكثر من مائة كاتب كانوا يشهدون اللقاء . وقد استمعوا إلى كل كلمة قيلت فيه . ولو كانوا على ذرة من حياء لخجلوا أن يفتروا فريتهم تلك ، والشهود جميعا يعرفون كذبهم واختلافهم واعتداءهم على الحق .

أما الواقعة كما حدثت فهى : أن عالمهم محمود أمين العالم طلب الكلمة من فخامة الرئيس ، فأعطاه إياها ، فراح يلقى حديثا طويلا لم يجعل له عنوانا ، وإنما كل كلمة فيه تطالب بأن تطبق مصر النظرية الشيوعية الماركسية .

و لم يفكر المتحدث أن روسيا ، وهى روسيا ، بدأت بآخرة تتخلى عن كل ما كان ينادى به سيادته ، ويريد تطبيقه .

وراح الرئيس يستمع ويناقش فى هدوء وفى أدب جم نعرفه فيه جميعا ، واستمر النقاش حتى سأل الرئيس فى هدوء :

- يعنى ماذا تريدنا أن نفعل ؟

وقلت أنا فى محاولة طبيعية لوضع عنوان لحديث الأستاذ محمود أمين العالم .

- إنه يا سيادة الرئيس يريد أن يطبق النظرية الشيوعية الماركسية على حكم مصر .

وأرتج على الأستاذ محمود أمين العالم ، وكأنما لم يكن يتوقع أن يعلن واحد من الحاضرين عنوان الحديث الطويل الذى ألقاه و لم يجد شيئاً يقوله إلا جملة متلعثمة مترددة .

- لا . . النظرية الشيوعية . . لا . . هذه موعدها بعد عشر سنوات أو عشرين سنة .

وانتهى النقاش .

وخرج جميع الشيوعيين من جحورهم . ما كان لرئيس اتحاد الكتاب أن يمنع أحدا من إبداء رأيه . وثروت أباظه يصادر الرأى ، والمدافع عن الحرية يتصدى للحرية . وتجاوبت أعمدتهم ومجلاتهم متناوحة ، تحمل نقيقا واحدا إلا كاتبا منهم ، هو الأستاذ عبد الستار الطويلة الذى أكن له احترام الخصم فى الرأى ، الذى يمنعه كرم نفسه أن يخلط خصومته بدخل أو كذب أو ادعاء باطل .

فقد كان شريفا فى حديثه عنى ، وما أحسب التهمة التى وجهها إلىّ إلا سوء تفاهم لا ألومه عليه ، وأشكره فى ذات الوقت على نبيل رأيه فىّ .

وما هذه هى المرة الأولى التى يختلق فيها الشيوعيون الأكاذيب عنى ثم يصدقونها ، ثم تتوالى مقالاتهم فى مهاجمتى من أجل الواقعة التى يعلمون هم على يقين أنهم اختلقوها ، ولكن هذا دأبهم فما رأيت فى حياتى أجرأ على الحق منهم ، وما العجب ؟ والمذهب بأجمعه يقوم على إنكار الحق وهو الحق سبحانه وتعالى عما يشركون . .

قال قائلهم ، ونشر بجريدة عربية تصدر فى دولة عربية ، أن ثروت أباظة طالب بمنع دخول الشاعر نزار القبانى إلى مصر ، فى هذه الزيارة التى أدعو فيها أننى أريد أن أمنع دخول الشاعر إلى مصر ، التقيت بالشاعر فى الأهرام ، ودعوته أن يشرفنى ببيتى فى غداء أو عشاء ، فنحن صديقان قديمان ، ولقد طالما شرفنى ببيتى والتقيت به أكثر من مرة فى

بيت عمى عزيز أباظة باشا الذى كان يصر على دعوته ، كلما جاء إلى القاهرة . وقد دعانى نزار إلى بيته أكثر من مرة ، فكيف تتوطد بيننا هذه العلاقة ؟ وكيف أدعوه إلى بيتى ؟ وفى نفس اليوم أطالب بأن يمنع من الدخول إلى مصر ؟

هذه واحدة . . وأخرى ، من نصَّب رئيس اتحاد الكتاب بوابا على مداخل مصر ؟ وبأى صفة يحق لى أن أطالب بإدخال أى شخص أو بعدم دخوله ؟

وكيف يسوغ فى الأذهان أن يطالب رئيس اتحاد الكتاب ، وهى نقابة حملة القلم ، باتخاذ إجراء تعسفى ضد واحد من شعراء العصر أو أى حامل للقلم ؟

كانت الفرية مضحكة واضحة الهزل والضحالة ، فأوليتها أذنا غير صاغية وأهملت شأنها ، ولكن الكذبة سعت بأصوات الضفادع إلى أركان الأرض العربية جميعا ، وتصايحت أقلام الشيوعيين من كل حدب وصوب ترفض موقفى الذى لم أتخذه ، ولم أفكر فى اتخاذه ، ولم أتصور أن من حقى أو من واجبى أن أقفه .

وجاءنى محرر من الجريدة العربية التى نشرت الخبر أول ظهوره ، فبادرت بتكذيب ما اختلقوه اختلاقا ونشر المحرر الأمين الخبر ووضعته الجريدة مشكورة فى مكان واضح من صفحاتها .

فهل أجدى التكذيب ؟ هيهات . . وما زال الشيوعيون حتى الأيام الأخيرة الماضية يندددون بالموقف الذى لم أتخذه ، ولم أفكر فى اتخاذه . .

ونزار قبانى شاعر من أعظم شعراء جيله ، ونحن لا نحاسب الشعراء على مواقفهم السياسية ، ولو فعلنا لتعرض أغلب الشعراء من الجاهلية إلى يومنا هذا لرفض شديد ، ولكان المتنبى أكبر شعراء العربية بعد شوقى أكثر الشعراء تعرضا للمحاسبة ، وإنما ينبغى أن يكون دأبنا مع الشعراء ما وصفهم به الخلاق العليم فى محكم قرآنه : ﴿ ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾ . صدق الله العظيم .

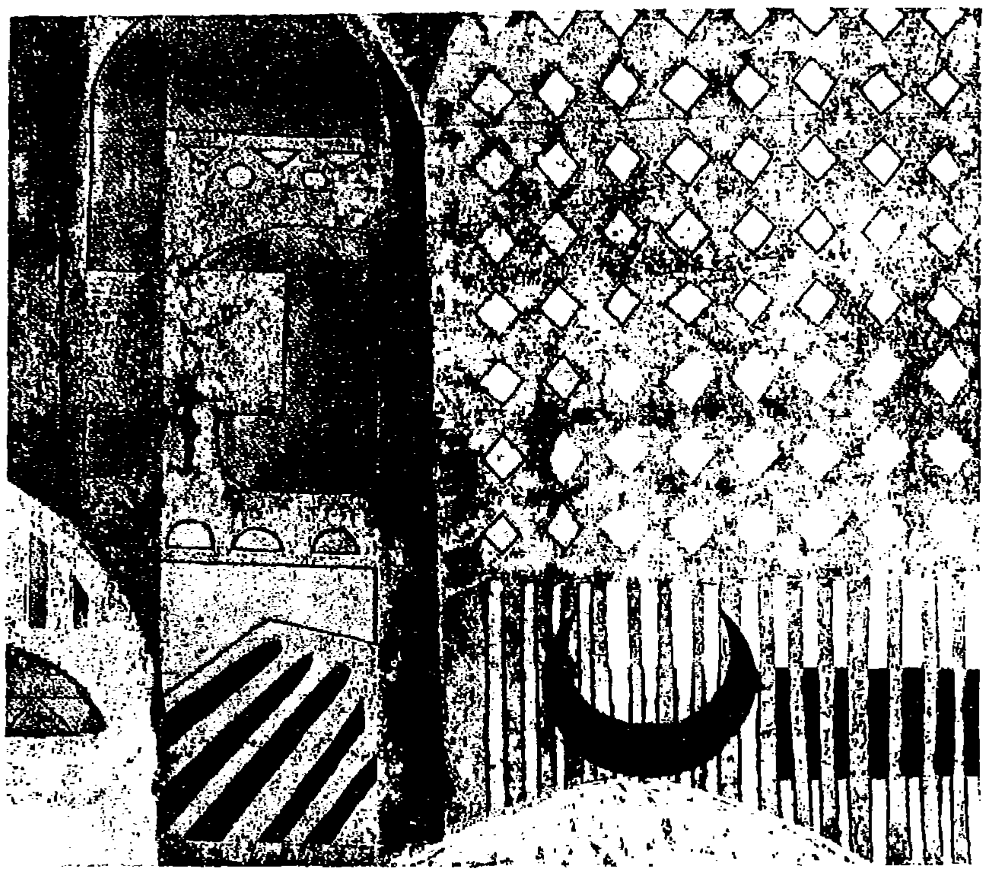
وما لنا أن نحاسب نزار قبانى على تقلب رأيه بشأن نقده لمصر أو مديحه لها ، وبين كتاب مصر الذين ينتسبون بآبائهم وأمهاتهم وعظام أجدادهم إلى مصر ، من باعوها حين ذهبوا إلى الدول العربية بيع السماح ، أو بيع اللئام ، وراحوا يكيلون الشتائم لمصر وحكام مصر ، ويتقاضون أجر إعراضهم ثمنا دنساً حقيراً .

ثم هاهم أولاء اليوم بين ربوع مصر يقولون آراءهم مديحا ونقدا ، وكأنهم ما باعوا مصر بأموال مازالت حتى اليوم تملأ خزائنهم ، وغفرت لهم مصر ومن يغفر إذا لم تغفر الأم ، وغفرنا نحن أبناء مصر ما أساءوا ومن أولى بالغفران للأخ من أخيه .

وها هو ذا الشاعر الفنان نزار قباني يعود إلى مصر منشدا لها نشيد الحبيب العائد إلى حبه ، وما زالت مصر هي حب العرب أجمعين ، يحبونها على أى حال هى عليه ، قد يضيقون بما تعانيه ولكنها عندهم أجمل من أمريكا التي يجدون فيها آخر ما وصل إليه الإنسان لتدليل الانسان . ولكنهم لا يجدون فيها أو في غيرها دفء الأخوة العربية ، ولن يجدوا ، ولا يجدون فيها ولن يجدوا ما يلتقون به في مصر من فن يخاطبهم ويخاطبونه ويناجيهم فيفهمون نجواه .

فمرحبا بنزار الشاعر المطبوع الذى أعتبره أنا ، ويعتبره كل منصف واحدا من علامات جيله في الشعر العربي ، مرحبا به في بيتي الكبير مصر ، ومرحبا به في بيتي الصغير الذى طالما زاره ، والذى أعتقد أنه يعتبره واحدا من أقرب البيوت إلى نفسه بين البيوت الكثيرة التي ترحب به في مصر .

❀❀❀



وبالحـــق نــزل

وبالحـق نــزل

قرأت فيما قرأت منذ قريب كلاما حاولت أن أجمع شتاته ، أو ألم شعثه ، فتأبّى علىّ ونفر أن يلتئم ، ورفض أن ينسجم بعضه مع بعضه . فقد قال القائل إن الشيوعية لا تتعارض مع الإسلام ، وتلك عجيبة من العجائب . وقد حاول الكاتب أن يسوق الأدلة ويدعم رأيه بالبراهين ، فإذا بالأدلة تنهار جميعا ، وإذا دعائمه تتساقط مع براهينه لتصبح أنقاضا من هذاء ، وحطاما من لغو الكلام .

فالشيوعية لا تجتمع مع الإسلام فى وعاء واحد أبدا . ولا يستطيع أن يكون إنسان ما شيوعيا ومسلما فى وقت معا مطلقا .

فالإسلام يقوم على خمس أهمها شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه ، وهاتان الشهادتان ليستا مجرد كلام يقال ، وإنما هما كلام وعمل وقول وفعل ، ونطق وإيمان .

لابد أن نؤمن أن اللّه واحد أحد ، وأنه سبحانه أرسل رسوله محمدا عليه الصلاة والسلام ، وجعل معجزته هى المعجزة الوحيدة الخالدة فى تاريخ جميع الرسل والأنبياء ، فكل معجزات الأنبياء كانت بصرية شهدها قوم النبى الذى أرسل إليهم ، والذين عاصروه ، بل والذين تصادف وجودهم وقت وقوع المعجزة .

أما الإسلام فمعجزته القرآن . . كتاب لا يأتى عليه الزمان ، ويأتى هو على الزمان ، باقيا خالداً ، دائماً تتلقاه الأجيال كما أنزل ، لا يختلف فى حرف من حروفة عن يوم أوحى به إلى خاتم الأنبياء إلى يوم تقوم الساعة .

ويقول سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾ سورة الإسراء - ١٠٥ ، تعاليت يا سبحانك . هذه الدقة فى التعبير لم تعرفها اللغة فى كل ما كان من كلام قبل الكتاب . وفى كل ما تبعه من ألوان القول .

وهذه التفرقة الدقيقة فى آيته الكريمة لم تعرفها اللغة إلا فى القرآن الكريم ، فاللّه سبحانه وتعالى يعلن البشرية أنه أنزل كلامه بالحق ، ولا يكتفى بهذا ، بل يعلنهم جل وعلا أنه بالحق نزل .

فهو حق فى بداية رحلته وهو حق حين انتهت رحلته ، ليصبح بلاغا إلى العالمين ، فيا أيها الناس اعلموا منذ نزل القرآن إلى أن يرث اللّه الأرض وما عليها ، أن هذا القرآن صدر عن الحق ، وأصبح بلاغاً لكم بالحق ، لا يستطيع باطل أن يتغشى حرفا منه بظل ، مهما يكن هينا . .

وهو سبحانه يضمن للعالمين أنه هوالمسئول عن ذكره . . فيقول سبحانه ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ صدق اللّه العظيم ـ سورة الحجر ـ ٩ وقد فعل سبحانه ، وبقى الكتاب ، وهو باق إلى الأبد الأبيد .

فالذى يقول أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه ، يشهد بهاتين الشهادتين أن اللّه أرسل سيدنا محمدا بكتابه العزيز ، وأن الكتاب أنزله اللّه بالحق وأنه بالحق نزل .

وليس فى الأمر اجتهاد إذن . . وما دمت شهدت الشهادتين ، فأنت إذن تشهد أن القرآن من عند اللّه .

وأنت ملزم أن تؤمن بكل ما جاء فى هذا الكتاب . وما دام كتاب اللّه فأنت لا تستطيع أن تقبل منه ما تقبل ، وترفض منه ما ترفض ، فهو ليس كلام بشر مثلك ، وإنما هو كلام اللّه الذى هو اللّه . فإذا كان الأمر كذلك ، وإنه لكذلك ، فكيف يستقيم فى الأذهان أن يكون هناك شيوعى مسلم ؟

ولست أريد أن أدخل فى جدل عريض حول أصل النظرية الشيوعية من ماركس إلى من تبعه بإلحاد إلى آخر شيوعى ، وإنما أريد أن أناقش ما لا شك فيه .

فالنظرية الشيوعية ترفض الملكية التى تعود بمال على صاحبها ، وترفض النظرية الشيوعية فكرة الميراث جملة وتفصيلا .

وأسأل هؤلاء الشيوعيين : كيف يستقيم هذا مع ما جاء فى القرآن فهل تراهم يجيبون ؟

لن يجدى هنا قول القائل منهم أنه مسلم ، وأنه يقيم الصلاة فى مواقيتها ، وأنه حج بيت اللّه الحرام . . فكل هذا لن يغنيه عن الإجابة شيئاً . فهو ما دام مسلما فلابد أنه يعرف أن هناك سورة اسمها سورة النساء ، وما دام يعرفها فلا شك أنه يعرف تفاصيل المواريث التى أوردها اللّه سبحانه فى هذه السورة ، وهى تفاصيل لم يذكرها سبحانه وتعالى عن الصلاة وهى الصلاة . فالقرآن لم يذكر عدد الركعات فى كل صلاة ، ولم

يذكر سبحانه كيفية الصلاة من ركوع وسجود ، ولست أريد بذلك أن أقول إن المواريث أهم ـ أعوذ بالله سبحانه أن أقصد إلى شيء من هذا ـ وإنما أردت فقط أن أشير إلى مقدار الأهمية التي شمل الله بها فكرة الميراث في قرآنه الكريم .

فكيف يريد الشيوعيون أن يحرموا الميراث والملكية ويظلوا بعد ذلك مسلمين ؟ هيهات . .

لقد كان كارل ماركس أكثر صراحة . . أم الأجدر بي أن أقول : إنه كان أكثر وقاحة منهم ، فقد علم يوم أنشأ نظريته أنها ستتعارض مع جميع الأديان . . فألغى الأديان جميعا واستراح ، وأتعب البشر عنده من بعده .

فإذا نظرنا إلى تطبيق النظرية في البلاد الشيوعية ، وجدنا الكنائس أصبحت متاحف ، ووجدنا الدول الشيوعية تمنع غير الملحدين أن يدخلوا الحزب الشيوعي .. وويل أي ويل لإنسان في البلاد الشيوعية لا يكون عضوا في الحزب الشيوعي .

إن الشيوعية حرب على الأديان جميعاً بنص النظرية . وإذا كان المشرعون للنظرية الشيوعية في موسكو يجيزون لأتباعهم أن يدعوا التدين ليجتذبوا الناس إلى نظريتهم ، فإن الإسلام وجميع الأديان لا تتيح لأتباعها أن يختاروا من الدين ما يحلو لهم فيعتنقوه ، وينصرفوا عما لا يروق لهم وينبذوه .

إن الدين كل متكامل لا يجوز لأحد من البشر أن يختار منه ويرفض .

وإذا كانت الأوامر قد صدرت للشيوعيين في الدول الإسلامية أن يدعوا الإسلام كفترة يسمونها مرحلية ، فإن الإسلام والمسلمين يعلمون المؤمنين والكافرين ، ويستطيعون في يسر وفي منطق لا يقبل الجدل أن يعرفوا المسلمين إسلاما يسترون به إلحادهم ، والمؤمنين الذين يعرفون ماذا يعني قولهم : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

ومن عجب قولهم في ميدان الإلحاد إن أصل العالم مادة . ثم هم يفصلون نظريتهم في الخلق تفصيلا جريئا لا مثيل لجرأته . وهم بهذه النظرية يريدون أن يقولوا إنهم يرفضون فكرة الإيمان بالغيب ، وأنهم لا يؤمنون بغير العلم .

فإذا هم ودون أن يشعروا يقيمون نظرية تقوم كلها على الغيب ، لا يؤيدها أي دليل علمي أو روحي . فالأمر الذي لا شك فيه أن ماركس لم يكن شاهدا على بدء الخليقة ، كما لم يكن إنجلز أو لينين حاضرين . . فكيف إذن استقامت النظرية بين أيديهم ، ويطلقون عليها اسم النظرية المادية ، ويطمئنون إلى ذلك ويستريحون ؟

بينما نصدق نحن المؤمنين ما جاء في القرآن عن بدء الخليقة في منطق منسجم مع طبيعة إيماننا كل الانسجام .. فالذي عرف سر الروح في الإنسان أرسل إلينا كتابا هو

معجزة الدهور . وفى هذا الكتاب ذكر كيف نشأ الخلق . وما دمنا لم نعرف سر أرواحنا فحتم علينا أن نصدق كل ما يقول .

ويصبح القرآن الكريم فى خلق الله أجمعين ﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ سبحانك ما أعظمك ، ولكن الملحدين لا يبصرون ولا يريدون أن يبصروا ، فعلى القلوب أقفالها ، وهم يستمدون إلحادهم من جيوبهم ومن أرباحهم ، ثم هم يزدادون جرأة على الحق . ويدعون أنهم مؤمنون .

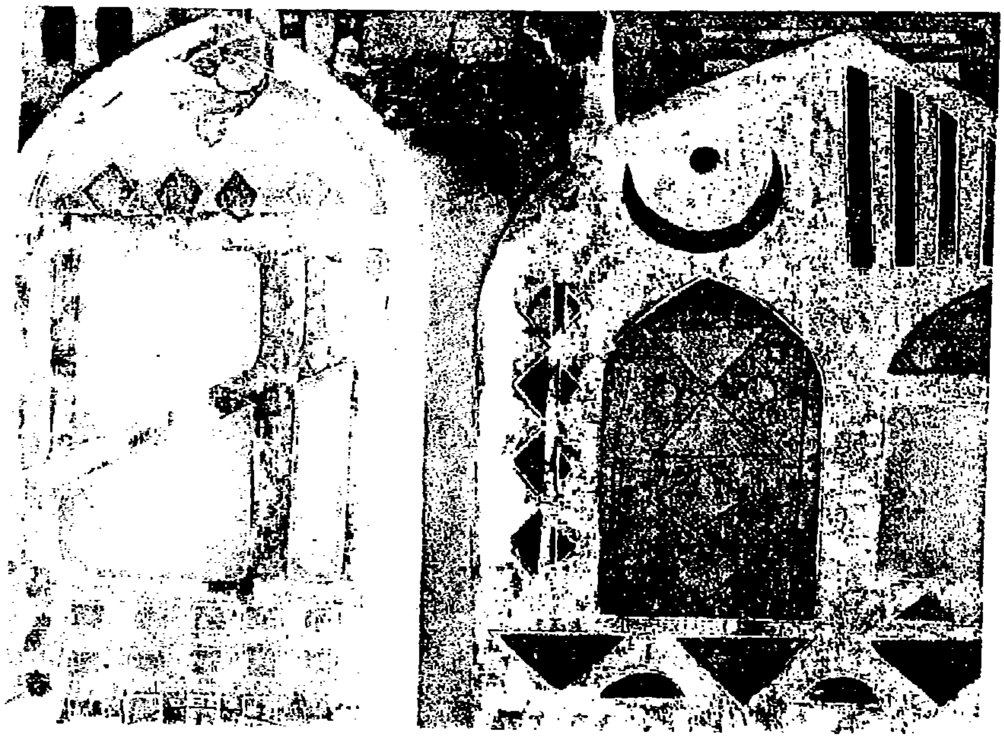
وما داموا قد فقدوا الإيمان بربهم ، فلا عجب أن يفقدوا الإيمان بوطنهم . وها هم أولاء يشعلون الفتن فى كل يوم ، ويلقحونها بالسخيمة والأحقاد والضغائن ، ويستحيب لهم فتية أبرياء لا يدرون أنهم جعلوا منهم الوقود ليحرقوا به أمن الوطن .

وليس لكافر ميثاق ولا عهد . وهؤلاء الشيوعيون يعلمون أن نباتهم لا ينمو إلا فى الأرض المحترقة ، وفى أنقاض الأوطان . وها هم أولاء يحاولون أن يحرقوا بلادنا ويهدموا أركانها .

ولكن هيهات . إن الشعب لهم بالمرصاد ، ومن فوقه العزيز ذو القوة المتين . وما خاب من كان الله ظله وعونه وملاذه وملجأه .

ويصل إلىّ خطاب من الصعيد يسألنى : لماذا أكتب عن الشيوعيين ، وهو لا يعرف عنهم شيئاً !! هنيئا لك أنك تجهل أمرهم ، فقد أكرمك الله بهذا الجهل كل الإكرام . ولكننى يا أخى لا أعرف ما هو الموضوع الذى تعرفه أنت حتى أكتب فيه أنا . . وما دام الأمر كذلك ، فاقرأ أنت عما لا تعرفه ، فإن هذا هو خير لك ولى من أن أكتب أنا عما أجهله أنا وتعرفه أنت .. ألا ترى ذلك ؟ ؟

❀❀❀



الحلــف الخائــن

الحلـف الخائـن

كم من عجائب نقرؤها فى هذه الأيام العجيبة ، حتى لقد أصبحت على يقين أن أيامنا هذه غريبة على الأزمان . . التوى فيها كل طريق ، وتكاثرت فيه الثنايا ، حتى أصبح الطريق القويم شريدا لا يجد له بيننا وطنا أو مستقرا .

قرأت فيما قرأت كاتبا مسئولا عن الجريدة التى يعمل بها ، يعلن فى وضوح باسم حزبه ، أن حزبه يعاون الأحزاب الشيوعية السرية . ومع أن الدهشة أصبحت بعيدة عن نفسى كل البعد فى زماننا هذا زمن العجائب ، إلا أننى مع ذلك دهشت أن يعلن رئيس تحرير أنه يرتكب جريمة يعاقب عليها القانون ، ولذلك فإننى أعاهدكم أننى لن أدهش إذا قرأت لهذا الكاتب أو لغيره من تجمعه أنه يتاجر فى المخدرات أو يوزع حبوب المغيبات .

وفى الجملة التالية لإعلانه عن ارتكابه لهذه الجريمة ، يقول الكاتب إنه وحزبه يعاونون الجماعات الدينية المتطرفة ، وهكذا استطاع بجملته هذه أن يمحو الدهشة التى انتابتنى فى جملته الأولى لأواجه الذهول من إعلانه فى جملته الثانية .

كيف يجتمع طريقان كل منهما يتجه الاتجاه المضاد للآخر ؟ كيف يلتقى المغالى فى دينه ، المتطرف فى عقيدة الإيمان ، مع الملحد الرافض لفكرة الإيمان جميعاً ؟ يدعى أنها ساذجة سطحية نعتقد عن جهل بالغيبيات التى لم يثبتها العلم .

إن النظرية الشيوعية لا يمكن أن يقوم لها أساس إلا إذا هدمت فكرة الدين جميعا ، أيا كان هذا الدين .

والمتطرف الدينى يرى بنظرة متطرفة رعناء أن كل قانون غير قائم على الشريعة الإسلامية كفر وإلحاد ، حتى ولو كان قانون أرشميدس أو قانون العرض والطلب .

فكيف يتحالف النقيضان ويتوحد الطرفان المتباعدان المتباغضان ؟

كيف يؤيد الشيوعى الملحد هذا المؤمن الذى يغالى فى إيمانه ويبالغ فيه ويبالغ ، حتى يخرج به عن الإيمان السوى المطمئن الشريف إلى الفتنة والتخريب والدمار ؟

وكيف يقبل ذلك المؤمن المغالى أن يحالف ملحدا رافضاً لفكرة اللّه فى جملتها وتفصيلها ؟ أيرفضون أن يروا خلق اللّه فى ملابس عصرهم ، ويقبلون الملحدين وهم المرتدون الذين لو طبقوا عليهم الحد الإسلامى الذى يبغون تطبيقه لأوقعوا بهم الجزاء الذى ينهى حياة الإنسان جميعا . أى حلف ذاك ؟ ما هدفه ؟

على أى أساس يقوم ؟

أما إنه حلف قائم وموجود فهذا ما لا شك فيه ، وبعد إعمال النظر وإمعان الفكر وتدبر الخوافى ، نجده حلفا طبيعيا لا داعى معه إلى الذهول الذى تولانا .

إنه حلف الشيطان مع الكفار ، وحلف الدمار مع الخراب ، وحلف البوار مع الفساد ، وحلف المفتون مع المفتون ، ومشعل الفتنة مع الذى يتعهدها ويزيد حريقها لهيبا ونارها وقودا .

هدف الحلف خراب مصر جميعاً ، وهذا إجراء لابد عندهم أن يتم بادئ ذى بدء . وحين ينتهى - ساء ما يدبرون - ينتهى الحلف بين النقيضين ، لتبدأ الحروب على الأرض اليباب ، وفى الديار المنسحقة ، ويحكم يومذاك - لا كان يومذاك - أكثرهم شرا وأقواهم مددا وأشدهم ضراوة . والفريقان على أية حال يعتمدان على دول أخرى تغدق عليهم المال والسلاح إغداقا ، والغلبة بعد الخراب والدمار ستكون لأقوى الدول الداعمة شوكة وأغزرها سلاحاً .

وهكذا يصبح الأمر الذى ينتج من حلفهم ، أن كلا منهما يعين الآخر ، ليدمر كل منهما الآخر بعد ذلك ، بعد أن تكون الجماعتان كلتاهما قد خربا مصر ودمراها ، لا أنجح اللّه لهما سعيا ولا فكرا .

وقد ذكر الشيطان لربه أن سيقعد لعباده طريقهم المستقيم . وها هو ذا الشيطان ينفذ وعده ، ويتلبس فى جسوم الشيوعيين وحزبهم . وها هم أولئك يقعدون للمؤمنين طريقهم المستقيم ، ليجعلوهم ينحرفون عنه شر منحرف ، وليجرفوهم من الإسلام السلام والنور والهداية والرحمة والحب ، إلى التطرف الأحمر المخضب بالدماء ، المتشح بالفتنة ، الهادف إلى التخريب ، المعتمد على القتل غيلة وبغير الحق . أقدموا عليه فى مقتل الشيخ الذهبى ، وفى مقتل الزعيم الخالد أنور السادات ، وهم يقدمون عليه اليوم ليقتلوا مصر جميعها ويوقدوا بين أبنائها فتنة لا يهدأ لها أوار .

فالشيوعيون إذن يقومون بدورهم المرسوم لهم ولا يخافتون ، بل يعالنون ولا يتسترون ، بل يكتبون وينشرون . ولا شك أن الكاتب يوم كتب ما كتب كان يأمل أن تتخذ منه السلطات موقفا ، فتصادر الجريدة أو تقدمها إلى العدالة ، ولكن السلطات أدركت فى ذكاء الضجة التى يريدون أن يثيروها ، كما أدركت أنهم يريدون أن يتباكوا على الديمقراطية أنها مست ، مهما يكن مذهبهم يهدف إلى قتل الديمقراطية قتلا لا تقوم من بعده . أليسوا هم من قال كتابهم : نأخذ حريتك ونعطيك رغيف العيش . . وأخذوا الحرية من شعوبهم قسرا . وحرموهم أيضاً رغيف العيش والحياة جميعا .

هم إذن يطبقون نظريتهم ، وهم إذن قد لبسوا ملابس الشيطان ، وقعدوا للمؤمنين طريقهم المستقيم ، ونالوا بذلك البركة من إلحادهم والمال من الدول التى تعينهم ، وقروا عينا . . ولكن إلى حين ، فواللّه ليرون من اللّه العذاب المستطير ، ولينزلن بهم من الأهوال ما أنزله على قوم لوط ونوح والصابئين منذ بداية الزمان .

وانظر إلى شأن المؤمنين ، أتراهم يدعون الإسلام وهم لم يقرأوا القرآن ، أم تراهم قرأوه فما فهموه ؟ أم تراهم ادعوا الإيمان وأرادوا أن يجعلوا منه مركبا يصل بهم إلى سلطان الدنيا ، غير ناظرين إلى نعيم العليا وجنات هنالك أعدت للمتقين ، الذين يهدون قومهم ولا يضلون والذين يخاطبون الناس حسنى ؟ أيريدون أن يكونوا من الهداة وهم يعلمون أن القرآن نزل على محمد ليكون بشيرا ونذيرا ومبلغا ، وليس ليكون فتنة بين الناس وهولاً آخذا ؟ ألم يقل اللّه لنبيه : عليك البلاغ وعلينا الحساب ؟ أو لم يقل فى قرآنه ، عز قرآنه ، على لسان نبيه : ﴿ هل كنت إلا بشرا رسولا ؟ ﴾ أو لم تتواتر الآيات بهذا المعنى عشرات وعشرات ؟ فما لهؤلاء يريدون أن يصبحوا زعماء سياسيين ، شعارهم السلاح وليس الرأى ، والعدوان وليس الكلمة . ألم يكن اللّه بقادر على أن يفنى الظالمين أجمعين ، ويقمعهم أن يعذبوا المؤمنين ما عذبوهم ويعتدوا على سيد البشر عدوانهم الهمجى الحقير ؟ فلم اختار اللّه الكلمة لخطاب هؤلاء ولم أمر نبيه أن يبلغ ويكتفى بالبلاغ ؟

لأن الدين عقيدة والعقيدة صلة إنسان بربه . وهى صلة حرة من كل قهر ، نزيهة عن كل إرغام يمد الإنسان أسبابه إلى ربه بشهادة أن لا إله إلا اللّه ، وأن محمدا رسول اللّه ، وبالصلاة فروضا موقوتة ، وبالصيام إذا انتفت رخص الإفطار ، وبالزكاة كما شرعها العزيز الحكيم ، وبالحج لمن استطاع إليه سبيلا ، ثم يتقرب الإنسان إلى سماوات ربه الرحمن الرحيم بهمسة الدعاء وبعبرة الإيمان ، وبرعشة الخشوع وبنور الطمأنينة ، وبالخوف من عذاب السعير وبالطمع فى عز الجنة .

هكذا هو الإسلام ، صلة فرد واحد ، تزدهر وتنمو وتتمكن وتثبت وتطمئن وتنغرس داخل النفس ، لا يعلمها إلا الواحدا لأحد ، الذى يعرف خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

أين أنتم أيها المتطرفون من هذه النفس ، ومن تسبيحها ودعائها ، ومن الخيوط الحريرية المتينة متانة الإيمان وقوته ، تربط بين عبد وربه لا يراها إلا بارئ النفوس وقيومها سبحانه وتعالى عما تصفون ؟

أين أنتم مما بين مسلم وإسلامه ، وبين عابد ومعبوده ، وبين مخلوق وخالقه ، وبين من فرض الفرائض وبين من أداها ، إذا أخلف واحدة منها فحسابه هناك عند صاحب الأمر على الكرام الكاتبين ، فلا حسنة ولا سيئة إلا هم محصوها ، والحكم بعد ذلك للواحد القهار ، وهو أحكم الحاكمين الغفور ذو الرحمة المتين .

أتريدون أنتم فى بشريتكم الهزيلة هذه أن تتهموا وتقيموا الادعاء وتنزلوا العقاب على من لا تعرفون أى حبال صلبة متينة تربطه برب العرش ؟ أين أنتم من ذاك ؟ ومن ارتضاكم لتكونوا حكاما ؟وكيف سولت لكم نفوسكم أن تقتعدوا منازل الأنبياء أو حتى الصديقين ؟ بل إننى أراكم تريدون من أنفسكم آلهة ، شاه ما تظنون وما تبيتون . إن يكن المال المنسكب عليكم يزين لكم السوء الذى تفعلون فاعلموا إن كنتم لا تعلمون أن هذا المال من بشر ، والبشر لا يستقر على حال ، فكم من أصحاب أنهار وعيون وجنات كانوا فيها فاكهين ، أبدلهم ربك قوما آخرين ، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين .

هو سبحانه على سادتكم قادر . وهل قادر إلا هو . . ؟ يمحقهم قبل أن تكمل عين طرفتها ، فما أنتم منه إلا هباء ، وما شأنكم عنده أو عند المؤمنين إلا بوارا ، ولا يبقى من آثاركم إلا عبرة الأولين للآخرين ، وسبحان رب العزة عما تصفون .

❀❀❀



مصريون .. مصريون

مصريون .. مصريون

مصريون ... مصريون نحن بكل قطرة من دمائنـا . . . بكـل مسرى مـن مجـرى دمائنـا . مصريون بأعراقنا التي ورثناها عن آبائنا ، ومصريون بأعراقنـا التـى تختلـج بهـا قلـوب أبنائنـا . آمالنا كلها تطوف بأرض مصر وسمائها ، ومسالك الهواء فى أجوائها ، ومجـرى الجـداول مـن نيلها ، وأمواج البحرين على ضفافها .

وغاياتنا أن يكون الرغد والرخاء والأمن والنماء أحضان مصر وحياتها وترابها ونبتها ، من الشجرة اللفاء عريقة الجذور إلى أعواد الزروع الحديثة الاخضرار .

وفى يوم من الأيام هتف قائل محموم : لا يكفى أن نقـول مصـر حتـى تنحنـى الـرؤوس .. ويله يوم نادى هذا النداء . . ما أعظم ما تبجح وما أبغض ما فجر به . كان فى ذلك اليـوم ذا منصب . واتخذ من منصبه جنة يستجن بها ، ليهـاجم مصـر وهـو مصـرى مـن ألفـاف حنايـا مصر . . جعل منصبه دريئة ودرعًا ليطلق صيحته الرعناء الحمقاء التى لا شك أن مددها كـان مالا دنسا تسرب إليه فى ليل من الحاقدين على مصر ، والشانئين من أقزام الـدول ، وحسـب الأحمق أن صيحته ستبتلعها أفناء مصر ولا تلتفت إليها ، ويكون هو قد زاد خزائنـه مـالا وزاد ذمته المالية المتجردة من الأمانة ثراء بالنقود . وليس يعنيـه مـن بعـد أن تـزداد فقـرا إلى الشـرف والكرامة والوطنية والانتماء .

ويحه ماذا قال . . . وأى غاية تغيا ؟ وأى هدف تقصد . . ؟ إننا نحن أبناء مصـر إذا سمعنـا كلمة مصر خضعت منا القلوب ، ووجفت منا حبات الأفئدة وخضعت منا الجباه .

فإن يكن هناك يسار فليكن يسارا مصريا ، أو يمين فليكن يمينا مصريا .

وإن تزيا اليسار بالاشتراكية أو تسربل اليمـين بـالتطرف الدينـى ، فلابـد للقلـوب أن تظـل مصرية أصيلة عميقة الإيمان بمصريتها .

ليس مصريا يساريا يمد يديه خارج مصـر ليصيـح « إن العـالم كلـه وحـدة ، وإن الوطنيـة شعوبية ، وإن الوفاء للدولة تفريق بين أبناء الإنسانية » .

فمن أحضان الأم تنبت الإنسانية فى العالم ، ومن عبير تراب الوطن نشعر بالوجود البشرى ، ومن لم يعرف كيف يحب أمه جهل كيف يحب وطنه ، ومن لم يعرف كيف يحب وطنه جهل كيف يحب الإنسان فى كل مكان . كاذب ذلك الذى يدعو إلى خير البشرية قبل أن يدعو إلى خير وطنه ، وهو يتقاضى من أجل ذلك أموالا هى أحقر ما يصيب إنسان من مال على وجه الأرض .

بل إن الذين يدعون إلى عالمية الفن ، يدركون كل الإدراك إن عالمية الفن لا تكون ولن تكون إلا من محلية هذا الفن ، ونمائه فى أحضان وطن تغذى من لبانه ، وشب من بين أحضانه ، ومضى شأنه إلى العالم بجناحين راشهما الوطن الذى ولد فيه ، ونما وشب .

وما أصبح الكتاب العالميون عالميين إلا لأنهم كتبوا عن مواطنهم ، وكانوا على أوسع علم بخفاياها وبالبعيد البعيد من أسرارها . كان هؤلاء الكتاب بين كل اثنين يتناجيان وفى كل جماعة تتنادم . وفى كل رهط يسمر . . ومع كل عامل فى دكانه وبيته أو حجرته ، وكان يتعرف على الأسرار الخبيئة فى بيته ، وكان مع كل فلاح يفلح أرضه . كان الكاتب فأسه ومنجله وكان معه وأبناؤه به يتحلقون أو يتغاضبون . . كان يعرف آمال كل فرد فى شعبه ، كما يعرف آلامهم ، وكان فرحتهم وحزنهم وابتهاجهم وغضبهم ورضاهم وسخطهم ، وبهذا الإمعان فى المحلية أصبح تولستوى وديستيوفسكى وبسترناك وشكسبير وديكنز وهيجو وبلزاك وزولا ودوديه وجيته وهمنجواى وشتاينبك ومورافيا ، وكل من بلغ مكانتهم ، عالميين .

إن العالمية بنت الوطنية ، والمحلية هى الأساس الأول ليجوب اسم الفنان أنحاء المعمورة .

فحين ينادى اليساريون ، أو غيرهم ممن لف لفهم ، بالتخلى عن الوطنية ، إنما يفترون فرية عظمى تحضهم عليها الدول الشيوعية التى تريد أن تمتص كل ثروات الدول الأخرى .

وحين ينادون بأن الدين هو أفيون الشعوب . . وأنه لا يؤمن إلا الرجعيون الجامدون ، تضحك منهم البشرية ـ وتسخر من جهلهم . . فإن الأديان هى حضارة البشرية ، وهى الفكر التقدمى الذى جاء ليهدى الرجعيين السلفيين الذين يتجمدون كالحجارة التى كان آباؤهم يعبدون . ولو كان الشيوعيون يقرأون القرآن لقرأوا الآيات الكثيرة التى تنهب منهب الآيات الكريمة .

﴿ أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون ، بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون . . وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ، قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ صدق الله العظيم .

ولعرفوا أن الرجعية هى الإلحاد ، ولكنهم لا يريدون أن يعرفوا ، أو لا يريدون أن يعلنوا أنهم عرفوا أو يعلنون هذا فتنقطع عنهم الأموال التى تنهال عليهم من كل حدب وصوب .

إنما ترفع شعار مصر ليرتد عنا المتطرفون الشيوعيون الملحدون بالله والوطن ، خاسرين حيثما وجدوا ، لا قبلة لهم إلا الخزى ، ولا عاقبة لهم فى الدنيا أو الآخرة إلا الفشل والبوار .

ونرفع شعار مصر لقوم آخرين يريدون أن يتخذوا الدين المطية ليصلوا بها إلى حكمنا فيصبح أمرنا على أيديهم فرطا .

فهم قرأوا القرآن ثم أبوا أن يتدبروه . نسوا قوله تعالى ﴿ هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾ ونسوا : ﴿ لست عليهم بمسيطر ﴾ ونسوا ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ وقوله تعالى ﴿ وأطيعوا اللّه وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ما على الرسول إلا البلاغ واللّه يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾ .

فإذا كان اللّه جل وعلا ، رفيع الدرجات ذو العرش لم يقدر لرسوله وهو رسوله ، وسيد البشر أجمعين ، وصلة السماء بالأرض إلا أن يكون رسولا فقط ومبلغا فحسب ، ونفى عنه أن يكون مسيطرا ، فكيف تريدون أنتم لأنفسكم أن تفرضوا علينا عصاكم قهرا ، وكبرا وطغيانا ؟ تاللّه ما تريدونها إلا عوجا ، وتبغونها ناراً تضرمون لهيبها ، وما أضرم إنسان نارا بالباطل إلا أكلته أول مأكول ، وكان هو أول حريقها وحطبها .

إننا نرفع مصر شعارا ، ينادى منادينا فى كل منتدى مصر . . وأسألكم يا أبناء مصر الخلص الشرفاء .. أتعرفون نداء أجمل فى القلوب أو أعذب فى الآذان أو أسعد للنفوس من هذا النداء ؟

إننا نرفعه شعارا لأننا نعرف أن هناك فئات من الناس انتمت مصالحها إلى غير مصالح مصر . . ونعرف أن مصالح هذه الفئات أصبحت مرتبطة ارتباطاً وثيقا بما يجر على مصر الخراب والهوان ، وهيهات ألف هيهات .. لن يصل الخراب إلى مصر مهما يجهد بهم السعى ، وهيهات ألف هيهات . فلن يمس الهوان نسمة من أجواء مصر . إنها كنانة اللّه فى أرضه . ونحن أبناؤها . . دماؤنا حصنها دون أى عربيد يحاول أن يمس ذرة من ترابها بهوان . . هذا شعارنا نرفعه ونموت دونه . ويرفعه معنا أبناء مصر قاطبة من أقصى بحرها شمالا إلى أقصى أسوانها جنوبا ، ومن حدود صحرائها فى المغرب إلى حدود صحرائها فى المشرق .

لن يخدعنا فاجر كافر ملحد ، ولن يزايد بديننا تاجر بضاعته زيف ، وحجته مين ، ووسيلته خداع !

واللّه سبحانه سيفتح بيننا بالحق ، فإنه جل علاه بالحق أنزله وبالحق نزل ، ونحن نرفض كل من يعاديه ، كما نرفض من يتخذ منه فى الدنيا تجارة ، ومتكأ لغير ما يرضى اللّه تقدست أسماؤه وعلا وتباركت آلاؤه .

❀❀❀



اللهم انصرنا على أنفسنا

اللهم انصرنا على أنفسنا

لم يأت على الناس حين من الدهر كان الجميع فيه راضين عن زمانهم أو عن حكامهم ، فكل جيل من أجيال البشر له صبوة إلى الماضى وحنين إلى الغابر ، يواكبه سخط على الحاضر ، ورفض لما يحيط به من واقع ..

وأحسب أن جيل النبى عليه الصلاة والسلام كان أعظم الأجيال التى شهدتها البشرية ، فقد كان مليئا بالمصابيح الهداة ، آمنوا بالرسالة يجابهون بها غلظة الجاهلية ، وحرص الكافرين على أمجادهم القبلية ، وعلى أموالهم التى كانوا يقترفونها من كل ما هو دنىء حقير .. لا يعفون حتى عن الاتجار بالمتعة تحت ظلال ألويتهم الحمراء . ووقف النبى عليه الصلاة والسلام يصيح فيهم : لا إله إلا اللّه ، ومحمد رسول اللّه . والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، ولا فضل لسيد على عبد فى البشرية .. فالكل أمام اللّه والناس سواء ، للمحسن فيهم الحسنى وزيادة ، وللمسيىء منهم العقاب والنكال واحتقار الناس فى الدنيا ونار جهنم فى الآخرة ، ويصبح للدعوة الإسلامية الكريمة فرسانها فى كل ميدان من ميادين الفروسية ، فنجد الكرام الذين ينفقون مالهم كله فى سبيل اللّه .

وتجد أصحاب الضمير المرهف يخشون اللّه فى إطراء غرسهم قدر ما يخشونه فى علانية أعمالهم ، وتجد السيوف المشهرة تسابق الحياة إلى الشهادة فى إيمان الواثق بهوان الدنيا ، وما وعد اللّه الشهداء فى الباقية الخالدة ، وتفيق البشرية على فترة من الزمان لم يعرفها الأحياء ولا تسامعوا عنها فيما حمله إليهم التاريخ .

ولكن أكان أهل هذه الحقبة من الزمان راضين عنها ؟ إن من يقرأ فى أدب العرب ، يجد أصحاب هذه الإشراقة العظمى كانوا هم أيضاً يتملك نفوسهم حنين إلى الماضى وتعلق به . وما كان حنينهم إلى الكفر فيه – لا قدر اللّه – أو كان إلحادا منهم إلى غطرسة الجاهلية وما فيها من غلظة ، وإنما كانوا ينظرون إلى ما كان من خير قليل فى أخلاق الجاهلية : من حفاظ على العهد ، ومن حكمة فى التصرف ، ومن تعفف عما

يشين أخلاق الرجال ، ومن حرص الكرام على إكرام الضيف ، وإغاثة الملهوف ، وحماية من لا ملجأ له .

ونجد عمر بن الخطاب ، الذى صنعه اللّه سبحانه وتعالى المثل الأعلى للعدل على مدى الأزمان يحن إلى الماضى هو أيضاً ، ويتمثل ببيتين فيهما ترحم على ما كان ، وسخط على ما هو كائن ، فيروى :

وما بقيت من اللذات إلا   مخاطبة الرجال ذوى العقول
وقد كنا نعدهم قليلاً   فقد صاروا أقل من القليل

فإذا كان عمر يرى فى أولئك الأئمة العظام حوله قلة ، بل أقل من القلة ، أفلا يحق لنا نحن اليوم أن نبكى على حالنا دما لا دموعا .

وحين يحكم عمر ويقيم العدل الذى لم تعرفه البشرية بعده قط ، نجد الناس يضيقون بعدله .

فالعدل فيه قسوة ، لأن كل إنسان يحسب أن ما ينطبق على الآخرين من قوانين لا يجوز أن ينطبق عليه . فالإنسان كلما ازداد جهله ، تأكد لديه أنه أعظم من خلق اللّه أجمعين ، وهكذا فما يكاد يمر على حكم عمر سنتان ، حتى كانت بعض النسوة يتوجهن إلى اللّه (وهن يملأن الجرار ، فقد كان الظن يومذاك أن الدعاء عند الاستسقاء مقبول) : « اللهم بدّل ، اللهم غيّر » !!

لقد ثقل عليهن وعلى أزواجهن عدل عمر ، فهن يرفعن الدعاء إلى اللّه أن يغير عمر . . وهو عمر !! وبعد عمر بأجيال يحكم حفيده عمر بن عبد العزيز ، ويأخذ نفسه وزوجه وأولاده ، ثم يأخذ الناس ، بالعدل أصدق العدل ، ويقيم الميزان بالقسط ولا يخسره ، ويرسل إليه أستاذه من مكة خطابا يسأله : ماذا تريد أن تفعل ؟

ويجيب عمر بن عبد العزيز : « أريد أن أقيم العدل الذى أقامه جدى عمر بن الخطاب » . ويرد عليه أستاذه قائلاً : « لن تستطيع ، وإذا استطعت فإنك تكون خيرا من جدك ابن الخطاب نفسه ، لأن الذين كانوا حول عمر بن الخطاب كانوا يعاونونه على عدله ، أما الذين حولك فسوف يحاربون عدلك ، ولن يمكنوك منه » .

ويصدق ما توقعه أستاذ عمر بن عبد العزيز ، ولا يكمل عمر سنتين فى خلافته وتردد البشرية بعد ذلك البيت الشهير :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد
ذا عفة فلعلة لا يظلم

كل هذا عرفته البشرية وعرفت ما هو شر منه ، ولكن أى هاتف ألح علىّ أن أمضى فى هذا الحديث اليوم ، إن هذا التساؤل منى ليس حيرة أو جهلاً بما يثور فى نفسى وإنما لوعة وحريق يوشك أن يسد فى عينى أقطار الأرض جميعاً .

فمع أن الناس كانوا على مر العصور غير راضين عن عصورهم ولا على حكامهم ، إلا أن طبيعة الحياة كانت غير هذه التى صرنا إليها اليوم .

وإذا نحن تركنا ذلك الزمن الماضى الذى وصلت أنباؤه إلينا على صفحات الكتب ، وتذكرنا الزمن الذى رأينا أحداثه على صفحات الأيام ، وعقدنا مقارنة بين ما كنا نرى وبين ما نحن فيه ، لعجبنا من أنفسنا : لماذا نظل نلقى بأنفسنا فى مضطرب الحياة ؟ ولماذا لا يبحث أمثالنا عن مخبأ لا يرى إلى الناس ولا يجعلهم يرون إليه ؟ ولكن أين المفر وقد أصبح البعد عن الحياة مستحيلا إلا بالموت ، فإن أغلقنا على أنفسنا أبوابنا ، لاحقتنا الإذاعة ، وهاجمنا التليفزيون ، وغزت وحدتنا أرسال الزوار مشفقين أو عاجبين أو ساخرين !

لا مهرب إذن إلا أن نواجه الحياة ، ونفرض على أنفسنا ما لم نكن نتصور إنا ملاقوه فى يوم من الأيام .

إننا منذ نشأنا ، كانت الحياة حولنا تموج بالخير والشر ، ولم يخل زمان — أى زمان — من الصالحين والفاسقين ، ومن الكرام ومن الأذلة ومن الأعزاء على الناس وعلى أنفسهم ، ومن كانوا هوانا على أنفسهم وعلى الناس .

ولا يستطيع أحد أن يزعم أن زمانا ما كان كله خيرا بجميع ناسه ، ولا أن زمانا كان كله شرا بجميع أبنائه ، حتى زمن النبى صلى اللّٰه عليه وسلم كان فيه المخلصون والمنافقون ، وكان فيه الصالحون والطالحون .

قد يكون الأخيار هم الكثرة ، ولكن نادراً ما يكون ذلك ، فالنبى عليه الصلاة والسلام يقول « الجنة حفت بالمكاره » ، والقابض على دينه كالقابض على الجمر ، ومغريات إبليس فيها المتعة الحسية وهى متعة الجهلاء ، وهم الأغلبية ، ومغريات الأديان فيها المتعة الروحية ، وهى متعة العلماء والأتقياء والمتعمقين فى أمور الحياة والمفكرين ، وهم قلة . كل هذا نعلمه وما هو علينا بجديد .

ولكن الحياة حولنا اليوم تجعل كل هذا الذى نعلمه هشيما لا قيمة له . فقد كان الشر موجودا فى كل العصور — هذا لا شك فيه — ولكنه لم يكن رافع الرأس متبجحا مدعيا أنه هو قمة الحياة وسيدها كما هو اليوم . كان الشر يخجل من الخير ، فأصبح اليوم والخير يخجل من الشر ، كان اللص يتخفى عن العيون ، فأصبح اليوم الشريف هو الذى يبحث عن ستار يخفى شرفه .

كان اللص يدعى أنه شريف ، ولكن اللص اليوم لم يصبح فى حاجة أن يدعى الشرف ، بل إن الشريف اليوم هو الذى يغلب عليه الحياء لأنه شريف !

كان الفجور يتستر ويتخفى ، وأصبح اليوم الفجور يصدر إعلانات عن نفسه ، وكلما ازداد تحطيما للقيم علا ضجيجه . وارتفع صوته ، وتباهى وتملكته العظمة وركبه الغرور وشعر بالزهو والكبرياء ، وازداد يقينا أنه ذو كرامة .

وفى ثلاثينات هذا القرن شاع عن امرأة من جميلات هذا العصر ، ومن أسرة عريقة فضيحة انتشر أمرها . وحدث أن كان المرحوم محمد محمود باشا جالسا فى فندق شبرد ، وتقدم إليه أحد أصدقائه ومع سيدة لا يعرفها محمد باشا . ووقف الباشا خريج أكسفورد يستقبل القادمين وقبل أن يصافح محمد باشا صديقه بادره الصديق مقدما إليه السيدة . وعرف محمد باشا أنها السيدة صاحبة الفضيحة ، فإذا هو يأبى أن يمد يده إليها ، وإنما يضع يمينه خلف ظهره ، ويشير لها بيسراه ، ملوحا بسبابته ذات اليمين وذات اليسار بما يجعلها توقن أنه يرفض أن يصافحها ، ثم يجلس يشيح بوجهه عن صديقه وعن السيدة جميعا .

كانت الفضيحة فى ذلك الحين فضيحة ، وكانت الفضائح ألوانا وأشكالا : منها فضيحة كهذه التى ذكرت ، ومنها فضيحة المرتشى ، ومنها فضيحة السارق ، وكانت تشيع ، وكان المجتمع ينزل بها العقاب رفضا أو مقاطعة أو مهاجمة .

أما اليوم فالفضيحة شهرة وعظمة .

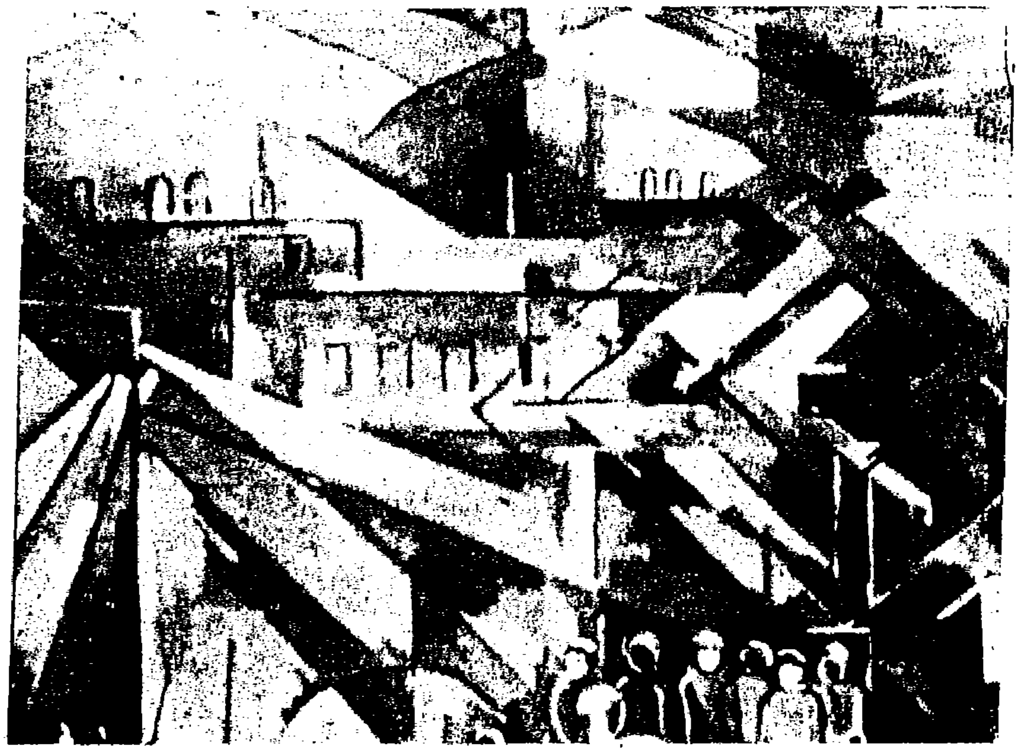
نرى تجار المخدرات يتصدرون المجتمع ، ونرى تجار الأعراض يتصدرون المتحدثين عن الشرف ، إن الشرف أصبح نوعا جديدا من الشرف لم يعرفه العالم قبل اليوم ، ونرى سارقى البنوك يستغلون سرقاتهم فى سرقات أخرى !

جماعات من جنود إبليس أصبحت تسود الحياة ، وإن كنا نحن ومن فى جيلنا عُرضا للكلمات فى معانيها الحقيقية ، فكيف سيعرف الجيل الجديد هذه المعانى ؟ كيف يجد من يؤكد أن الشرف ليس هو المال من أى سبيل ، وأن هذه الحياة التى يرونها زيف كلها وباطل ؟ أم ترى نحن وما نؤمن به هو الزيف وهو الباطل ؟

أين الحق ومن يستطيع أن يرفعه ؟ أين الشرف ومن يستطيع أن يعلنه ؟ أين الحب بغير ثمن ؟ أين النزاهة على رغم الفقر ؟ أين النقاء فى قذر الدنيا الجديدة ؟

ما مصير القائمين على قضائنا فى الغد ؟ وما مصير الأطباء رسل البشرية ؟ وما مصير المهندسين بناة المستقبل ؟ وما مصير الاقتصاد وهو عماد الحياة فى الأمم ؟ إلى أين بنا المسير .. وإلى أين بنا المصير ! ؟ اللهم لقد حققت لنا فى نصر أكتوبر معجزة حرب على أعدائنا . . فإليك وحدك وإلى رفيع سدتك نتجه أن تدركنا بنصر آخر نحققه . . ولابد أن نحققه فى هذه المرة على أنفسنا . . وأنت قريب تجيب ، وإنك وحدك من تجيب .

❀❀❀



أو فليشهروا إسلامهم

.... أو فليشهروا إسلامهم

حين ظهر نجيب محفوظ كان واضحاً أن الشكل عنده مخالف تماما للمذهب الشيوعى ، فمن المعروف أن الشكل فى المذهب يقتضى أن تنتهى الرواية أو المسرحية أو القصة بالتفاؤل . لأن الحلول لجميع المشاكل حاضرة عندهم من قريب ، فما على الفرد أو الأسرة أو الجماعة أو الدولة التى تواجه مشكلة إلا أن تطبق المذهب الشيوعى ، حتى تصبح المشكلات جميعاً محلولة فى أمان الله ، أو فى أمان النظرية المادية ، فهم لا يعترفون بالله .

ولكن نجيب لم يكن شيوعيا فى يوم من الأيام ، وإنما هو منذ بدأ الكتابة يؤمن بالمذهب الاشتراكى بصورة لا يختلف معه فيها كاتب فى العالم . فهو ينادى بالحرية وينادى بتقريب الثروات ، وذلك بأن يقدم ذو الغنى حق المجتمع الذى أثراه إلى المجتمع حتى يحاول به أن يقيم حياة قوم آخرين يطحنهم الفقر . ويرى للفقير الحق فى أن يعيش عيشة كريمة لا يتعرض فيها للجوع أو العرى أو المذلة . وقد كانت هذه الأفكار فى الأربعينات سائدة بين الكتاب بعيدة كل البعد عن جمهور الناس . ولكن المؤكد أنه ليس فى العالم كاتب لا يؤيد نجيب محفوظ فى أفكاره هذه ، فليس من المعقول أن يكون كاتبا ينطق بلسان الإنسان فى بلده وفى كل مكان فى العالم ، ويقبل أن يسيطر على الآدمى الفقر أو الجهل أو المرض .

وهذه الأفكار لا تتعارض مع الحرية والديمقراطية بطبيعة الحال ، وهى مستوحاة أولاً — وقبل كل شىء — من العقائد السماوية .

ولذلك فالاشتراكية هى أعدى أعداء الشيوعية ، لأنها تحقق شعاراتهم وترفض فى نفس الوقت طغيان الطبقة البروليتارية ، كما ترفض القهر وإذلال إنسانية الإنسان وجعله قطعة من آلة أو سائمة يتاجر بإنسانيتها المستلبة قادة الحزب وطواغيته . .

فلم يكن عجيبا إذن أن يهاجم الشيوعيون نجيب محفوظ فى أول حياته الفنية . وقال عنه بعضهم « البرجوازى الصغير » وغير ذلك من الألقاب التى يبرعون فى تصنيعها ، والتى تموت فور ظهورها على سطح الحياة .

ولكن نجيب محفوظ لم يأبه لهجومهم ، و لم يلتفت إلى سعارهم ، وإنما سار فى الطريق الذى يسير فيه كل كاتب شريف ، فهو صادق مع نفسه ، لا يكتب إلا ما يؤمن به ، ولا يخط حرفا لا تمليه عليه خالصة نفسه ، مستنبعا ما يعتقد ، غير ناظر إلى فئة بذاتها أو فكر يتعارض مع فكره ، فإنما غايته الارتفاع بالإنسان عن الجهل ، وحمايته من طغيان المادة وإذلالها . ومع الأيام أصبح نجيب محفوظ جبلا فارعا شاهقا ، فإذا بالحزب الشيوعى يحتضنه فجأة مزيفا على الناس ذلك الفارق البعيد بين ما تهدف إليه أفكار نجيب وبين ما تسعى إليه الشيوعية .

ولكن نجيب الذكى الفهم الذى استطاع بعبقريته أن ينفذ إلى أعمق أغوار الإنسان والإنسانية لم يستجب لمديحهم ، مدركا الزيف الذى يحاولون به أن يخدعوا الناس عن حقيقة فنه . وكما صمت عند الهجوم والهجاء والثورة عليه سكت عند المديح والإكرام والتهليل له .

وسار طريقه الذى يؤمن به .. وأذكر أبيات شوقى لغاندى :

وعد لم تحفل الذام ولم تغتر بالحمد
فهذا النجم لا ترقى إليه همة النقد

وبدأ نجيب يبحث برواياته وبعقله عن الإيمان بالله دون فكر مسبق ، فكانت روايته الأولى أولاد حارتنا . وتبعها بروايات أخرى كلها بحث عن فكرة الإيمان من واقع حياة الإنسان ، لا من واقع الفكرة المتوارثة ، حتى انتهى إلى رواية الشحاذ ، وأنهاها بالصوت يسمعه الجريح ، وحياته تترجح بين الذهاب والبقاء : لماذا تبحث عنى وأنا قريب منك ؟ وهكذا أعلن الإيمان والإسلام جميعاً بالفكر والمنطق ، فالله بنص القرآن قريب من عبده يجيب دعوة الداعى إذا دعاه .

حينئذ أدرك الشيوعيون أنهم فشلوا تماما فى احتواء نجيب محفوظ ، فبدأوا ينقلبون عليه شر منقلب . و لم يحفل الفنان الشريف أمرهم ، وأكمل طريقه وسط صراخهم الغاضب عليه ، فإذا هو يكتب « ثرثرة فوق النيل » « وميرامار » ويصيح فى وجه الطاغوت بتلك القنبلة الثقيلة الرائعة الرافضة الثائرة « الكرنك » ، يدين بها عهداً بأكمله ينتمى إلى الشيوعية ، قدر ما ينتمى إليه الشيوعيون .

حينئذ أصبح نجيب محفوظ من أعظم أعدائهم ، وعالنوا بالغضب عليه ، وصدرت الأوامر صريحة بمهاجمته ، أو بعدم الكتابة عن رواياته ، واهمين أن صمتهم سيصرف القراء عنه ، وطبعا خاب فألهم وارتكسوا فى الخيبة ، وظل نجيب هو نجيب فيا طالما جربوا الهجوم والصمت مع كتاب أخرين ، وبقى الكتاب ومات النقاد منهم ، عند الناس وعند الحق .

وقاموا بتجربتهم نفسها مع أستاذنا الرائد توفيق الحكيم ، ولكنه استعصم منهم بمكانته وثقته بفنه ، وكرثهم بالسلطان الحائر وإيزيس وبنك القلق ، ثم أنزل بهم هو الآخر قنبلته الصريحة الصارخة « عودة الوعى » لم يغلفها بإطار روائى ولا أحاط صراحتها بأستار فنية ، وإنما هى كتابة مقالية صريحة لا تحتمل تأويلا ولا مناص من مواجهتها ، فهاج هائجهم ، وماج مائجهم ، وصاتوا وسفلوا إلى الحضيض الذى يسفلون إليه دائما .

نظل توفيق الحكيم هو توفيق الحكيم ، ويظلون هم فى مهواهم وحضيضهم .

ا هذا لا غرابة فيه ، فمن الطبيعى أن يحاول حزب بلا كتاب مبدعين خلاقين أن لنفسه عن كاتب مبدع ، ولا عجب أن يختاروا جباين من الكتاب الذين يدافعون سانية الإنسان ، حتى وإن كان مذهب الحزب الشيوعى يسعى إلى طحن الإنسان ام آدميته وكرامته ، بدعوى أنهم سيعطونه لقمة العيش ، وحتى لو انتهى الأمر بهم لإنسان أنهم استلبوا آدميته ولم يعطوه لقمة العيش .

فالأمر فى ذاته لا يدعو إلى الدهشة . . .

وإنما الدهشة استولت اليوم على كثير من الناس ، لست من بينهم ، من هذه الضجة التى يحيط بهذا الكتاب الشيوعيون جارودى الذى محق مذهبهم محقا وركله ، لا يرضاه لنفسه مذهبا ، وأشهر إسلامه مرتئيا فى الدين الأقوم ، السبيل الوحيد إلى مواجهة مشكلات العصر .

يتساءل كثير من الناس فيم احتفاء الشيوعيين بجارودى ، ولا يلتفت أحد من هؤلاء المتسائلين إلى ما كتبه قراجوز من خدم الشيوعية فى إحدى الصحف أنه يتمنى لو لم يكن جارودى قد أسلم حتى يحارب مع العرب فى الجانب الآخر . فالعقيدة عند القراجوز أمر يسير يباع ويشترى . ويعلن ويحبس ، وإسلام مفكر عظيم مثل جارودى أمر كان يتمنى ألا يحدث حتى يفيد القضية العربية ، وكأنما أصبحت القضية العربية هى الكفر والإلحاد ورفض الإسلام .

واحسرتاه على الناس وعلى الدين عند هؤلاء الذين يحملون أسماء مسلمة ، وقلوبا كافرة .

إن أمر هذا الكاتب أقرب ما يكون بالراقصة الرخيصة التى تشيع عن نفسها كل حقير من الشائعات ، بأمل أن يظل اسمها على الألسنة ، حتى يثبت إلى الذهن إذا كان هناك فرح يقام أو ليلة تحيا بغير ذكر الله .

ولكن هذه الراقصة يأتيها الثراء من المتاجرة بشرفها ، فى حين يقوم وجود الكاتب من وجود شرفه . فكيف يبيعه بيع السماح وفى سبيل ماذا ؟ وأى شىء فى الوجود يساوى أن يفقد الكاتب شرفه ويركع لغير الله ؟

إن الشهرة للكاتب لابد أن تأتى صاغرة تسعى إليه ولا يسعى هو إليها ، وإلا فلا جاءت ولا كانت ، ويبقى هو عزيزا على نفسه وعلى عشرة قراء يقرأونه ، حتى وإن كانوا عمال مطبعته !

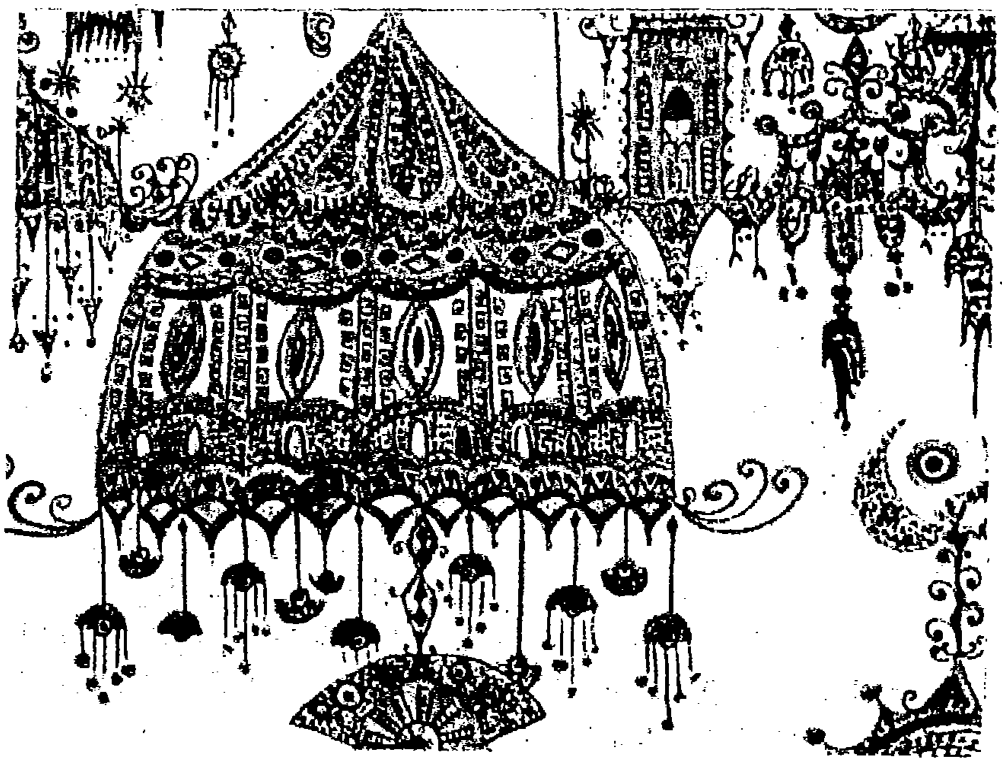
وعلى كل حال ، فلنترك أمر هذا القراجوز الذى أرفض ذكر اسمه ، حتى لا أنيله ما يصبو إليه من شهرة وذيوع صيت قذر ، ولنبحث عن حالة المديح التى أحاط بها الشيوعيون قدوم جارودى إلى مصر ، مدعوا من الأزهر الشريف العريق الشامخ فى تاريخ الإسلام وتاريخ البشرية .

أما أنا فأعتقد أن الأمر صدر من موسكو بهذه الحفاوة حتى يظن الناس أن جارودى لم يقتل الشيوعية بإسلامه ــ وعند عامة الناس الذين يسوح بينهم الشيوعيون بأراجيفهم ، يمكن أن يلبس هؤلاء الشيوعيون الأفاقون العدو ثوب الصديق ، والحق ثوب الباطل ، لا يهمهم أن يناقضوا أنفسهم وأن يكيلوا المديح اليوم لمن كالوا له الذم بالأمس .

فإن لم أكن محقا فى هذا الظن ، فعلى الشيوعيين إذا كانوا صادقين فى الإعجاب بجارودى وبفكره وبفنه ، وبما سنه لنفسه بالحياة ، أن يرتضوا خطته ويسيروا فى طريقه ، ويفعلوا ما فعل . عليهم إذن أن يشهروا إسلامهم كما أشهره هو ، أو فليصمتوا . وليعلموا إذا لم يكونوا قد علموا أن الإسلام يجب ما قبله ، وفى مغفرة الله سعة حتى لتشمل ما أجرموا فى حق البشرية ، وقد أعلن جارودى إسلامه بعد بحث واختيار ، وأعلنوا هم إلحادهم بالاختيار أيضاً . ولكن أشك كثيراً أنهم بحثوا فى أصول الإسلام ثم اختاروا النظرية ، وأغلب الأمر أنهم قارنوا بين الفوائد التى تعود عليهم من الإسلام ، والفوائد التى تعود عليه من الشيوعية ثم اختاروا .

فإذا شاءوا اليوم أن يرجعوا إلى ساحة الإسلام ، فسوف يجدون مغفرة الله تنتظرهم فإنه الله . . . وإنه أكبر . . . أكبر من كل مخلوق ، ومغفرته أكبر من كل ذنب ، فإن عدتم إليه بعد شرك وكفر وإلحاد ، فهو قابل التوب ، وهو العزيز الحميد ، فقط أشهروا إسلامكم كما أشهر جارودى إسلامه ، واستغنوا عن الدنيا ، وفكروا فى الآخرة ، وفى كرامتكم . . . ترى هل يجد ندائى سامعا . . . من يدرى . . فما شئ على الله ببعيد .

❀❀❀



لا نخاف إلا اللّه

لا نخاف إلا الله

توالت الأنباء من داخل المؤسسات الحكومية عن اللصوص والمرتشين ، لم تجامل هذه الأنباء أحدا ، فهى حينا تتناول وزيرا ، ثم هى ما تلبث ما تتفاقم وتصبح أحكاماً نهائية على أربعة من كبار موظفى الدولة . ولا تمثل هذه الأحكام إلا جزاء يسيراً من قضايا ما زال الجانب الأكبر منها متداولا فى أيدى القضاة . ثم تهب ريح من وزارة الصناعة تتهم جماعة كبيرة العدد بالرشوة .

وكل هذه الأنباء تعيد إلى المواطن المصرى ثقته بحكومته . إن الجميع عندها سواء ، وأنها لا تتستر على أحد مهما يكن ذا سطوة أو ذا قرابة ، وأن القضاء فى مكانه الأسنى ، لا يعنيه إلا الحق والحق وحده ، معصوب العينين عن قيمة المتهم ومكانته ، متفتح البصيرة فى نظره إلى العدالة المطلقة وما يؤيدها من أدلة وشواهد وشهود .

وليس شىء يدعو إلى الثقة فى دولة ما مثل القضاء الشريف ، وكاذب كل من يدعى أن مثل هذه القضايا تهز الثقة فى الاقتصاد المصرى ، فإن هذه القضايا تؤكد الثقة فى الاقتصاد المصرى ، وإن كانت الثقة فى الاقتصاد المصرى لا تتأتى إلا بالتغاضى عن المرتشين والتستر على اللصوص والسكون على المجرمين ، فليذهب هذا النوع من الثقة إلى أى جحيم يشاء ، ولتظل مصر على ذلك ما تنتهجه من ردع المجرمين ، وتقديمهم إلى المحاكمة ، وليأخذ العدل مجراه ، وليكن بعد ذلك من أمر الاقتصاد ما يكون فالقاعدة الثابتة أن الاقتصاد والصلات المالية إن لم تتسم بالشرف فهى إلى انهيار لا شك فيه .

ولكن العجيب المؤسف أن هذه القضايا جعلت الموظفين الشرفاء فى حالة تجمد كامل عن إصدار القرار . . . أضع على رأس هؤلاء الوزراء أنفسهم ، فقد أصبح الوزراء — وهم يعلمون أنهم شرفاء — يخافون من إصدار القرار ، فالقرار الذى يستغرق إصداره يوما أو بعض يوم لا يصدره الوزير إلا بعد عدة شهور . وإذا كان الوزير خائفاً ، فوكيل

الوزراة هالع ، وإذا خاف الوزير وهلع الوكيل ، فالسكرتير العام مذعور ، ومن يليه من المسئولين فى فرق مبين ، لا يملكون معه أن يضموا أصابعهم على قلم ليتحملوا به مسئولية رأى .

ما هذا الذى يحدث ... أمعقول هذا ؟ ألا تواتى الجرأة إلا اللصوص ، ويتجمد الشرفاء فى سجون الخوف والهلع المذعور والفرق المرتعش الأليم ؟

بمثل هذا يتجمد الاقتصاد ، ومن مثل هذا يفر من التعامل مع الحكومة كل الشرفاء ، مصريين كانوا أو كانوا أجانب ، أفرادا كانوا أو دولا . هل يعقل أن يصبح تخريب اللصوص عندنا واسع السطوة إلى هذا الحد . . حتى أنهم استطاعوا أن يمدوا أثرهم الخطير إلى الوزراء وهم وزراء ؟

أخشى ما أخشاه ألا يكون الوزراء واثقين من شرعية وجودهم على كراسى الوزراء ، فإن هذا الشعور مدمر فتاك ، يفتك بمصالح الدولة ويدمر الوزير نفسه .

أحسب أن الوزير فى كل قرار يعض عليه يظل يسوف التوقيع بإنفاذ القرار موجها نظره إلى أعلى حينا ، يستمد الشجاعة ، حتى إذا افتقدها وفقدها راح يقلب عينيه ذات اليمين واليسار ، يحاول أن يتلمس التأييد من معاونيه ومساعديه ومستشاريه . وأحسب أن الوزير بهذا يمد جميع هؤلاء بشحنة من الرعب ، لا يملكون معها أن يقطعوا برأى . ومن أين لهم الرأى وقد أكلهم الذعر أكلا وانتهبهم رعب الوزير انتهابا .

إننا اليوم أحوج ما نكون إلى وزراء واثقين كل الثقة بشرعية وجودهم على كراسيهم ، يؤدون ما يرون أنه الحق ويتوكلون على الله العلى القدير ، لا يخشون فيما يفعلون إلا الله وحده المطلع على الضمائر لا يخفى عليه من شىء فى الأرض أو فى السماء . إن المعارضة ستعارض ، ولكن ما البأس . . . إن المعارضة هى روح الديمقراطية وأساسها الأول ، وفى رفضها يستنير الناس ويعرفون تماما ما فى القرارات من محاسن وعيوب ، ولن يجمع الناس على شىء أبدا . . . فما أجمعوا على شىء من قبل ، وإنما الأغلبية هى صاحبة القرار وحسب من يصدر القرار أن تؤيده الأغلبية .

ولست فى حاجة إلى القول أن صاحب القرار لابد أن يبذل أقصى جهده للوصول إلى القرار الأمثل . فعليه أن يبحث ويدرس ويستشير حتى إذا اطمأن إلى القرار أصدره .

فإن القرار الصادر فى عجلة وبغير دراسة وبال مستطير .

وفى نفس الوقت القرار الذى ينبغى أن يصدر ولا يصدر وبال مستطير .

وإنه لمن المحزن أن تكون الديمقراطية مدعاة للخوف والهلع ، وهى النظام الذى يقوم على رأى الأغلبية ، وفى ظله يكون الخطأ نادراً لا يقع إلا فى أضيق الحدود . فى حين تتسم الديكتاتورية بالقرارات الرعناء التى لا يسبقها تدبر أو تفكير أو دراسة .

والديمقراطية تحتمى من الخطأ بحق الجميع فى المناقشة ، بينما لا حماية للديكتاتورية إلا الإرهاب ، فليس فى الديكتاتورية دراسة تسبق القرار ، ولا فى الديكتاتورية مناقشة للقرار إذا صدر . وقديما قال الشاعر :

تلوا باطلا وجلوا صارماً وقالوا صدقنا فقلنا نعم

وإنه لكارثة كبرى أن يخاف الوزير وهو فى حماية من المناقشة الحرة وتداول الرأى .

ولا يخاف الوزير فى ظل الطغيان وهو بلا رأى ولا فكر ، فهو فى هذا النظام البغيض لا شئ إلا لسان ينطق عن الديكتاتورية ، حتى ولو كان ينطق بغير ما هو مقتنع به .

ولا يجوز للوزير فى ظل الديمقراطية أن يخشى الكتاب الذين دافعوا عن الديكتاتورية وارتبطت مصالحهم الخاصة بسيفها الظالم السفاك ، لأن هؤلاء أصحاب هوى ولا أمانة لهم ، وهم لن يؤيدوا الديمقراطية بقلوب خالصة أبداً .

وقد يقول هؤلاء أن السرقات قد كثرت ، وإن هذا دليل على الفساد . وهم يعلمون – ولكنهم لا يقولون – أنه فى ظل الديكتاتورية قام الحكام بتأميم السرقات فلا يسرق إلا أصحاب السلطات وحدهم ، والدليل حاضر من قريب ، فحسبك أن تذكر جواهر أسرة محمد على والقصور المسلوبة والأموال التى صودرت لحساب الدولة فانتهبها حكان ذلك الزمان .

هذه واحدة . . . وأخرى أنه لم تكن هناك حياة تجارية فى ظل الطغيان ، فالأموال كلها كانت خبيئة مستورة تتخفى وراء الجدران ، وتتباعد عن الظنون وتنأى عن الحدس والتخمين ، فما كان أحد ليفكر أن يستثمر ماله خشية إن تنقض عليه الحراسة ، فتستولى على أمواله جميعاً ، هذا إذا لم تضم إليها حريته وكرامته وعرضه أيضاً .

فمن يسرق السارق ؟ وماذا يسرق ؟ وهل كان هناك مال حتى يسرقه سارق ؟

ولا يجوز للوزير أو أى مسئول فى ظل الديمقراطية أن يخشى من قضايا اللصوص المقدمين إلى المحاكم ، فليس هناك دولة ليس فيها مرتشون أو لصوص بمناصبهم ، ولكن الأغلبية دائماً من الشرفاء .

كل ما فى الأمر أن هذه القضايا جديدة علينا بعد فترة طويلة لم تكن لمصر فيها حياة اقتصادية على الإطلاق ، وهذه القضايا تشكل موجة ولكنها لا شك ستنحسر ، فلا ينبغى بأى حال من الأحوال أن تمسك هذه الموجة العارضة بأيدى الوزراء وأصحاب

القرار أن يصدروا القرارات التى يتعين عليهم أن يصدروها ، فإن خوفهم هذا قد أصاب الأسواق المصرية كلها بالرعب والتجمد ، وكم يحزننى أن أرى العاملين فى حياتنا الاقتصادية يصيبهم الظلم الفادح نتيجة الخوف من إصدار القرار العادل .

وكم يصيبنى الأسى لمصر وأنا أسمع من التجار أن الكثيرين من زملائهم يفكرون فى إنهاء أعمالهم التجارية .

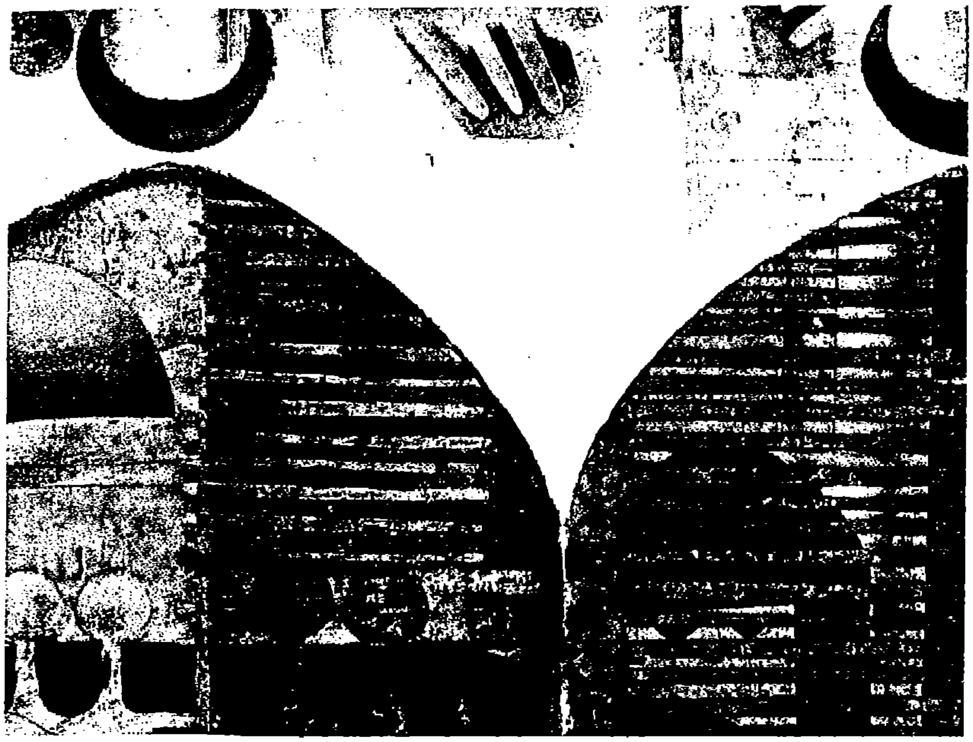
وإنك لن تسأل أحداً ممن يعملون فى الحياة الاقتصادية إلا قال لك إن حركة السوق متوقفة تماما ، وركود السوق خراب فما الخطب إذا توقف ؟

إن الأدواء الاقتصادية التى تعانيها مصر معروفة حتى لغير أساتذة الاقتصاد ، والدواء الوحيد لمواجهتها هو الشجاعة فى اتخاذ القرار .

فإن أحاط بنا الخوف فى القرارات الفرعية فويل لاقتصادنا كل الويل ، حين يتحتم علينا أن نواجه القرارات الكبرى التى سترغمنا الأيام على اتخاذها شئنا أم أبينا .

فيا مصرنا الخالدة ، ناشدى المسئولين فيك أن يلوذوا بالجرأة فى الحق لا يخشون إلا الله وحده .

فهو وحده سبحانه القاهر فوق عباده ، وهو أيضاً الرحمن الرحيم الغفور جلت آلاؤه .



فمـــا معك أحـــد

فما معك أحد

كان أحد الأمراء يلعب مع صديق له النرد ، حين قدم إلى مجلسهما رجل ذو هيبة فى منظره .. فهو طويل القامة ، عريض المنكبين ، أنيق الملبس . ورحب الأمير بزائره ، وتعرف على اسمه ، وأذن له بالجلوس ، وأخرج من جيبه منديلا وألقاه على النرد ، والتفت إلى الضيف يحييه ثم سأله :

ـ هل الشيخ من العلماء ؟

قال :

ـ لا .

ـ الشيخ إذن محدث ؟

قال :

ـ لا .

قال الأمير :

ـ فالشيخ إذن شاعر ؟

قال :

ـ لا .

قال الأمير :

ـ إذن فالشيخ راوية

قال :

ـ لا .

قال الأمير :

ـ فالشيخ أديب ؟

قال :

ـ لا .

قال الأمير :

ـ فالشيخ إذن من أهل التجارة ؟

قال الشيخ :

ـ لا .

فالتفت الأمير إلى صديقه الذى كان يلعب النرد معه وقال له بعد أن رفع المنديل عن النرد : العب فما معك أحد . .

واستأنفا اللعب .

ترى لو أن هذا الأمير عاش في زماننا هذا . ماذا تراه كان يفعل إذا وجه أسئلته تلك إلى كثير ممن يتولون أعلى المناصب فى مختلف مناحى الحياة ؟

علم الله أن الأمير لو فعل لظل يلعب النرد طوال يومه وأمسه ، ولما وضع منديله على النرد أبداً .

فكم نرى المناصب مشغولة فكأنها شاغرة من فرط الفراغ الذى يتسم به شاغلوها . وهم من فراغهم هذا فى ذعر هالع ، تدور رؤوسهم حواليهم يحسبون كل صرخة عليهم ، حتى لقد سمعت أن أحد أفراد الشعب من أصحاب الحقوق ذهب إلى وكيل وزارة وعرض عليه ظلامته ، فإذا بالوكيل يقول :

ـ إنك صاحب حق لا شك فيه .

فقال صاحب الحق :

ـ فاكتب هذا على الورق المعروف عليك .

ـ لا يمكن .

ـ كيف ؟

ـ إذا أنا وافقت قالوا عنى إننى وافقت لأننى أخذت منك رشوة .

ويذهل صاحب الحق :

ـ ما دمت صاحب الحق فلماذا أقدم رشوة ؟

ـ وهل أنا الذى أقول هذا ، إنهم هم الذين سيقولون .

ـ من هؤلاء ؟

ــ من أدرى ومن لا أدرى ، صحف المعارضة وزملائى الذين يطمعون فى الكرسى الذى أجلس عليه ، والمرؤوسون الذين قد أكون قد أوقعت بهم الجزاء لتقصير أو تدليس أو تأخير وآخرون ممن لا أعلمهم والله يعلمهم .

ــ إذن يضيع حقى .

ــ وأنا أليس من حقى أن أحافظ على نفسى ؟

ــ لا حول ولا قوة إلا بالله ، إذن فاكتب على الورق إنك ترفض .

ــ وأيضاً لا أستطيع .

ــ ماذا ... حتى هذا لا تستطيعه ؟

ــ بالطبع لا أستطيع .

ــ لماذا بحق السماء ؟

ــ لأنك صاحب حق ، فإذا كتبت على الورق بما يفيد الرفض فسيقولون إننى لم أوافق على مطلبك لأننى طلبت منك رشوة ولم تقبل أن تستجيب لى ؟

ــ وإذن ؟

ــ لا إذن ولا يحزنون . ليس أمامى إلا طريق واحد هو أن أضع الورق فى درج مكتبى ، وينتظر حتى يأتى غيرى ويتحمل المسئولية .

ــ هل هذا معقول ؟

ــ وهل ترى شيئاً معقولاً حولك حتى تلتمس المعقولية عندى ؟

أنا لا أعرف صاحب الحوار هذا ، وإنما نقله عنه ناقل فيما يسمر به الناس . وقد ظللت طوال ليلى صاحيا مفتح العينين حزينا أو قل مفجوعا . ما مصير بلادنا إذا كانت مقدراتها فى أيدى قوم مثل هذا الموظف .

والأهم من ذلك ، هل هذا الموظف محق أم مخطئ ؟ لقد أصبحت الاتهامات تلقى جزافا لا تفرق بين لص وشريف ، أو بين ظالم وعادل . العجيب أن اللص ذو جرأة على الحق ، فهو يتصرف . والشريف أحيانا يكون ذا رعدة فهو يتوقف عن التصرف !

ولكن الشريف العادل الذى يمتنع عن إعطاء الحق يصبح لصا وظالما ، بل يصبح شرا من اللص والظالم فى وقت معا .

والشريف العادل الذى يصنع ذاك هو ذلك الرجل الفارغ ذو القامة الفارعة والأكتاف العريضة الذى لا يحوى كيانه شيئاً والذى دخل إلى الأمير فانصرف عنه .

أصبح هذا الرجل هو السمة الغالبة على أصحاب العقد والحل فى مصر قاطبة . الموظف يرفع إلى رئيسه ، والرئيس يحيل إلى رئيسه ، حتى يصل الورق إلى الوزير بغير

رأى فيه ، ولا مشورة ، وحينئذ يصبح الورق الذى تقدم إلى الوزير هلعا ورعبا وخوفا وتتولاه الحيرة الآخذة ، وتدور رأسه فى الجهات الأربع أو الجهات الثمانى إن شئت ، وتدور عيناه فى المحاجر ، ولا يجد خروجا من المأزق إلا بأن يعيد الورق إلى من أصعده إليه ليبدى رأيه ، لينزل الآخر إلى من رفعه إليه ، ليزيحه الآخر إلى من حاله عليه . وهكذا يصدق على هذا الورق بيت الهجاء القديم :

لعن اللّه صاعدا وأباه فصاعدا وبنيه فنازلا واحد بعد واحد

ويظل الورق إما قعيدا كسيح الحركة فى أحد المكاتب ، أو متحركا فى تخاذل كمريض أشفى على الموت ، ثم يموت وتموت معه حقوق وآمال ، وتصاب مصر أشد ما تكون الإصابة فى اقتصادها وفى سمعتها فى الخارج وفى الداخل على السواء .

فلو أن كل مسئول كان يتمتع بنصيب مهما يكن ضئيلا من الثقة باللّه ومن الثقة بالنفس ومن التوكل — لا التواكل — على الواحد الحق ، لصدرت القرارات وسارت الأمور فى الطريق الأقوم الذى ينبغى أن تسير فيه

لا أمل لمصر فى أزمتها إلا المواجهة .

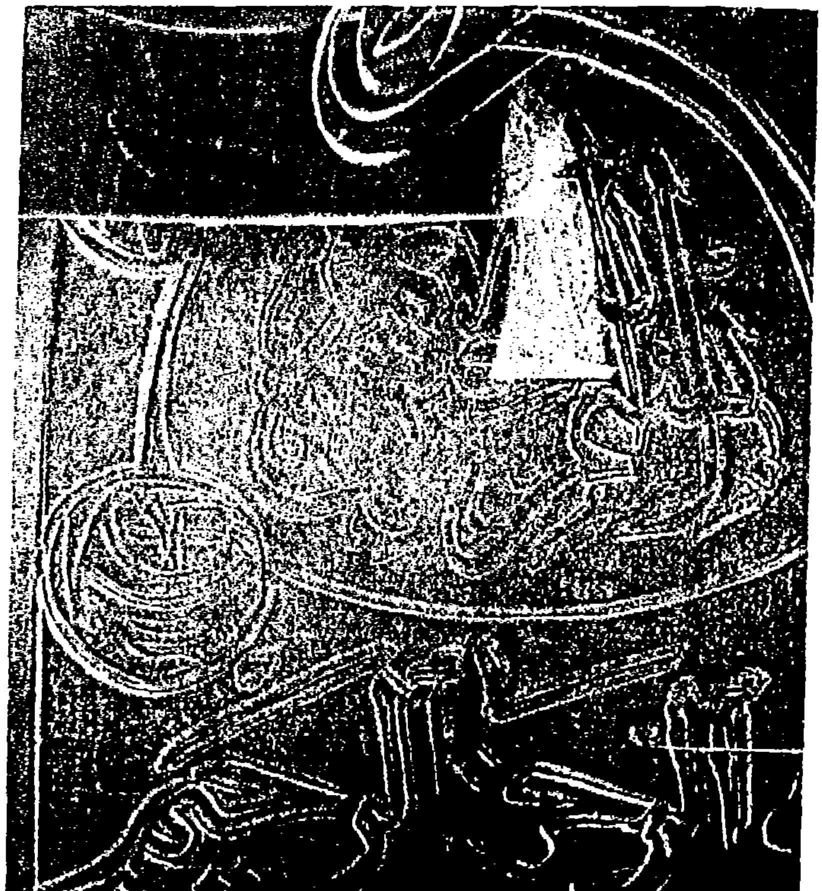
مواجهة من السلطة التنفيذية قوامها الجرأة فى الحق والحسم كل الحسم فيما يعرفون أنه العدالة ومصلحة مصر . دون خوف ودون تحسب للغوغائية والهتافات الهوجاء المجنونة الفارغة .

ومواجهة صادقة أمينة من السلطة التشريعية ، فتصدر عنها القوانين الحازمة الأمينة ، لا يراعون فى ذلك صوت ناخب مغرض ، وغير باحثين عن نفع شخصى . . فليس أقتل للرأى الحر من النفع الشخصى .

إن مصر هى البلد الوحيد فى العالم التى تعرف أدواءها وأمراضها كما تعرف دواءها ومصادر شفائها ، وتقف مع ذلك عاجزة عن تناول الدواء والسير فى طريق الشفاء . وإن الداء الأول هو تجنب الحق إلى الزيف والميل عن الطريق الأقوم حذر أقوال المخربين والهازلين والزاعقين والصارخين والفارغين وأولئك الذين يصيبون النفع من الدول والأفراد على السواء .

وإن اللّه لن يكون معهم إلا إذا كانوا هم مع اللّه ، فإنه لا يفلح إلا الصادقون المؤمنون .

❀❀❀



الخطيئــة فى عصرنا

الحطيئة فى عصرنا

أما الحطيئة فشاعر من أعظم شعراء جيله ، إذا وضعناه فى ميزان الشعر وحده . أما إذا انتقلنا به إلى ميزان الأخلاق ، فالأمر مختلف كل الاختلاف . وحتى أغنيك عن التفصيل ، أروى لك بعضا مما ذكره عنه المؤرخون .

قيل فيما قيل : إنه لقى الزبرقان بن بدر ، وهو رجل من وجوه عصره ، وسمى بابن بدر لحسنه وجمال وجهه . وقد استعمله رسول الله ﷺ على صدقات قومه ، وأقره أبو بكر فى مكانه لم يغيره . وتوفى الزبرقان أيام معاوية .

لقى الحطيئة وعرض عليه أن يستضيفه ، فرحب بذلك كل الترحيب . ولم يكن الزبرقان متجها إلى بيته ، وإنما كان فى بعض شأن له سيبعده عن داره بضعة أيام ، فكتب خطابا إلى أمه وأعطاه للحطيئة ، وطلب إليها فى الخطاب أن تحسن إلى الشاعر وتكرمه وتكثر له من التمر واللبن . وكان الحطيئة دميما لا تحترمه العين ، فلما رأته أم الزبرقان احتقرته وقصرت فى شأنه .

واهتبل أعداء الزبرقان من بنى بغيض الفرصة ، فما زالوا يغرون الحطيئة أن يترك ضيافة ابن بدر إلى ضيافتهم ، حتى استلان لهم وقبل عرضهم وراح يمدحهم .

ثم راحوا يطلبون إليه أن يذم الزبرقان وألحوا عليه حتى قال أبياته الشهيرة :

لما بدا لى منكم عيب أنفسكم ... ولم يكن لجراحى فيكم آس
أزمعت يأسا مبينا من نوالكم ... ولن ترى طاردا للحر كاليأس
ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلا ... ذا فاقة حل فى مستوعر شاسى
جارا لقوم أطالوا هون منزله ... وغادروه مقيما بين أرماس
ملوا قراه وهرته كلابهم ... وجرحوه بأنياب وأضراس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

من يفعل الخير لا يعـــدم جوازيــه   لا يذهب العـرف بين اللّه والنــاس

و لم يجد الزبرقان ملاذا يلجأ إليه من هول هذا الهجاء إلا عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه . وقد يعجب قراء هذا الجيل أن يلجأ شخص إلى أمير المؤمنين وإمام المسلمين ، وأعظم من أقام فى التاريخ عدلا ، ليشكو إليه شاعرا نال منه ببضعة أبيات .

وقد يجهل قراء هـذا الجيل أن الشعراء فى ذلك الزمان كانوا التليفزيون والإذاعة والصحافة والسينما والمسرح والندوات أيضا . وكان يكفى الحطيئة أن يقول أبياته حتى يتناقلها الرواة ، فما هى إلا أيام قلائل حتى تصبح على كل لسان ناطق بالعربية فى العالم أجمع .

فليس عجيبا أن يفزع الزبرقان إلى عمر بن الخطاب . وليس عجيبا أن يستنشده عمر الأبيات ويرويها له ، ويقول عمر :

- ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة .

فقال الزبرقان :

- أو تبلغ مروءتى إلا أن آكل وألبس ؟

فاستقدم سيدنا عمر حسان بن ثابت وسأله :

- أتراه هجاه ؟

فقال حسان :

- لقد هجاه شر هجاء .

فأمر عمر بالحطيئة فحبس ، وراح الحطيئة يكتب الشعر لأمير المؤمنين لعله أن يصفح عنه ، وكتب له فيما كتب هذه الأبيات الشهيرة :

مـاذا تقـول لأفـراخ بـذى مـرخ   زغب الحواصـل لا مـاء ولا شـجر
ألقيـت كاسـبهم فـى قعـر مظلمـة   فـاغفر عليـك سلام اللّه يـا عمـر
أنت الإمام الذى مـن بعـد صاحبـه   ألقـت إليـك مقـاليد النهـى البشـر
لم يؤثروك بها إذ قـدمـوك لهـــا   لكن لأنفسهـم كـــانت بك الإثر

وبكى عمر ، فإن عمر أواه حليم . بكى وهو يسمع : « ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ » . فقال عمرو بن العاص : « ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أعدل من رجل يبكى على تركة الحطيئة » ، وقال عمر : « ما أرانى إلا قاطعا لسانه » ، ثم قال :« علىّ بالطست » ، ثم قال : « علّى بالسكين » ، ثم عاد فقال : « لا بل على بالموسَى فهو أسرع » ، فضج الحطيئة وقال : « إنى واللّه يا أمير المؤمنين قد هجوت أبى وأمى وامرأتى ونفسى » ، وتبسم عمر وقال : « فماذا قلت » ، قال : « قلت لأبى :

فبئس الشيخ أنت لدى تميـــــم   وبئس الشيخ أنت لدى المعـــالى

« وقلت لأمى :

« تنحى واجلسى منى بعيدا أراح اللّه منك العالمينا
« أغربالا إذا استودعت سرا وكانونا على المتحدثينا
« حياتك ما علمت حياة سوء وموتك قد يسر العالمينا

« وقلت لامرأتى :

« أطوّف ما أطوف ثم آوى إلى بيت قعيدته لكاع

« وقلت لنفسى :

« أبت شفتاى اليوم إلا تكلما بسوء فما أدرى لمن أنا قائله
« أرى لى وجها شوه اللّه خلقه فقبح من وجه وقبح حامله »

فقال الذين مع عمر ، اصفح عنه يا أمير المؤمنين ، ولن يعود إلى هذا أبدا وأشاروا إلى الحطيئة أن يقول إنه لن يعود : فقال : لا أعود يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : « كأنى بك عند فتى من قريش ، قد بسط لك وسادة وكسر لك أخرى وقال ، أنشدنا يا حطيئة ، فرحت تنشده بأعراض الناس » .

ويكمل رجل اسمه ابن أسلم القصة قائلا : « فما انقضت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبيد اللّه بن عمر قد بسط له وسادة وكسر له أخرى وقال : أنشدنا يا حطيئة ، فراح ينشد بأعراض الناس ، فقلت له : أتذكر قول عمر : ففزع وقال : « يرحم اللّه ذلك المرء أما إنه لو كان حيا ما فعلت » .

ولعلك اليوم تسألنى فيم رويت لك ما رويت ؟ وما تذكرى لشاعر من شعراء صدر الإسلام ؟ وإنى لأسمح لنفسى أن أسألك أنت : ألم يذكرك ما رويته عن الحطيئة بما تراه اليوم ؟ إننى فى زمان الحطيئات فيه ملء الدنيا . لو كنت بعيدا عن مجالات الصحافة والمجالس التشريعية ، فإنك لن تعرف ما دفعنى إلى رواية ما رويت ، وإلى قول ما أقول عن الحطيئات ، وهو جمع لا أدرى مدى صحته للحطيئة .

إنى أرى بعينى كثيرا من الذين يكتبون فى الصحافة يهددون كل من بيده مسئولية ، سواء كان ذا شأن فى التليفزيون أو الإذاعة أو المسرح ، إذا هو لم يستجب لما يفرضونه عليه من أعمال هزيلة حقيرة تافهة شائنة لهم أو لأصدقائهم أو لمن يقدم لهم الرشا . فإنهم سيشهرون به ويرصدون أعمدتهم الغليظة ، وأقلامهم الخائنة لحربه واختلاق السوء عنه ، إذا لم يجدوا من الحقيقة ما يسعفهم . ولقد رأيت رأى العين المسئولين وهم حيارى لا يدرون ماذا يصنعون إذا هم قبلوا ما يفرضه عليهم هؤلاء السفاحون من حملة أقلام حطيئة الذليلة .

قدموا للناس أعمالا غثة تثير عليهم ثائرة الناس وغضبهم . وإذا هم رفضوا ، خرجت عليهم الأعمدة الثقال تتهمهم بالحق وبالباطل ، وتلقى عليهم ظلالا كثيفة من شكوك ،

وتختلق عنهم الأكاذيب ، وتشوه أمام الناس صورهم بلا حسيب من ضمير أو وازع من شرف .

وقد أرى ما هو أدهى من ذلك وأشد وطأة ، حين أجد الأسئلة والاستجوابات وطلبات الإحاطة تنهمر على الوزراء من أجل مطالب شخصية .

فأين المفر ؟

وأين لنا بعمر بن الخطاب ؟

بل لقد أحسب أن عمر ، وهو عمر ، إذا عاد لعجز عن مواجهة هذه الأزمة الأخلاقية الطاحنة ؟ ومالى لا أظن هذا الظن وأنا أذكر ما كان من أمر عمر بن عبد العزيز حين سأله أستاذه فى خطاب أرسل به إليه :

« ماذا تريد أن تصنع بعدلك الناس ، هذا الذى تفرضه على الناس ؟ »

فقال يرد على خطابه :

« أريد أن أكون مثل جدى عمر بن الخطاب » .

فكتب إليه أستاذه يقول « لن تستطيع ، وإذا استطعت تصبح أعظم من عمر بن الخطاب نفسه ؛ لأن الذين حول عمر كانوا يعينونه على هذا العدل ويؤيدونه ويؤازرونه . أما أنت فإن الذين حولك سيمنعونك ويحاربونك ويقاتلونك وقد يقتلونك » .

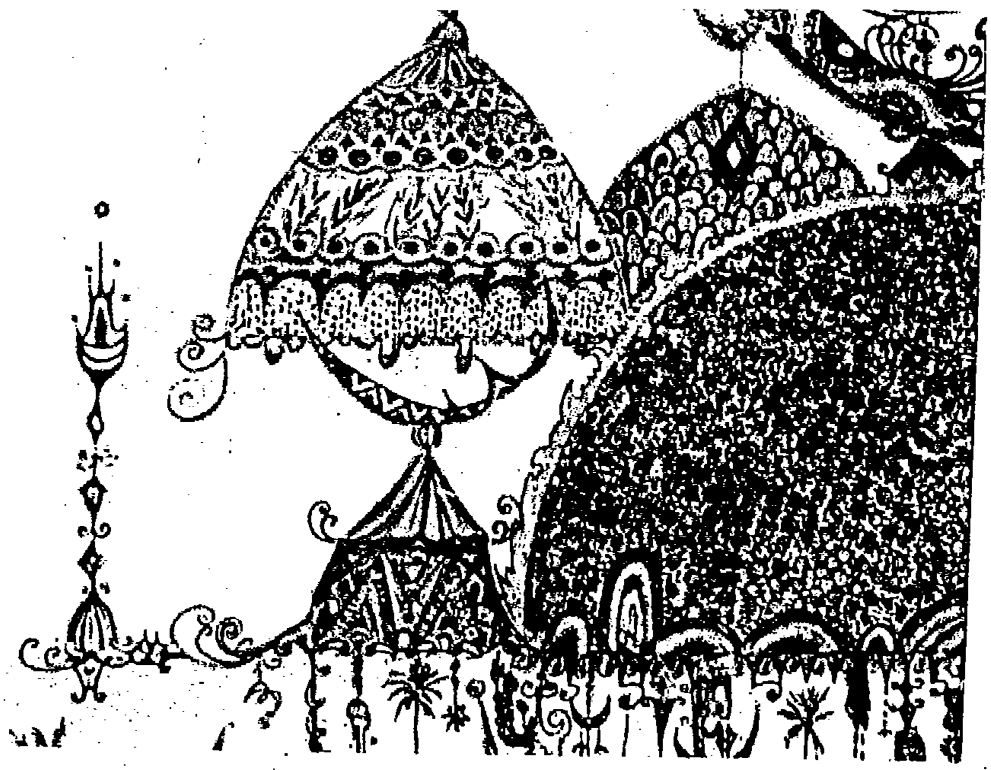
وصدق حدس الأستاذ وقتل عمر بن عبد العزيز قبل أن يتم سنتين فى حكمه . .

ويل لنا إذن من زماننا ، وقد أصبح حملة الأمانة هم حملة الظلم والابتزاز .

وأراك تسألنى عن أمل ، وأرى نفسى تبكى وقد تمزقت . ليس من أمل إلا فى وجه اللّه . وإن سألتنى فلماذا أكتب ، فإننى مجيبك أننى أكتب لأننى لا أملك وسيلة إلا أن أشكو العاتية إلى نفسه ، لا أرجو أن يثوب إلى فضل من نبالة ، وإنما أرجو أن يعلم أن أمره ليس على الناس سرا . وما هذا بنافع أيضا ولا شافع ، فإن الذى يعتو لا يُعنيه فى شىء أن يظهر أمره للناس . ثم هو يتحصن منى ومن غيرى بأننا لا نملك الدليل . فالتهديد غير مكتوب فى عقد مشهر ، وإنما هو كلمة تقال فى السر ، فإذا لم تصب من الذى هدده مواطن خوف وفزع نشر المبتزما عنّ له من هجوم ضار ، وأعلنه على الناس ، وصوره لهم على أنه رأى برىء من كل غرض ، بعيد عن كل غاية .

والنتيجة كما نرى : إعلام هابط ، واقتصاد مذعور خائف ، وعصر مرتعش واجف .. وحسبنا اللّه وحده فإنه نعم الوكيل .

❀❀❀



الكاتب وإبليس

الكاتب وإبليس

أقرأ فى كتاب الأجوبة المسكتة ، وقد وجدت فيه حوارا أعجبت به غاية الإعجاب ، فقد كان الحجاج يستعمل كاتبا له اسمه أبو العلاء يزيد بن أبى مسلم . وكان من شأن الكاتب أن يكون موضع سر الأمير الذى يعمل له ، وكان من الطبيعى أن يكون مقربا إليه أثيرا يعرف خاصة شأنه ، وكان من الطبيعى أيضا أن يكون الكاتب ذا شفاعة مقبولة .

والحجاج بن يوسف الثقفى من أكبر عتاة التاريخ ، ومن أعظمهم ارتكابا للمظالم . ولعل تاريخ العرب لم يعرف فى عصوره الأولى - وليس فى العصر الحديث — طاغية فى مثل طغواه ، وله فى الجبروت والفجور أحداث وأحداث حسبك أن تعلم منها أنه وهو المسلم هاجم الكعبة واستباح حرمتها ليحارب عبد الله بن الزبير ابن أسماء ذات النطاقين ، وكانت على قيد الحياة ، حين اقتحم الحجاج الكعبة وأسر عبد الله ابن الزبير وقتله وعلقه مقتولا إمعانا منه فى التمثيل به .

ولو مضينا فى الرواية عن جبروت الحجاج ما وقف بنا القلم ، فلنتركه جانبا فإن أمره شائع ذائع لا يحتاج إلى مزيد من تفصيل .

ومات الحجاج لأنه إنسان مهما يبلغ به البغى أقصاه فهو يموت ، وهو لا يستطيع أن يخرق الأرض أو يبلغ الجبال طولا . وزعموا أنه قال وهو يموت : « اللهم اغفر ، فقد زعموا أنك لا تغفر » وهكذا أقر بكفره وهو يموت أيضا ، فمهما يكن فجوره فهو يعلم أن الله يغفر الذنوب جميعا ، إلا أن يشرك به .

ولا تقتصر أنواع الشرك على القول وحده ، بل إن ألوانا من الشرك أبشع وأفدح ، فحين يشارك إنسان الله فى ملكه فيقتل فى غير ذنب ، ويعذب دون سؤال ، ويندفع فى الحياة إعصارا من الهول الوبيل ، يصبح مشركا بالقول والفعل جميعا . لمثل هؤلاء تفتح

جهنم أبوابها ، ومهما يحاول الحجاج أن يوقع بين الله وعباده فإن الله مبطل مكره ، فهو من يعرف خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

مات الحجاج إذن وجرى عليه ما يجرى على كل بنى آدم .

وتولى بعد فترة سليمان بن عبد الملك الخلافة ، وكانت قد أصبحت أشبه بالملك منها بالخلافة . وأراد سليمان بن عبد الملك أن يتخذ كاتب الحجاج أبا العلا كاتبا له ، وأراد أن يحتضنه ويقربه إليه ويصبح كاتم سره وأمين عرشه ، والكاتب حين ينال هذه المكانة يصبح ذا شفاعة عند الملك مقبولة ، وذا رجاء مجاب ، ومن كان هذا أمره استطاع أن يكون عاصفة ضارية فى شتى مجالات الحياة .

ولعل هذا الحوار الذى أنقله إليك يعيننى على تفصيل ما أجملت ، حين أراد عبد الملك أن يختار ذلك الكاتب ويحتضنه ، عارضه فى الأمر خامس الخلفاء والمثل الأعلى فى العدالة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، ولم يكن قد ولى الخلافة بعد بطبيعة الحال ، وقد نصحه بالعدول عن أبى العلاء ذاك ، وقال له :

ـ أناشدك الله يا أمير المؤمنين ، ألا تعيد ذكرى الحجاج بن يوسف ، وتحيى سيرته باستكتابك كاتبه ، وجعله أمين سرك .

فقال له أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك :

ـ يا أبا حفص ، إنى كشفت عنه فلم أقف له على خيانة ، هو لم يسرق فى أيام الحجاج دينارا ولا درهما .

فقال أبو حفص عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : أنا أدلك يا أمير المؤمنين على من هو أعف عن الدرهم والدينار من كاتب الحجاج .

فقال أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك :

ـ من هو يا أبا حفص ؟

فقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه :

ـ هو إبليس ، لقد أهلك الحرث والنسل وأشاع الضلال والفساد فى الأرض ولم يلمس درهما ولا دينارا .

فقال سليمان بن عبد الملك :

ـ لقد تركناه بعد أن لزمتنا الحجة .

وإلى هنا ينتهى الحوار الذى نقلته نقلا يكاد يكون حرفيا عن كتاب الأجوبة المسكتة ، ورحت أفكر فى الأمر . .

إذن فالكاتب الفاسد الضمير بجانب العاتية معدوم الضمير أشد هولا على الناس من إبليس وهو إبليس ، فإبليس واضح المعالم جلى السمات . قال سبحانه وتعالى فى سورة الحجر : ﴿ فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، إلا إبليس أبى أن يكون مع السّاجدين ، قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين ، قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون ، قال فاخرج منها فإنك رجيم ، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين ، قال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون ، قال فإنك من المنظرين ، إلى يوم الوقت المعلوم ، قال رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ . صدق اللّه العظيم . .

فإبليس إذن واضح مع نفسه ، أخذ على نفسه العهد أن يغوى الناس ، ويحيد بهم عن الصراط المستقيم ، وهو فى حضرة رب العرش ، وقد أنظره سبحانه وتعالى وأمهله إلى يوم البعث بمشيئة إلهية ، فما من شىء فى الكون يحدث إلا بمشيئته سبحانه . فإبليس إذن يقوم بالعمل الذى رصد نفسه له منذ أبى أن يسجد لآدم مع الساجدين .

أما الكاتب المخادع فهو شر من إبليس ، وأشد وبالا لأنه حين أصبح كاتبا إنما أصبح كذلك بثقة أولاها إياه القراء ، وبهذه الثقة أفسحت له الصحف صدورها ، وبما هذه الثقة قد يختاره السلطان ليكون كاتبه وكاتم سره ونجيه ، وهو — لاشك — سيسأله المشورة ، فإن لم يكن بعيدا عن الهوى ، يخلص السلطان الرأى ويقدم له النصح بعيدا عن الغاية ، بريئا من النفع الشخصى نقيا من الغرض ، فهو إذن كارثة لا مثيل لها ومصيبة لا دافع لأهوالها .

وحين يقترب الكاتب من السلطان ويصبح قربه منه شهيرا بين الناس معروفا ، يصبح لكتاباته وقع آخر غير الواقع الذى يثيره الكتاب الآخرون عند عامة الناس من القراء ، بل وعند الخاصة أيضا .

وحين يشتهر قرب الكاتب الذى خلا من الحياء ، والذى تجرد من الضمير يصبح موئل نفاق عند الناس ، وتصبح كل مطالبه مجابة ، بل هى قد تصبح أوامر لا تقبل المراجعة ، فالحاكم الطاغية يصبح كل من حوله طغاة ، والكاتب فيهم هو أوسعهم طغيانا وأبعدهم فجورا ، لأن صلته بصاحب السلطان معلقة بكل وسائل الإعلان ، وهو أيضا يعمل بكل جهده على إذاعتها حتى لا يصبح أحد فى العالم جاهلا بها .

وهذه الصلة فى عصرنا الحديث جسور ممتدة إلى جميع أنحاء العالم ، فوسائل الإعلام فى كل مكان يهمها أن تنشر كل ما يتاح لها عن رؤساء الدول ، فإذا وقعت على كاتب محترف كان لصيقا كل ملتصق برئيس دولة . فهذا الكاتب طلبتهم وبغيتهم ونشيدتهم

وهدفهم ، يوسعون له مجالات النشر ويغدقون عليه الأموال إغداقا لا يمكن أن يتاح لهذا الكاتب ، لولا هذه الصلة الحميمة من رئيس الدولة .

ولما كانت الطيور على أشكالها دائما تقع ، فإننا نجد الطغاة يختارون أصفياءهم وكتابهم وذوى الرأى عندهم وأصحاب المشورة من المنافقين حتى لا يعارضوا ، ومن السفلة حتى يحمدوا الظلم ، ويمجدوا الأخطاء ، ويحمدوا الجرائم ، ويباركوا ألوان الخسف والجبروت التى ينزلها الطاغية على عباد اللّه . ومن الحتم أن تكون هذه البطانة من الذين لا يؤمنون باللّه ولا بالآخرة ، لأن المؤمن باللّه يخاف عقابه ، والمؤمن بالآخرة يخشى نيرانها وجهنمها وبئس المصير .

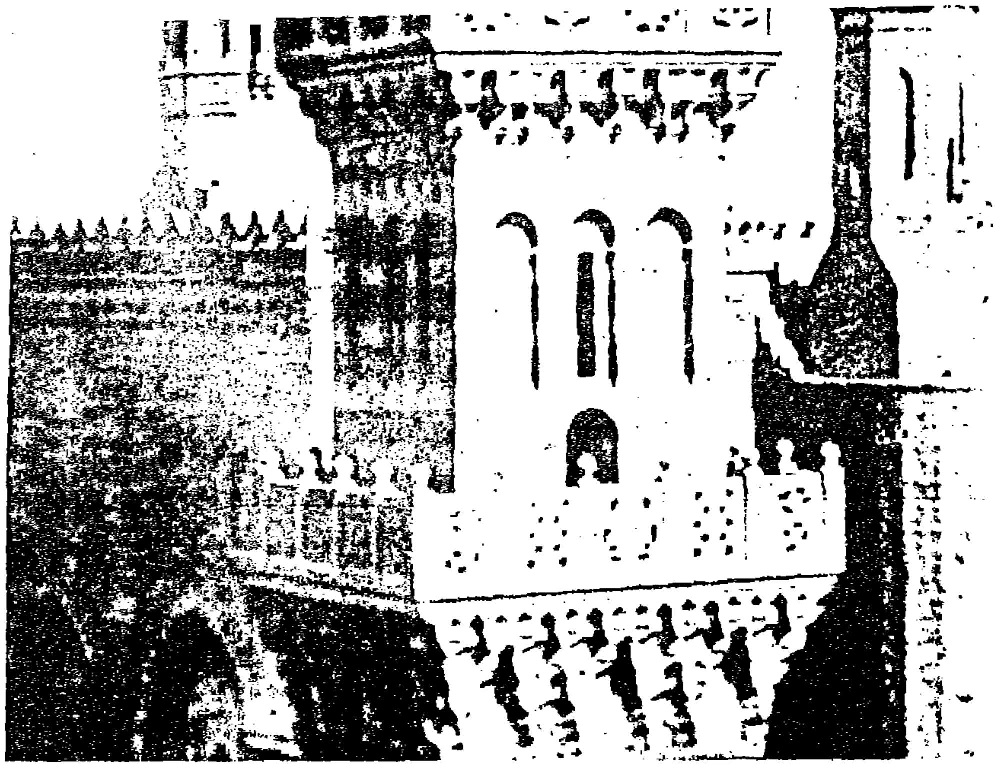
وهكذا ترى أن الكاتب المعدوم الضمير شر من إبليس ، لأن إبليس أعلن أنه سيغوى الناس ، بينما الكاتب المنافق يعلن للناس أنه سيرشدهم إلى الحق ، ثم يروغ به إلى الباطل . ويقول لهم فى العلن أنه سيقدم إليهم الهداية ، ثم ينحرف بقرائه إلى الغواية .

فما كان أعظم عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه حين نصح سليمان بن عبد الملك ألا يتخذ كاتب الحجاج كاتبا له ، لأن هذا الكاتب الذى استخلصه الحجاج لنفسه طالما مدح الطغيان ، وهون الجبروت ، وجعل من فجور الحجاج فخرا ، ومن ظلمه عدلا ، ومن قبحه جمالا ، ومن كفره إيمانا .

ومثل هذا الكاتب ، إذا كان سليمان بن عبد الملك اختاره وختم له بالوظيفة ، لأمسى وبالا عليه ، ولجعل الناس يتوقعون من سليمان بن عبد الملك حجاجا آخر ، مسلطا على أقدارهم وأرزاقهم وكراماتهم وحريتهم وحياتهم .

ما أعظم عمر بن عبد العزيز خامسا للخلفاء الراشدين ! وما أعظمه وهو بعد لم يصبح أميرا للمؤمنين !

❀❀❀



وإنها لكبيرة

وإنها لكبيرة ...

ومن عجب أن أقرأ لأساتذة أجلهم وأقدرهم ... أن بعض الناس يخافون على الإسلام .. ويحهم هؤلاء الخائفون ألا يعقلون .. ماذا يظنون بالإسلام .. إنه أعظم أديان العالم .. إنه المعجزة الوحيدة من معجزات الأديان كلها ، التى بقيت خالدة على الزمان .. إنه الدين الذى ارتضاه اللّه للبشرية جميعا ، وفى كلمات كريمات ، يعلن اللّه فيها أن المشركين الكافرين قد يئسوا من ديننا فلا خشية منهم ولا خوف .. اقرأ قوله تعالى فى الآية الثالثة من سورة المائدة : ﴿ اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون . اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ فمن هؤلاء الذين يخشون على الإسلام وما شأنهم ؟ وكيف يجوز لهم أن ينصبوا أنفسهم حراسا على الإسلام واللّه من فوق سبع سماوات ، ومنذ ألف وأربعمائة سنة ، يعالن المسلمين جميعا من أبناء عصر التنزيل ، إلى يوم القيامة أن الكافرين قد يئسوا من ديننا ، وأن سعيهم فى محاربته قد خاب وأكدى وفشل ، وأن على المؤمنين أن ينبذوا أمرهم نبذ النواة ، فلا تنشغل أفئدتهم إلا بخشية اللّه .

فمن هؤلاء الذين يخشون على الإسلام ؟ وبأى منطق أو عقل يخشون .. واللّه هو الحفيظ للإسلام ، وهو الذى ثبت دعائمه وأرسى قواعده ورفع بناءه ، وأعلى صوته يجوب الآفاق والسنوات والتاريخ ، منبعثا منذ ألف وأربعمائة عام فى أسماع التاريخ والزمن والأجيال والأحقاب والناس ، يصدع مناوئيه ويمحق محاربيه ، ويبقى بأمر « كن » من خالق الأكوان ، وتعلو الكلمات القدسية الإلهية على الأيام والأحداث والمرجفين والكفار الملحدين ، فإذا هى تذهب بريحهم ، وتدمر تدبيرهم ، وتمحق كيدهم ، وتبيد ما يمكرون ، وتدحض حجتهم ، وتنقض غزلهم أنكاثا ، وتفرى كبودهم

كمدا وغيظا وهوانا . ولم لا والله من فوق سدرة المنتهى ، ومن عرشه ورفيع سماواته يقول : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

كانت عندما حملها النبى ﷺ كلمة ربانية ، ووعدا للمسلمين ، ووعيدا للكافرين . وهى اليوم حقيقة اكتملت ، ووعد تم إنجازه ، ووعيد حاق بالكافرين وأحاط بهم فما لهم عليه من سبيل .

فمن هؤلاء الذين يخشون على الإسلام ، وما قيمتهم عن الإسلام ؟ وماذا شأنهم بدين أئمة الله ؟ وأمر المؤمنين ؟ ألا يخشوا عليه بعد يوم مر عليه ألف وأربعمائة عام . وما هم؟ ألا ما أهون حرصهم وما أجدرنا أن نسخر منه ؟ أيخشون هم على دين نزل الله ذكره ، وتعهد هو بحفظه حتى تقوم الساعة ؟ وقد فعل ، وهو من بعد فاعل ، بما كتبه على نفسه عز وعلا .. إن القرآن معجزة السماء الباقية والتى ستبقى ..

فمن هؤلاء الذين يخشون على الإسلام ؟

إن الإنسان لا يخاف إلا من قادم الأيام وقابل الأحداث . أما الماضى فقد وقع ، وقد نشقى به ، ولكننا أبدا لا نخشاه ، ولن نخافه ، فإنه لا يستقيم فى العقول أن يخشى الإنسان مما حدث فعلا ، إلا إذا كانت آثار الماضى لم تتم فصولا ، وكان لها فى خفايا المستقبل آثار وعقابيل ... فأين هم إذن من الإسلام ؟

إن الإسلام واقع تم ، وحاضر شاهق عميق عريق الأصول ، ثابت الرواسى ، رفيع الهامات رأسه فى السماء .

هكذا كان .. وهكذا هو الآن . وهكذا هو فى المستقبل بأمر من الله تم نفاذه على مدى أربعة عشر قرنا ، ويتم نفاذه إلى يوم يبعثون . ويوم يخالجنا فى ذلك خلجة من شك نصبح أبعد ما نكون عن الإيمان بالله الواحد القهار الحق الصادق ، فهو دائما وإلى الأبد منجز وعده . وإذا كان المسلمون فى عهد النبوة قد آمنوا به سبحانه منجزا للوعد بوحى من إيمانهم وحده .. فإننا نحن أبناء هذه الأيام التى تتسلم القرن الخامس عشر من أيام الإسلام ، نؤمن بقوله سبحانه لأننا مؤمنون أولا ، ثم لأننا شهدنا الوعد منجزا قد أصبح حقيقة ثابتة رأيناها وعاصرها التاريخ على مدى ألف وأربعمائة عام ، وما زلنا نحن نعاصر الذكر الذى نزله الله والذى أعلن سبحانه ووعد أنه له حافظ فقد حفظه فعلا . وها نحن أولاء نقرأ الذكر فى صباح ومساء وظهيرة وأصيل وعند غروب ، ويقرأه معنا أبناء كوكب الأرض فى كل الآفاق . بل إن صاعدا إلى القمر يسمع الأذان هناك فوق القمر ويعلن .. سيظل الإسلام ثابتا على الأيام شامخا عاليا رفيعا حصينا يكلؤه ويرعاه ويحفظه ويحميه الخالق . وكفى به حافظا ..

(وبالحق نزل)

فمن هؤلاء الذين يخشون على الإسلام .. ؟

ما أشبههم بشخص متخلف العقل ، غائب الفهم ، يذهب إلى حصن تحميه القنابل الذرية والطائرات الحربية والمدافع الثقيلة والقادة الحربيون الشداد ، ويقف هو ومعه خنجر من صفيح صدئ ويصيح ؛ أنا أحمى هذا الحصن .. !

وأعجب ما أعجب له أنهم يدعون أنهم يخافون على الإسلام من الغزو الحضارى .. ! خسئتم ما أنتم وما تدعون .

إن الإسلام هو قمة الحضارة ، وهو الذؤابة العليا من الإدراك الرشيد السليم ، وما كل هذا التقدم الحضارى إلا أسرار الكون العليا ، هى عند الله ، يتيح كوامن خوافيها للبشر حينا بعد حين .

إن العلماء فى أنحاء العالم أجمع لا يخلقون قوة ، وإنما يكشفونها فقط . ثم هم لا يعرفون سرها ، ولا يدرون من الذى أودع فيها خواصها ، إلا أن يقولوا : هو الله جل وعلا وتباركت آلاؤه .. ويصيح بهم القرآن والمسلمون : ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان؟﴾ ..

إن الغاز الذى اخترق به الإنسان طبقات الجو العليا ، وبلغ به القمر ، من صنع الله وليس من صنع البشر ، وصل الإنسان إلى سره وركب مكوناته من عناصر هى من خلق الله وليست - وما كان لها أن تكون - من صنع البشر . فما الحضارة فى أسمى مراقيها وأعلى مراتبها إلا قوة كونية .. الله هو خالقها كما خلق كل شىء ، وهو وحده من أذن للإنسان أن يصل إلى أسرارها وخوافيها بأمر « كن » منه ، وحين أراد هو ولحكمة لا يعلمها إلا هو .

وإن الذى أودع الروح فى الإنسان وجعله سيد مخلوقاته هو وحده الذى خلق كل عناصر الحياة : من غاز إلى نبات إلى حيوان إلى دواب . وما الإنسان العالم إلا أداة شاء الله فى كرسيه الأسنى أن يتيح له سرا من أسراره ، وخافية من وسيع علمه ، وقبسة ضئيلة من أنواره العلوية كانت مستسرة عن العلم فأعلنها .. وكانت فى مطوى علمه وأذن لها أن يعرفها الناس ..

فمن هؤلاء الذين يخشون على الإسلام .. ؟

إنهم قوم سمحوا للملحدين أن يفرضوا أنفسهم على صحفنا ، ويتكلموا مقارنين بين العلم والدين ، وكأنما العلم أصبح مستقلا عن الدين ، أو كأنما العلم كافر والعلماء ملحدون .

إن هذه الحجج الواهية التى يصطنعها الشيوخ الأجلاء لا تصلح أن تستر ما ينبغى أن يتصدوا له من هذا العبث المجرم السفاح ، الذى يلهو به فتية لم يؤمنوا بربهم ، وإنما آمنوا كل الإيمان بدنياهم وبالأموال التى تنهمر عليهم انهمارا من أعداء مصر وأعداء الإنسانية وأعداء الدين قبل كل شىء .

إن المشايخ الذين يدعون أنهم يخافون على الإسلام إنما يخافون على أرواحهم ، والله على ما أقول شهيد ..

أين أيها المشايخ المصابيح الإسلام من فتية مخابيل يطلقون الرصاص الأحمق على من يريدون ومن لا يريدون ؟

أين أيها المشايخ الإسلام من فتية يريدون أن يروعوا الأمن والطمأنينة فى الحياة ، وأن يقضوا مضاجع السكينة والاستقرار فى مصر .

أين أيها المشايخ الأجلاء الإسلام من عابثين كفرة يرفعون شعائر الإسلام لافتة كاذبة، ويقتلون كل ما هو كريم شريف فى حياتنا من أمان ؟

أين الإسلام من القتل .. والله يحكم أن من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ..

أين الإسلام من الذين يثيرون الفتن ، والله يحكم أن الفتنة أشد من القتل .

وأين الإسلام من قوم مالوا عن طريق الله إلى طريق الرشوة والضلالة ، وعملوا على حرق الوطن بأموال أعدائه ورصاص الحاقدين عليه ..

لا .. ما على الإسلام خفتم ، ولكن على حياتكم ، وإلا فأين أنتم ؟

أين فتاواكم .. وأنتم تنثرون الفتاوى كل يوم فى ضامر الأمور وهزيلها ، وفى أحقر ما يمر بحياتنا اليومية . وأشهد الله أن كثيرا منكم يعتسف الفتوى اعتسافا ، ويختلقها اختلاقا .

فما لكم لا تفتون فى الذين يقتلون الناس ظلما وعدوانا وبهتانا وزورا وإفكا وضلالة.. ؟

أين فتاوى مصباح الألف عام .. أزهرنا الشريف .. أين رجاله الأكرمون .. أين علمهم الوضاح .. أين فتواهم فيما تحاول هذه الفئة الضالة أن تصنع بمصر ؟؟

وبعد هؤلاء ..

أين الحزب الوطنى ؟

أتراه يحسب أن دعايته للرئيس محمد حسنى مبارك هى التى ستجعله يفوز فى الانتخابات ..؟ لا وحق الإله الأعظم !

إنما الصلة بين مبارك والشعب صلة مباشرة لا يد للحزب فيها ولا فضل .. بل إننى أعتقد اعتقاد يقين أنه سينجح رغم دعاية الحزب له وليس بسبب دعاية الحزب له ..

إن الشعب المصرى لم يحب زعيما واستمر على حبه له فى الزمن الأخير قدر حبه لذلك الرجل . والشعب لا يعرف عنه إلا كل ما يزين الرجال ويرفع قدرهم .. الشرف عند الوعد .. والتعفف كل التعفف عند أى مغنم .. يمر باللغو فلا يمر إلا كريما وإن خاطبه الجاهلون قال سلاما ..

وقد أعطى الشعب حبا .. والشعب من طبائعه الوفاء .. فكيف لا يكافئه حبا بحب وإعزازا بإعزاز وإكراما بإكرام .؟

بأمر من الله الذى يطيعه حسنى مبارك ، ولا يخرج فى أى فعل له عن طاهر ساحته ، سينجح حسنى مبارك ..

على الرغم من دعاية الحزب ..

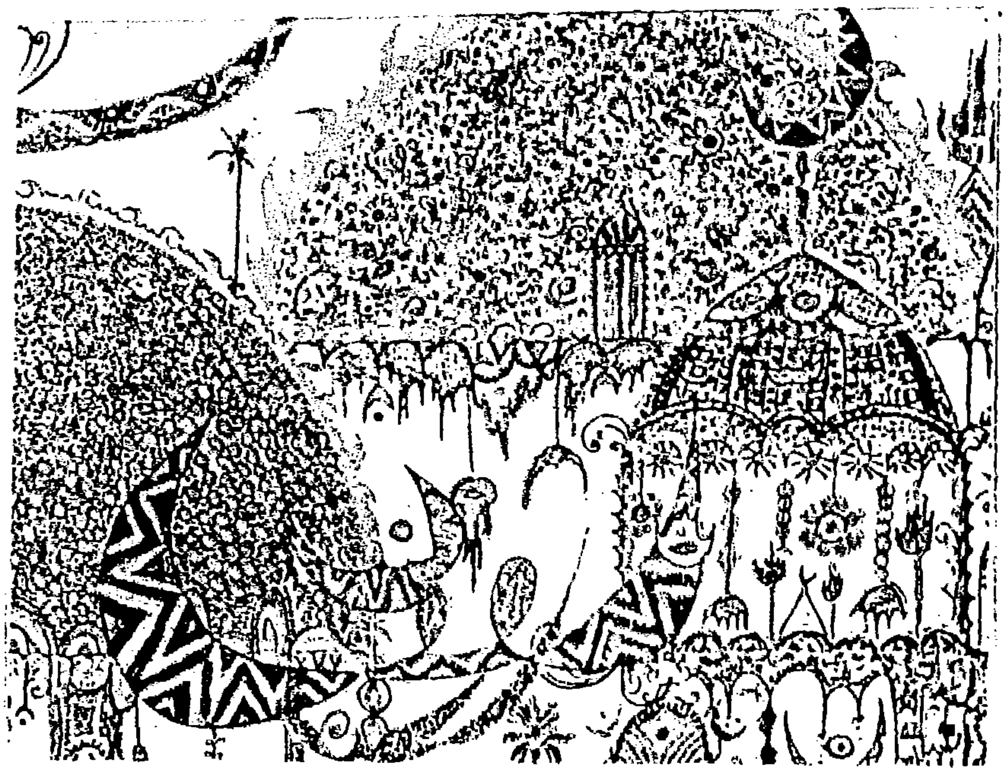
فما للحزب لا ينصرف إلى صنع مبادئ ، يلتف حولها الشباب ، حتى لا يجتذب الأبرياء منهم كل ضليل محتال أفاك لص من شيوعى ملحد أو من إرهابى يدعى الإسلام..

أيها المشايخ ... فى هذا فاكتبوا ، أو فاقبلوا منا أن تثور حولكم بنفوسنا ما يثور من صفات نجلكم أن نذكرها .. ولكننا مع ذلك لا نستطيع أن نقمعها فى نفوسنا .. !

ويا أيها الحزب الوطنى ، بهذا فانشغل ، أو أنك لا شغل لك ، فإنه لا أحد يجهل أن الحزب يعتمد فى كيانه ووجوده وانتخاب الناس له على حسنى مبارك . .

فإذا كان الناس ينتخبون الحزب من أجل مبارك ، فكيف يسوغ فى العقول أن ينتخب الناس مبارك من أجل الحزب .. إنما الحزب إما أن يكون صاحب مبدأ واضح ، أو هو بلا وجود إلا كيانا مؤقتا لا يدوم . والله يوفقكم ويرعى خطاكم إذا أنتم على الطريق وضعتم خطاكم ..

❀❀❀



في هذا فاكتبوا أو فاصمتوا

فى هذا فاكتبوا أو فاصمتوا

طالعتنى جريدة إسلامية بمقالين متتاليين لفضيلة الأستاذ الدكتور عبد الغنى الراجحى ، فقرأت عجبا ، فما حسبت يوما أن يحتاج كلامى إلى من يشرحه لقارئ ما ، فكيف بى وأنا أرى ما كتبت يستبهم بل ويستغلق على شيخ جليل القدر .. أستاذ الدراسات العليا بجامعة الأزهر .

يقول الأستاذ فى بداية مقاله الثانى : « تناولنا فى حديثنا السابق مع الأستاذ ثروت أباظة الرد على ما زعمه من أن الحدود الإسلامية عقوبات فيها قسوة ، وباالإسلام لا يجوز أن يكون فيه قسوة » ، وأكتفى بهذا ، وأطرق محتسبا رب العرش العظيم فهو وكيلى ، وأنعم به حسبا ووكيلا .

وأعوذ بالله من سوء التأويل والادعاء علىّ بغير ما قلت . من أنا حتى يتهم حدود الله بالقسوة ، حنانيك أيها الشيخ الجليل ، كيف جاز عندك أننى أناقش الحدود ، وهى حدود الله فى محكم كتابه وفى كريم تنزيله ، الذى نزله بالحق وبالحق نزل .

فرق كبير بين أن أقول إن العصر الذى نعيش فيه عصر تخلف عن حدود الله ، ونكص عنها وبين أن أناقش الحدود فى ذاتها .

أنا حاولت أن أناقش محاولة تطبيقها بين أقوام لا شرف عندهم ، ولا ذمة ولا ضمير ولا خلق ، وضربت بالملوك والخلفاء مثلا ، واستثنيت الأئمة الهداة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وعمر بن عبد العزيز .

فكيف جاز لك يا سيدى أن تتصور أننى أناقش الحدود وهى حدود الله ، وإنما كل خشيتى من أقوام يطبقونها فيميلون بها عن العدل إلى الجور ، وهؤلاء سيزعمون أنهم يطبقون الحدود الشرعية ، بينما هم يحتالون بها ليحققوا مصالحهم الشخصية ، فيصيبون بالحدود خصومهم فى الرأى ويعفون منها منافقيهم والسائرين فى مواكبهم . هيهات ، هيهات ، وأنا المؤمن شديد الإيمان أن أجرؤ على حد من حدود الله ، فوالله الذى لا إله إلا هو ما خفت إلا من بشر لا شرف عندهم ولا ذمة ولا خلق يحرفون كلام الله - جل وتعالى - عن مواضعه ويجعلون منه أداة ظالمة جائرة لحكم ظالم جائر .

فأنا يا سيدى أوافقك فى كل كلمة شرحت بها حدود اللّه ، ولكن اسمح لى أولا أن أروى إليك قصة عمر بن عبد العزيز التى رويتها عدة مرات ، و لم أر لها أثرا فيما يساق من حجج فى الرد علىّ . .

أرسل أستاذ عمر بن عبد العزيز إليه وهو خليفة يسأله : « إلى أى هدف تقصد بكل العدل الذى تقيمه ؟ »

فرد عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه قائلا : أريد أن أكون مثل جدى عمر بن الخطاب ، فأرسل إليه الأستاذ يقول « لن تستطيع .. وإذا استطعت ، تكون أعظم من عمر ، لأن الذين كانوا حول عمر كانوا يعاونونه على العدل ، أما الذين حولك فسيحاربونك على هذا العدل، وسيقتلونك إن أصررت عليه » . وصدق حدس الأستاذ، وقتل عمر بن عبد العزيز و لم يكمل سنتين فى الحكم .

فالناس إذن هم العامل الأساسى فى تطبيق الحدود ، وبتلك الحدود التى لا يجوز للبشر أن يناقشوها حكم الخلفاء الأربعة وتبعهم خامسهم ابن عبد العزيز ، فكانوا عدلا حيث حكموا ، وكانوا مقسطين غير قاسطين ، شرفاء غير ظالمين .

وبكتاب اللّه وحدوده التى لا يأتيها الباطل من أى جانب لها ادعى خلفاء لا حصر لهم ولا عدد أنهم حكموا ، فكانوا جورا حيث حكموا ، وكانوا وبالا على الإسلام والناس جميعا .

هذا يا مولانا ما أناقشه ، وحاشاى وأستغفر اللّه العلى القدير أن أجرؤ على التفكير فى مناقشة حدوده ، وهى حدوده . إنما أناقش الزمان الذى نحن فيه .. ولا أناقش ولا أجرؤ أن أفكر فى أن أناقش كتاب اللّه الباقى الخالد من الأزل وإلى الأزل . فكل ما كتبته يا سيدى لم يكن له بالنسبة لى أى داع ولا أحب أن أقول عنك - وأنت الفقيه الذى يفترض فيه أنه محقق لا يكتب كلمة إلا بعد أن يضعها فى ميزانها الدقيق - إنك ظلمت و لم تنصف ، وجرت و لم تقسط ، وتجاوزت و لم تعدل .

واسمح لى يا سيدى أن أورد بعضا مما كتبت واسمح لى أن أناقشك فيه .. وما أظن أننى إذا ناقشتك أكون قد جاوزت مكانى . أليس تفسير الحدود والتشريع جميعا ظل مطروحا على أهل الفقه منذ مئات السنين ؟ فما البأس به أن أناقشك ولو على سبيل الاستفتاء ، ومثلى والناس جميعا من حقهم السؤال ومثلك والفقهاء من إخوانك عليهم جميعا أن يفتوا بما يعرفون إذا عرفوا ، أو بالقول إنهم لا يدرون ، فإنه قيل : من قال لا أدرى فقد أفتى .

أليس للشيخ الإمام محمد عبده رأى فى فوائد البنوك ؟ ومالى يا مولانا ألا أحترم رأى الإمام، وهو الإمام .

دع عنك هذا وبنا إلى الفقرة التى وردت فى بعض ما كتبت ، قلت يا مولانا بالحرف الواحد : « إنه كما تنزل العقوبات الدنيوية بالناس للمعاصى يقترفونها وللإعراض عن هدى اللّه الذى أنزله ، فيغير اللّه تعالى نعمه عليه من العزة والكرامة والقوة والسعادة إلى الذلة والمهانة

والضنك والشقاوة ، فكذلك فى المقابل بسبب الطاعات والالتزام بهدى اللّه وأحكامه ، تهبط عليهم الرحمات ويرفع اللّه عنهم الضنك والعيش المهين والحياة الرديئة».

وأكتفى بهذا منك وأسألك يا مولانا : « من أعطاك علم اللّه وكيف عرفت عدالته العليا؟» والنبى نفسه ، وهو النبى ، يقول ما معناه : « بين الناس من يبدو فى عمله فى الدنيا أنه من أهل الجنة ، بينما هو من أهل النار . ومنهم من يبدو فى الدنيا من أهل النار، وهو من أهل الجنة » . ما أصدقك وأعظمك يا رسول اللّه ، ولكننى يا رسول اللّه أشكو إليك علماء فى زماننا هذا جعلوا أنفسهم مكان اللّه ذاته ، وأفتوا ثم حكموا ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه.

ماذا أنت قائل أيها الأستاذ الدكتور فى أقوام بغير دين على الإطلاق ؟ أترى أنهم وهم أكثر من ألف وثلاثمائة مليون جميعا تعساء ؟

وماذا ترى يا سيدى العالم الجليل فى عالم متحضر لا يدين بالإسلام ، ألا ترى معى أنه أولى بك ثم أولى أن تردد معى قول الإمام محمد عبده أنه رأى فى باريس الإسلام ، وإن كان أهلها غير مسلمين ، وأنه رأى فى مصر مسلمين ولكنه لا يرى الإسلام .

ألا ترى معى يا سيدى أن للّه وحده الحق فى إسعاد من شاء ، وإشقاء من أراد ، حتى يرد إليه كل إنسان كادحا فيلقاه ، ويومئذ تعلم نفس ما قدمت وأخرت .

أترى يا سيدى كل الدول التى يختلف الأمر فيها بين الإلحاد الكامل بفكرة الأديان ، وبين اعتناق الدينين السماويين الآخرين ، وبين الدول التى تؤمن بآلهة من البشر مثل بوذا وغيره ، أترى أن هؤلاء ينزل عليهم اللّه فى حياتهم اليوم سخطا : فكيف إذن ؟ أليس ما هم فيه اليوم لحكمة يعلمها اللّه سبحانه ، وبتقدير منه جل شأنه سبحانه . فكيف سمحت لنفسك يا مولانا أن تحكم هذا الحكم المطلق العام ؟

إن عدالة السماء لا يعرفها إلا اللّه وحده ، وهو وحده الذى يحدد لها الثواب والعقاب وبالصورة التى يحددها هو وحده سبحانه . والقول بغير هذا تجاوز لحدود العبد المؤمن ، وافتئات على المنطق ، وإغفال للأمر الواقع الذى نراه فى روسيا الملحدة وأوروبا المسيحية والصين واليابان وأغلب دول آسيا التى تعبد مخلوقا ، هذا غير أديان كثيرة يدين بها أهلها، أقليات كانوا أو كانوا كثرا من بينها من يعبد البقر ، وهو البقر ، وكل بما يدين به مؤمن .

كيف يا سيدى الأستاذ تحكم على سعادة هؤلاء فى الدنيا جميعا حكما مطلقا جامعا مانعا؟ إنهم ما داموا لا يدينون بالإسلام الحنيف فهم أشقياء فى دنياهم تحيط بهم الفواجع والمصائب . أترى هذا واقعا ، أو ترى هذا من حقك ؟

إن الدين عند اللّه الإسلام ، لا شك فى ذلك ولا نقاش ، أما عقاب اللّه ومثوبته فى الدنيا والآخرة فأمر اختص به نفسه ، وما أحسب أنك تفكر أن تشارك اللّه فيما اختص نفسه به .

وبعد يا سيدى فأنت ناقشت ما ناقشت ، وقلت فأسهبت ، ولكنك لم تعرض للأمر الأساسى فيما أكتب .

هل من حق أقوام أن يفرضوا علينا رأيهم بدعوى أنهم يدافعون عن الدين ؟ وهل من حقهم بموجب هذا الادعاء أن يقتلوا الناس بغير محاكمة ؟ وهل من حقهم أن ينصبوا أنفسهم مدعين وقضاة ومنفذين وقتلة ؟

أترى هذا إسلاما ، أتراه حقا ؟ فى هذا فاكتب ..

أترى أن تصبح جماعة ، تدعى أنها مسلمة ، ذعرا فى طول البلاد وعرضها ، تقتل بغير حساب ، وتطلق الرصاص بلا سؤال منهم لمن يتقصدونه ، فيثيرون بذلك الخوف والهلع فى نفوس إخوانهم من البشر ، أو ترى أن الإسلام يبيح لهم أن يكونوا قتلة مجرمين وسفاحين بلا ضمير ؟ أو ترى من حقهم أن يرفعوا راية الإسلام الحق ، الشريف ، الأسمى، السلام ، على إجرامهم ورصاصهم وجرائمهم ؟

فى هذا يا مولانا فاكتب ..

وفى هذا ينبغى أن يكتب كل مسلم اليوم ..

من جعل هؤلاء السفاحين مسيطرين ، والله لم يرض لنبيه سيد البشر أن يكون مسيطرا ؟ وهو حامل رسالته وخاتم أنبيائه وعلى لسانه نزلت آخر كلمة من السماء إلى الأرض ؟

فى هذا فاكتب يا مولاى :

وفى هذا فليكتب كل شيخ يرعى الله ودينه القيم وشرعه الحنيف ، أترضى الفتنة يا مولانا تضطرب فى البلاد ؟

أترى الخوف يا مولانا يتملك قلوب المسلمين وغير المسلمين ؟ أترضى أن يصبح الأمر فوضى ؟

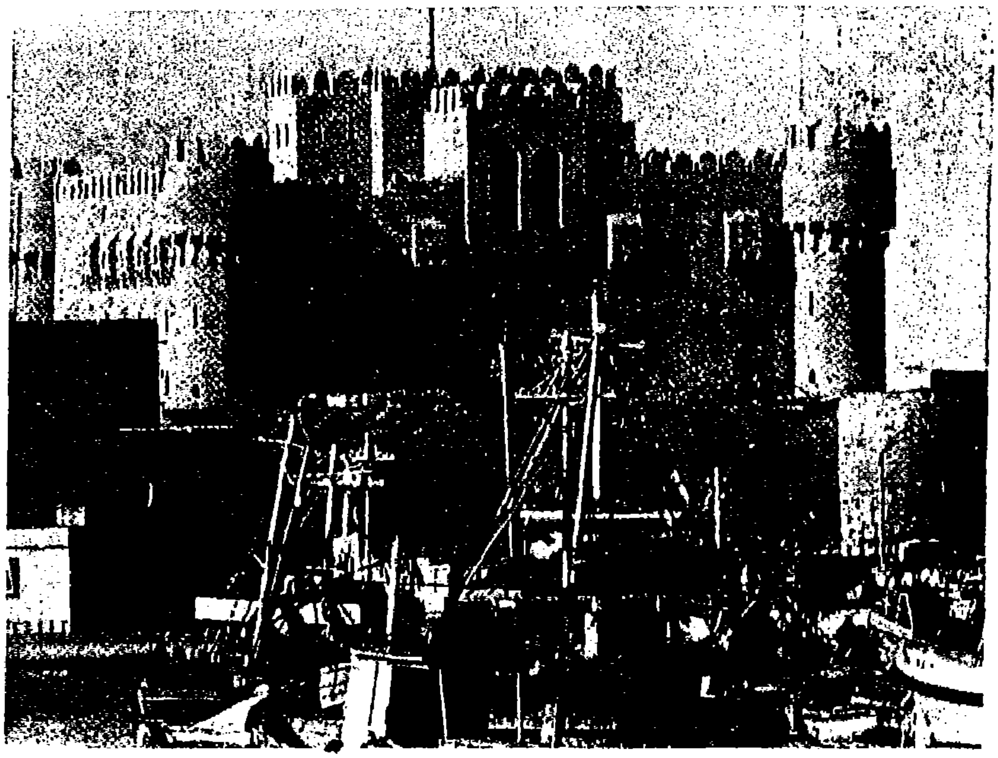
فى هذا فليكتب اليوم كل عالم من علماء الإسلام ..

وإذا لم يكتب فى هذا .. وفى هذا وحده .. فليصمت ! فإنه خير له وللإسلام ألف مرة أن يصمت من أن يميل عن الجد إلى الهزل .. وعن خطير الأمر إلى هينه وتافهه ..

إن الفتنة تطل على البلاد من وراء ستار يدعى مثيروها أنه إسلامى .. وعلم الله أنهم يفترون على الدين ما يأباه ويرفضه ، بل ويحاربه ، وإذا لم يتصد لهؤلاء السفاحين علماء الإسلام .. فواضيعتا إذن ؟ لديننا عند علمائه وفقهائه ، ولأئمة منهم المفروض فيهم أنهم المصابيح والهداة .

فى هذا فليكتبوا .. أو فليسكتوا ولا يقولوا شيئا مطلقا .. وحسب الإسلام وحسبنا نحن المسلمين المؤمنين بالله . وإنه سبحانه نعم الحسب ، وإنه نعم الوكيل .

❀❀❀



إن النفاق قديم

إن النفاق قديم

خرج جماعة من العرب فى زمن الجاهلية يريدون العراق بتجارة لهم ، وكــان كسرى يحكمها ، وحين اقتربوا من العراق قال قائلهم :

« إنا من مسيرنا هذا لعلى خطر ، فلقد قدمنا على ملك جبـار ، ونحـن ندخـل بـلاده دون إذن منه ، وما أحسب أننـا نستطيع أن نتجر فـى هـذه البـلاد . والـرأى عنـدى أن يذهب واحد منا بالتجارة ، فإن قتله الطاغية كسرى فنحن براء من دمــه ، وإن غنـم فلـه نصف الربح » .

وتقدم شاعر جاهلى اسمه غيلان بن سلمة الثقفى وقال : « أنا لها » .

فلما دخل بلاد كسرى ، وضع كثيرا من الطيب ولبس ثوبين أصفرين ، وهذا عجيب فى ذاته ، فقد كشف علماء الألوان ، بعد هذا الزمان بأزمان ، أن اللون الأصفر من أكثر الألوان اجتذابا للأنظار . وهكذا تجد أن للمنافقين موهبة خاصة يعرفون بها كيف يصلون إلى المكامن الخفية من مواطن الإرضاء عند الناس .

جلس غيلان ببـاب كسـرى ، وقـد أصبـح أمـره بـين النـاس شـهيرا ، وأخـيرا أذن لـه كسرى، وخرج إليه الترجمان وقال له :

- يقول لك الملك ما أدخلك بلادى بغير إذنى ؟

فقال :

- قل له لست من أهل عداوة لك ، ولا أتيتـك جاسوسـا لضـد مـن أضـدادك ، وإنمـا جئت بتجارة تستمتع بها ، فإن أردتها فهى لك ، وإن لم تردها وأذنت فى بيعها لرعيتـك بعتها ، وإن لم تأذن فى ذلك رددتها .

وبينما هو ماض فى حديثه ، سمع صوت كسـرى فـإذا بـه يهـوى سـاجدا . ويدهـش كسرى والترجمان ، ويسأل الملك :

- لم سجدت ؟

فإذا هو يقول فى دربة المنافق الأصيل :

- سمعت صوتا عاليا فى القصر وليس من المعقول أن يعلو فى القصر صوت إلا صوت الملك ، فعلمت أنه بمقربة منى فسجدت إجلالا وإعظاما لصوت الملك .

وطبعا استحسن كسرى ما فعل ، وأمر له بمخدة توضع تحته فى جلسته . فحين أمسك بها غيلان وضعها على رأسه ، فضحك الملك وظن بالشاعر الجهل والحمق وقال عن طريق ترجمانه :

- إنما بعثنا بهذه لتجلس عليها .

فقال غيلان :

- أعلم هذا ، ولكننى رأيت عليها صورة الملك ، فلم يكن من حق مثلى أن يجلس عليها ، ولكن كان حقها التعظيم فوضعتها على رأسى لأنه أشرف أعضائى وأكرمها علىّ .

ما أحسب إلا أنك عرفت النتيجة المحتمة لهذا النفاق العظيم ، فإن للمنافق إلى العتاة مسلكا لا يخيب ، وطريقا لا يكدى ، وسبيلا لا يخطئ .

لقد اشترى كسرى التجارة من غيلان بأضعاف ثمنها ، وكساه ، وبعث معه بنائين من الفرس ابتنوا له قصرا بالطائف ، فكان أول قصر شيد بالطائف .

أرأيت ، قديم هو النفاق قديم .. موغل فى الزمن إلى الأعماق الغائرة من أوائل التاريخ . وإن كان هذا الذى حملته إلينا أنباء الرواة قد حدث فى الجاهلية ، فهناك مما لم يروه الرواة ما يخطئه الحصر ، وما يعجز عن الإلمام به ذكر أو رواية .

سمعنا أنباء النفاق أحاديث ، ورأيناه رأى العين ، واحتقرناه فلم يعبأ بالاحتقار ، وسخرنا منه فلم يلق أى عناية بالسخرية .

وعلى الرغم من أن النفاق قديم ، إلا أننى أعجب من شأنه كل العجب ، فهو واسع الانتشار حتى يوشك أن يكون هو الأصل ، ومالى لا أقول إنه أصبح هو الأصل حين انكمش الصدق خزيان خجلا ، وكأنه هو الخلق الشائن المعيب .

ولا ننسى واحدا من زعماء المنافقين فى العصر الحديث ، سأله طاغوته عن أمر يشغله، فاستأذنه المنافق أن يتيح له بعض الوقت حتى يعود إليه بالرأى الأسد الرشيد . ويروى المنافق نفسه فيقول إنه راح يدور فى المماشى ، ويلوب حول نفسه ، ويروى أنه راح يصعد ويهبط ويتهم وينجد ، حتى أوحى إليه الشيطان ما أوحى ، واقتنع هو أنه الرأى الذى لا رأى مثله ، حتى إذا فرغ من إلهامه نصب ، وإلى مولاه الطاغية رغب ، يقول له فى سعادة غامرة ، وفى هناءة طاغية ، وفى جذل مسرور محبور :

- ما كان لنا أن نقول لك رأيا ، فأنت وحدك صاحب الرأى ، فأنت ملهم يصل إليك الرأى من حيث لا نعلم ، فكيف لمثلنا من البشر أن يفكر فى أمر أنت تفكر فيه ؟

وقد كان المنافق وطاغوته كلاهما لا يؤمنان بالله ، فالإلهام الذى قصد إليه زعيم المنافقين إلهام هابط من مكان آخر غير السماء ، وهو وحده الذى يعرف هذا المكان ولا يعرفه سواه .

أن يحدث هذا كارثة بشرية بالغة الحقارة ، فإذا وقع سرا دون أن يعلم به أحد ، كان فى ذاته عارا . أما أن يرويه صاحبه فى كتاب ويفاخر به ، ويزهى كما يزهى ، ويفاخر أنه وسيده لم يكونا من المؤمنين بالله ، فذلك هو الفجور ، أو هو أمر أعظم فداحة من الفجور ، لم تستطع لغة فى العالم بعد أن تجد له لفظا .. ولكن ربما - ومع انتشار النفاق - تجد له فى الغد القريب وصفا يحيط بمدى سقوطه وهوانه .

والمجتمع لم يوقع على المنافق جزاء .. بل هو يكرمه .. وهو أيضا يوسع له فى المكان .

وأرى من بعده أنواعا شتى من المنافقين .. أشاهدهم بعينى يتقافزون فعل القردة .. ويسجدون فعل العبيد .. ويجعلون من رؤوسهم مواطئ أقدام لينالوا منصبا كبيرا مرموقا أو يهتبلوا مالا .

وأعجب .. إنما يطمع الإنسان فى المنصب ليكون بين الناس ذا كرامة ووجاهة وجاه . فكيف يمتهن كرامته ، ويمزقها ، ويحقر ما أكرمه الله به حين جعله إنسانا ، وينسلخ عما وهب له المولى من عزة الأحرار من أجل أن يكون بين الناس ذا كرامة .

أيشترى المنصب بالكرامة وهو فى ذاته جانب قليل من معنى الكرامة ؟ كيف يقبل إنسان عاقل رشيد أن يبيع الكل فى مقابل الجزء ؟ والقليل التافه فى مقابل العظيم النبيل ؟ كيف يقبل إنسان أن ينحدر إلى هاوية الهوان ، ليكون أمام الناس فى قمة العزة ؟

تناقض لا يسيغه منطق ، ولكننى أرى المنافقين فى كل مكان . وما بعجيب أن ينالوا ما يسعون إليه ، ففى كل إنسان ضعف إلى المديح ، وكم رأينا الصلب العنيد ، عند الإشادة به وتعظيم شأنه ، يلين ويسجح ، ويقدم ما كان يمنع .

وما بعجيب أن ينالوا ما يسعون إليه ، فإن لهم لجاجة لا تنتهى . فالمنافق بطبيعة تكوينه صفيق الوجه ساقط الحياء ، فهو يستطيع أن يلح بصورة لا يستطيعها غيره ، فإن الحياء وحده هو الذى يرد الإنسان عن كثرة الإلحاح ، فمن ضاع حياؤه وجف ماء وجهه فأى شىء يمكن أن يرده عن المبالغة كل المبالغة فى الإلحاح ؟

والنفس ذات ملالة . وكثيرا ما يصاب من بيده شغل المناصب بالملل من شدة النفاق ومن كثرة الطلب ، والإنسان - من قبل ومن بعد - إنسان . ولعله قائل لنفسه فلأضعه فى هذا المنصب الذى يكاد يموت شوقا لبلوغه ، وهو - على أية حال - ليس شرا من غيره !

وما البأس أن نجربه ، فإذا لم يرتفع بنفسه إلى مستوى المنصب عزلناه . وكل ذى منصب لابد يوما أن يعزل ، وينسى الإنسان أن فى رفع الذليل إلى منصب رفيع إهانة للمنصب وحطا له عن كرامته وسفولا به عن مكانته .

ولا عجب أن يكون إنسان من الناس ذليلا ، ولكن شين أن يشغل المكان الكريم إنسان ارتضى أن يمحق كرامته ، ويمحو حياءه ، ويريق ماء وجهه حتى يجف .

إن يكن التاريخ قد روى لنا قصة غيلان بن سلمة الثقفى مع الطاغية كسرى ، فإن التاريخ نفسه لا يهمه شأن غيلان وما استطاع أن يناله من مال كسرى ، لأن مال كسرى كان يمكن أن ينفق فى أى مصرف من مصارف البذخ الأرعن المجنون ، التى يرمى فيها الطغاة بأموال شعوبهم .

ولكن أن يصل إنسان بلا كرامة إلى منصب له مسئوليته ، فتلك إذن هى الطامة الكبرى ، لأن المنصب ليس جاها فحسب ، ولا هو وجاهة وكفى ، وإنما هو حياة أقوام وصوالحهم ، فإن بيد صاحب المنصب مستقبل جماعات وأقوام وأسرات ، وبيده أيضا حاضرهم وعيشهم وحياتهم .

والذليل فى المنصب عنوان كريه لكل من يعرف حقيقته ، وإذا استطاعت الحقيقة من أمره أن تتخفى عن سائر الناس قبل صعوده على أربع إلى منصبه ، فإن هذا المنصب نفسه سيجعل الخفى من أمره معلنا والمستسر من أهوائه شهيرا جهيرا .

وبعد ، فإن النفاق قديم كما قد علمت ، وهويتجدد مع كل يوم من أيام الحياة ، لا ينتهى أمره ولن ينتهى .

وتسألنى ففيم إذن تكتب ما تكتب ما دمت تعلم أن النفاق سيبقى ما بقيت الإنسانية؟

إنما أكتب لأنه لابد أن يجد المنافق من يقول له إنك منافق ، ولابد أن نظل نقول أن النفاق هوان وإذلال للبشرية ، ومحو للكرامة ، وتمزيق لكل ما هو شريف ونبيل فى حياتنا.

لعلنا ـ من يدرى ـ لعلنا أن نمنع مشروع منافق أن يصبح منافقا كاملا .. فإن الطريق إلى النفاق ـ للأسف الشديد ـ ملىء بالإغراء ، والطريق إلى الشرف ـ للأسف الشديد أيضا ـ محشود بالصعاب .

والجنة ـ كما نعرف جميعا ـ محفوفة بالمكاره ، والقابض على دينه كالقابض على الجمر، كان الله فى عون الشرفاء المؤمنين .

❀❀❀

الفهـــرس

الموضــــوع	الصفحة

رقم الإيداع : ١٠٢٠١ / ٩٩ الترقيم الدولى : 1 - 1296 - 11 - 977

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه